

الأكاديمية العربية الدولية



الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية المقررات الجامعية

الانحراف الاجتماعي والجريمة

(علم اجتماع الجريمة)

بسام محمد أبو عليان

محاضر في قسم علم الاجتماع

جامعة الأقصى

الطبعة الثالثة

٢٠١٦م

الاهفاء

أهءي هذا الجهد إلى أعزائي طلبة

جامعة الأقصى،،

مَهَيَّداً:

تعتبر الجريمة ظاهرة اجتماعية قديمة قديم المجتمعات الإنسانية، إذ ارتبط وجودها بوجود الإنسان على الأرض، فكانت أول جريمة (قتل) ارتكبت في تاريخ الإنسانية، حينما أقدم "قابيل" على قتل أخيه "هابيل". وقد سطر القرآن الكريم هذه الحادثة. {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ♦ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ♦ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ♦ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ♦ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ♦ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} [المائدة: ٢٧-٣٢].

وقبلها سجل القرآن الكريم تعجب "الملائكة" الكرام عندما أخبرهم الله تعالى بأنه سيجعل الإنسان خليفة له في الأرض. سبب التعجب الملائكي ما نسب لهذا المخلوق من الإفساد، والعنف، وسفك الدماء. {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠].

القرآن الكريم أورد نموذجاً ثالثاً، وهو ما حدث مع يوسف عليه السلام وتآمر أخوته عليه، الذين أضمروا النية لقتله والتخلص منه؛ حتى يصفو لهم الجو وتخلو الطريق أمامهم؛ لينالوا نفس درجة التقرب والحب من أبيهم كالتى كان يحظى بها، ثم عدلوا عن نية القتل وقرروا إلقاءه في البئر. قال تعالى: {قَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١١﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} [يوسف: ٧-١٠].

نخلص مما سبق، أن الجريمة توجد حيث توجد المجتمعات الإنسانية. وجود المجتمعات يعني وجود أفراد برغباتهم، وأهدافهم، وطموحاتهم، وحاجاتهم المختلفة التي تلتقي وتتشابه حيناً وتتعارض وتتناقض أحياناً كثيرة، الأمر الذي جعل البعض يرى في العنف والجريمة، والاعتداء على حقوق ومصالح الآخرين طريقة مناسبة لتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم وإشباع حاجاتهم. حول هذا المعنى كتب الباحث المغربي (صباحي الصالح):

"ظاهرة العنف قديمة في تاريخ الإنسانية الطويل، وإن جوهرها واحدا مهما كانت أشكالها ونوعياتها، ومهما تعددت نتائجها وتكاثرها في المجتمع العصري الحديث... إن المقارنة بين (قسوتها) عند البدائيين، و(همجيتها) عند المتحضرين لا تمنعان من الاعتراف بأنها ظاهرة قديمة قدم الإنسان، ويبدو أنها لن تنسلخ انسلاخاً كاملاً من ذات الإنسان، ولا من مجتمع الإنسانية... وعلى الرغم من التفاوت الملحوظ بين

ماضي البشر وحاضرهم في مدى اللجوء إلى أعمال العنف
يخيّل إلى كثير من الباحثين أن مظاهر هذا أشدّ وأقسى في
مجتمعنا المعاصر منها في ماضي البشر السحيق، ولعلّ هذا
يرتدّ إلى الإحساس الداخلي العميق بتفضيل الماضي على
الحاضر، ورفض الواقع، والخوف من المستقبل، والإصرار على
الاعتقاد بأن ما ضمنه العلم من أسباب الرخاء والازدهار لم
يمنع الإنسان المعاصر من الدوران المستمر في دوامة القلق،
وغربة الروح، وتبلد الأحاسيس".

تحظى الجريمة بقدر كبير من الاهتمام، ناهيك عن حالة القلق والترقب
لدى الحكومات، والمؤسسات، والعلماء، وعامة الناس في كل العالم، لاسيما في
الوقت المعاصر الذي تتفشى فيه الجريمة في كل مظهر من مظاهر حياتنا،
وتتخرق كل نظم المجتمع (السياسي، والاقتصادي، والصحي، والتعليمي،
والأخلاقي، والديني، والزراعي، والصناعي).

لم تعد الجريمة تحمل صبغة محلية فقط، بل أصبح لها صفة العالمية أو ما
اصطلح عليه "عولمة الجريمة". وقد تعددت وتطورت أساليب وأشكال الجريمة
بشكل كبير مقارنة مع ما كانت عليه في الماضي، إذ يعتمد المجرمون والعصابات
الإجرامية في إجرامهم على كافة الوسائل التكنولوجية والتقنية الحديثة
المتاحة، وتطويعها للاستفادة منها في أفعالهم الإجرامية. في المقابل ظهر العديد
من الجهود الفكرية والنظريات العلمية (النفسية، والاجتماعية، والثقافية،
والبيولوجية، والأيكولوجية، والاقتصادية) التي حاولت تفسير السلوك الإجرامي
وإبراز دوافعه، وتوضيح صورته، وبيان نتائجه. فعلماء النفس درسوا الجريمة من
ناحية نفسية بحتة، باعتبار السلوك الإجرامي سلوك عدواني له دوافعه النفسية

"الغريزية أو المكتسبة". الدوافع الغريزية مثل: (الغضب، والانفعال، والقلق، والتوتر)، والدوافع المكتسبة يكتسبها الفرد من البيئة الاجتماعية.

أما علماء الاجتماع درسوا الجريمة من ناحية اجتماعية، باعتبارها ظاهرة اجتماعية سلبية تؤثر وتتأثر بالنظم الاجتماعية، وليست ظاهرة فردية تحركها دوافع داخلية فقط. هم بذلك خالفوا المدرسة النفسية. وركزت الدراسات الاجتماعية على العوامل: (الأسرية، والثقافية، والإعلامية، والاقتصادية، والتعليمية، والطبقة الاجتماعية، والجنس) التي تساعد في تنمية وتعزيز الجريمة، بالإضافة إلى كشف العلاقة بين الجريمة والمتغيرات الاجتماعية الأخرى كالفقر، والاضطهاد الاجتماعي، والمستوى التعليمي، ومكان الإقامة (الريف، والحضر، والأماكن العشوائية والنائية)، والتفكك الأسري، حجم الأسرة، وجماعة الرفاق، ووسائل الإعلام... إلخ.

أما علماء السياسة درسوا الجريمة باعتبارها ظاهرة سياسية، ترتبط بمفهوم السلطة، والسيطرة، والقوة في الدولة. وعلماء القانون درسوا الجريمة بوصفها سلوك يتجاوز القانون ويعتدي على حرمة. وعلماء الأخلاق درسوا الجريمة بوصفها ظاهرة تتسبب في إيذاء الآخرين وإلحاق الضرر بهم، وتنطلق من دوافع عدوانية، تتناقض مع قيم التسامح.

يلاحظ مما سبق أن العلوم الإنسانية التي درست الجريمة صبت جُل اهتمامها وتركيزها على عامل واحد في تفسير الجريمة، وأغفلت العوامل الأخرى أو قللت من أهميتها. لذلك من الخطأ الاعتماد على عامل واحد وإنكار تأثير العوامل الأخرى في تفسير السلوك الإجرامي. لابد من توحيد الجهود العلمية؛ للاستفادة من خبرات هذه العلوم ومعارفها ومناهجها في فهم وتوصيف وتفسير الجريمة كون أنها ظاهرة مركبة ومعقدة.

نظراً لخطورة الجرىمة وانعكاساتها السلبية على السلم والأمن الاجتماعى، وانتشارها فى المجتمع بشكل كبير وملحوظ، جاءت فكرة هذا الكتاب؛ لتتناول الظاهرة بالدراسة والتحليل. وقد وقع الكتاب فى ستة فصول. الفصل الأول بعنوان: "الجرىمة.. المفهوم والدلالات"، تناولت فيه تعريف الجرىمة من عدة زوايا: (قانونية، واجتماعية، ونفسية، وتكاملية، وأخلاقية، ودينية)، ثم أشرت لأهم المصطلحات ذات العلاقة بالجرىمة: (علم الإجرام، والقانون الجنائى، والانحراف، والحدث، والمجرم، والجنائية، والجنحة، والمخالفة)، وتقسيمات الجرىمة، وعناصر الجرىمة، وطرق دراسة الجرىمة، والعوامل المفسرة للسلوك الإجرامى، والعقوبات المستخدمة بحق المجرمين.

الفصل الثانى بعنوان: "الاتجاهات النظرية المفسرة للجرىمة"، قُسمته إلى شقين: الأول تحدثت فيه عن تعريف النظرية، وأبعادها، وأشكالها، ومكوناتها، والفرق بين النظرية فى العلوم الطبيعية والاجتماعية، وإسهامات وخصائص وشروط النظرية. أما فى الشق الثانى تحدثت فيه عن الاتجاهات النظرية المفسرة للجرىمة ممثلة فى: (الذاتى، والموضوعى، والتكاملى)، وتحت كل اتجاه يندرج عدد من النظريات والمدارس المفسرة للسلوك الإجرامى.

الفصل الثالث بعنوان: "دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية فى تنمية السلوك الانحرافى والإجرامى"، تحدثت فيه عن تعريف التنشئة الاجتماعية، وخصائصها، والعوامل المؤثرة فيها، والأساليب الوالدية التى تنمى سلوك الجرىمة. ثم تحدثت عن أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية: (الأسرة، والمدرسة، والحي السكنى، وجماعة الرفاق، ووسائل الإعلام) ودور كل واحدة فى تنمية السلوك الانحرافى والإجرامى.

الفصل الرابع بعنوان: "العولمة والجريمة". أهم المحاور التي تناولتها: تعريف العولمة، نشأتها، ومجالاتها، وإيجابياتها، وموقف المثقفين منها، والفرق بين العولمة والجريمة والإرهاب، ووسائل الجريمة المعولمة، وصور عولمة الجريمة، والعلاقة بين العولمة وجريمة المخدرات، والعولمة وجريمة القتل.

الفصل الخامس بعنوان "الجهود الأممية في مواجهة الجريمة"، تحدثت فيه أولاً عن الجهود الأممية في مواجهة الجريمة، ثم بينت الجهود العربية في مواجهة الجريمة. أما الفصل السادس أفردته للحديث عن: "معالجة الجريمة برؤية إسلامية"، وختمت الكتاب بالحديث عن "طرق الوقاية من الجريمة".

أ. بسام أبو عليان

حزيران ٢٠١٦م

الفصل الأول

الجريمة..

المفهوم والدلالات

تعريف الجريمة

ليس من السهل على الباحث الاجتماعي أن يضع تعريفاً (جامعاً - مانعاً) لمصطلح الجريمة، وذلك راجع لعدة اعتبارات:

١. اختلاف التخصصات العلمية التي درست الجريمة مثل: (علم الاجتماع، والقانون، وعلم النفس، والاقتصاد، والسياسة، والأخلاق، والأنثروبولوجيا، والعلوم الدينية).

٢. اختلاف المنطلقات الأيديولوجية للباحثين الذين درسوا الجريمة. كل باحث عرّف الجريمة من وجهة نظره، ووفق المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها.

٣. تفاوت تأثير العوامل: (الاجتماعية، والثقافية، والبيئية، والاقتصادية، والسكانية، والتعليمية، والسياسية) في وقوع الجريمة، ففي كل جريمة يتقدم عامل ويتأخر آخر.

٤. اختلاف الوحدات التي استند عليها الباحثون في تفسيرهم للجريمة. هناك من ركز على دراسة المؤسسات العاملة في مجال مكافحة الجريمة، وثاني درس المجرمين، وثالث درس الاتجاهات السلوكية نحو الجريمة، ورابع وصف السلوك الإجرامي لبعض قضايا الجريمة مثل: (تعاطي المخدرات، والرشوة، والانتحار، والقتل).

الاختلافات السابقة لا تمنع محاولات التعريف. فيما يلي سنعرض بعض التعريفات من وجهة نظر العلوم الاجتماعية التي اهتمت بدراسة الجريمة:

التعريف القانوني:

❖ الجريمة: "هي كل فعل يجرّمه المشرّع وينص عليه القانون، ويمثل قاعدة جزائية تطبق على الخارجين عنها".

❖ الجريمة: "هي كل سلوك مؤذٍ وضار اجتماعياً، ويتعرض صاحبه للعقاب من قبل مؤسسات الدولة".

❖ الجريمة: "هي فعل مقصود يخرق القانون الجزائي، ويرتكب بدون مبرر وتعاقب عليه الدولة".

أركان الجريمة عند فقهاء القانون:

١. الركن المادي: يتكون من ثلاثة عناصر:

◆ أن يكون الفاعل مفرداً أو شريكاً.

◆ تحقق النتيجة الإجرامية.

◆ وجود علاقة سببية بين الفعل والنتيجة.

٢. ركن الأهلية القانونية: أي المسؤولية القانونية.

٣. الركن الشرعي أو القانوني: من خلاله يحدد الفعل الإجرامي.

التعريف الاجتماعي:

❖ الجريمة: "هي الخروج عن قواعد المجتمع".

❖ الجريمة: "هي انتهاك للمعايير الاجتماعية".

❖ الجريمة: "هي الأفعال التي تمثل خطراً على المجتمع وتجعل من المستحيل التعايش بين أفراد المجتمع الواحد".

الانتقادات التي وجهت إلى التعريف الاجتماعي:

❖ التعريف صوّر المجتمع كأنه إلهاً معصوماً من الخطأ. حيث أشار إلى أن كل من يخرج عن قواعد ومعايير المجتمع يعد (مجرماً) وهذا خلاف الواقع.

فف فوفف الفففف من المفاففر الفففماعفة الفلففة الفف لا ففمافف مع واقفنا المفافر؁ بالفالف من ففالففا لا ففد مفرفماً ولا منفرفاً. فف على سبفل المالف: (ففان الفناف) فففر من الممارسات الفففماعفة الفاففة الفف ففففر فف المففمعات الففلففة الفف ففل فففا فرفة الفوف الففنف؁ والففماعف؁ والفصف. من لم فقم بففان الفناف فففر مفالفاً وففاً لمفاففر ففك المففمعات. إلا أن المفالففة. فف فففة الفافة. لا ففد فعلاً ففرامياً؛ لأنه ففس فف مفالففها إلحاق ضرر بالمففمف؁ بل الفواق والعلم فففدان فففة المفالففة لما لفففة الفافرة من انعكاسات سلففة على الفناف. بالفالف "لا ففد كل مفالففة للمفاففر الفففماعفة فعلاً ففرامياً".

❖ الففرفف الفففماعف ففصل بفن الفرففة والفانفراف. الفاففة فقول: "كل فرفة انفراف؁ وففس كل انفراف فرفة". مثلاً: (الفلل) ففمف بفن الفانفراف والفرففة. هو انفراف؛ لأنه انفراف عن المفاففر الففنففة والفففماعفة الفف ففرم الفلل. وفرفة؛ لأنه انفراف نصاً قانونياً ففرم الفلل؁ وففرض عقوبة على الفافل. أما (معاكسة الفففاف) ففد فعلاً منفرفاً وففس فرفة. هو انفراف عن المفاففر الفففماعفة الفف ففدعو إلى الفشفة؁ وحسن الفلل؁ وصفانة العرض. وففس فرفة؛ لأنه ففس فف القانون نصاً ففرم من فعاكس الفففاف.

❖ اففلاف المفاففر الفففماعفة من مففمف لآخر؁ بل فففلف فف المففمف الفافف من ففرة لآخرى؁ ومن طبقة لآخرى. بالفالف لا ففوز الفعمفم. فما فففر فرفة فف ففذا المففمف؁ قد لا فففر كذلك فف مففمف آخر. ف"الإفهاز" - مثلاً. فففر من المباحات فف المففمف الفرفف؁ إلا أنه ففس كذلك فف المففمف الإسلامف؁ فف ففل إلى فف إزهاق نفس بشرففة فف ففخت الفوف فف الفففن.

الفرفف الفكاملف:

❖ فاول الفرفف الفكاملف أن فوفق بفن الففرففن (القانونف والاففماف)، ففرّف الفرفمفة هف: "كل فعل له بُعد مافف فرف فوفف عن القوافف القانونفة الفناففة المعمول بها فف المففمف، وبهذا الفرفف ففون مساف بأمن وسلامفة واستقرار المففمف".

❖ فررف آفر: "هف كل فعل فعاقب عفله القانون وفنففك معاففر المففمف الساففة بشكل ففجاوز المسموح السافف".

الفرفف الأفلاقف:

"كل سلوك ففعارض أو ففناقض مع الناموس الففبفعف للأفلاق". فعد هذا الفرفف ناقصاً؛ لأنه لم فففف القوافف الأفلاقفة الفف إذا افترقها الفرف ففون مفرماً. فهذه مسألة نسبفة فففل فاففلاف الطبقات الاففماففة والمففمعات الإنسانفة.

الفرفف الففنف (الإسلامف):

❖ الفرفمفة: "هف مففورات شرعفة نهف الله عنها ففء أو فرفز".
❖ الفرفمفة: "هف كل فعل نهف الإسلام عنه كالقتل، والزنا، والقذف، والسرقفة، وشرب الفمرف".

أقسام الفرفمة فف الإسلام:

(١) فرفمة فعاقب علفها بالقصاص^١: حصل بها الاعتداء "عمداً" على شخص بالقتل أو الفرف. فحق للمفنف علفه أو ورففه العفو؛ لأنه ففلب علفه حق الآدمف.

(٢) فرفمة فعاقب علفها بالاففوف: ففكون الاعتداء ففها على حق: (الله فعالف، والإنسان، والمفتمع). مثل: (الزنا، والسرفة). لا ففقبل ففها العفو بعد الوصول إلى الحاكم؛ لأنه ففلب علفه حق المفتمع كله.

(٣) فرفمة فعاقب علفها بالفعزفر: هذا خاص بالفرائم الفف لا ففوجد ففها عقوبة ففوضحها النص القرآنف أو الفففف النبوف، مثل: (سرفة ما ففون النصاف، وشهادة الزور، وأخذ رشفة).

الففرفف النفسف:

❖ الفرفمة "فعل فرفزف فففف لإشفاف الفرفزة، وصادف هذا الإشفاف شفوف انهافف معه الفرائم السامفة والخشفة من القانون".

❖ ففرفف آخر: "فعل لا إرافف، سببها صرافاف مكبوفة فف اللاشعور".

❖ ففرفف فالف "الفرفمة فعل إنسانف ففحمل عواقبه الفرف إذا فوافرف ففه الإرادة، والفرفة، والافففر".

^١ القصاص: هو أن فف فعل بالفانف ممثلاً فف ل بالفمفنف ففلفه فففل نفسه ما فففل، ومن ففطع عضو^١ أو طرفاً لآخر ففطع عضو أو طرف الفانف، وهكذا.

المصطلحات ذات العلاقة بالجريمة

١. علم الإجرام:

"هو العلم الذي يهتم بدراسة الجريمة بأسلوب علمي، بهدف التعرف على أسبابها، وبيئتها، وسبل علاجها، والوقاية منها، ومحاربتها".

٢. القانون الجنائي:

"هو مجموع القواعد القانونية التي أصدرتها الهيئة المختصة، وتتناول السلوك الإنساني، وتطبق على جميع أفراد المجتمع، ولها صفة الإلزام لما تتضمنه من عقاب تنفذه أجهزة الدولة".

٣. الانحراف:

الانحراف في معناه الواسع: "هو الخروج عن السياق الاجتماعي العام". إلا أنه يصعب الاتفاق على تعريف محدد للانحراف؛ لأنه مسألة نسبية، فما يعتبر انحرافاً في هذا المجتمع قد لا يعتبر كذلك في مجتمع آخر. ويختلف في المجتمع الواحد من حقبة زمنية لأخرى بفعل التغيرات الاجتماعية، والثقافية، والتكنولوجية، والاقتصادية. مثلاً في الوقت الذي كان يعد فيه "الاختلاط" انحرافاً ومن المحرمات الاجتماعية في المجتمعات العربية والإسلامية، أصبح اليوم سمة طاغية على أغلب مؤسسات المجتمع، ولم تعد النظرة كما كانت من قبل، وأصبح ينظر إليه كأمر اعتيادي. أبعد من ذلك الاختلاف في تفسير الانحراف قد يتفاوت من طبقة اجتماعية لأخرى في نفس المجتمع.

إن إصدار الحكم على فعل ما أنه انحراف أو سوي يتوقف على معايير المجتمع. تعرف المعايير الاجتماعية: "هي القواعد السلوكية التي تحدد المقبول

والمرفوض اجتماعياً". قبول السلوك يكون بمباركته واستحسانه، أما رفضه يكون باستهجانته والسخط عليه. وتشمل المعايير الاجتماعية: (القواعد الأخلاقية، والأحكام الدينية، والقواعد القانونية، والعرف، والعادات والتقاليد).

٤. الحدث:

مصطلح الحدث يصف مرحلة عمرية. ومن وجهة نظر القانون: "هو كل شخص أتم السابعة ولم يتم الثامنة عشر".

فق التعريف السابق، يمكن تقسيم الأحداث إلى ثلاث فئات عمرية، هي:

❖ الولد: من أتم سبع سنوات ولم يتم الثانية عشر.

❖ المراهق: من أتم الثانية عشر ولم يتم الخامسة عشر عاماً.

❖ الفتى: من أتم الخامسة عشر ولم يتم الثامنة عشر عاماً.

ميز القانون بين نوعين من الأحداث:

❖ الحدث غير المميز (الولد): من لم يتم سبع سنوات. . في هذا السن لا يتحمل الحدث أية مسؤولية جزائية مهما كانت خطورة الجريمة التي ارتكبها، ويتم التعامل معه من خلال أسرته، ولا يسجن أو يبعد عن أسرته.

❖ الحدث المميز (المراهق والفتى): من أتم سبع سنوات ولم يتم الثامنة عشر، ويكون محل مساءلة إذا ارتكب فعلاً إجرامياً، وتكون على هيئة تدابير احترازية أو عقوبات مخففة.

الأسباب التي جعلت المشرع يحدد سن الثامنة عشر كحد أقصى لعمر الحدث:

- الفرد لا يبلغ النضج العقلي إلا بعد تجاوز سن الثامنة عشر عاماً.

- حدد بعض الفقهاء مثل: (أبو حنيفة، ومالك) سن الحدث ثمانية عشر عاماً.
- الاستجابة لتوصيات المؤتمرات الدولية التي رفعت سن الحدث إلى ثمانية عشر عاماً.

في المقابل، رفض البعض رفع سن الحدث إلى الثامنة عشر، للأسباب الآتية:

- ❖ رفع سن الحدث إلى ثمانية عشر عاماً يعني زيادة عدد الأحداث في المجتمع، مما يشكل عبئاً ثقيلاً على المؤسسات العاملة في مجال رعاية الأحداث.
- ❖ قد يستغل كبار المجرمين الأفراد الذين لم يتموا الثامنة عشر؛ لتنفيذ بعض الجرائم التي لم يستطع الكبار تنفيذها، مثل: (القتل، والأخذ بالثأر، وتجارة المخدرات، والسرقات... إلخ).

٥. الحدث المنحرف:

"هو الذي أتم سبع سنوات ولم يتم الثامنة عشرة، ويرتكب فعلاً يعاقب عليه القانون. مثل: (الجنائية، والجنحة، والمخالفة)، ويمثل أمام المحكمة الجزائية".

٦. الحدث المشرّد:

يصعب وضع تعريف محدد للحدث المشرّد، لكن توجد مجموعة خصائص، إن توفرت واحدة أو أكثر في الطفل، يطلق عليه "حدث مشرّد:

أ. أن يعيش الطفل تحت وصاية وصي، لكن الوصي لا يعتني بالطفل؛ لتعود الوصي على ارتكاب الجريمة.

ب. الطفل الذي شارك في أعمال تتعلق بالدعارة، أو القمار، أو التسول.

ج. الطفل الذي استغل في خدمة من يقومون بالأعمال الإجرامية.

د. الطفل الذى لا يوجد له بيت مستقر، أو يبيت فى الطرقات والأماكن العامة مثل: (المساجد، والمنتزهات، وتحت الجسور).

هـ. الطفل الذى ليس له وسيلة عيش مشروعة بسبب وفاة، أو غياب أحد الوالدين أو كليهما.

و. الطفل سىء الخلق والخارج عن سلطة والديه أو سلطة الوصى عليه.

ز. الطفل الذى أدين والده فى أعمال مخلة بالأداب.

ح. الطفل الذى تعرض لإيذاء مقصود من والديه، تجاوز حدود الضرب المباح، ومعرض لخطر جسيم إذا بقي فى أسرته.

ط. الطفل الذى يمارس جمع أعقاب السجائر، وغيرها من الفضلات.

ي. الطفل الذى اعتاد الهروب من المدرسة.

٧. المجرم:

"هو الشخص القادر قانونياً على القيام بعمل يتعدى به على القانون، ويمكن إثبات ذلك القصد أو النية أو الفعل".

٨. الجنائية:

يندرج تحت الجنائية عدة أحكام:

♦ جريمة يعاقب عليها (البالغ) بالإعدام، أو الأشغال الشاقة المؤقتة أو المؤبدية، أو السجن.

♦ إذا قل سن الحدث عن سبع سنوات لا تقام عليه الدعوة.

- ◆ إذا كان سن الحدث يتراوح بين سبع إلى اثنتى عشر عاماً، يحق للقاضي تسليمه لوالديه، أو من له حق الوصاية عليه، بعد التعهد بحسن سير السلوك، أو يرسله القاضي إلى مؤسسة إصلاحية.
- ◆ إذا كان سن الحدث يتراوح بين خمسة عشر إلى ثمانية عشر عاماً لا يحكم عليه بالإعدام أو الأعمال الشاقة.

٩. الجنحة:

"هي جريمة يعاقب عليها القانون بالحبس مدة تزيد عن أسبوع، أو غرامة مالية. وللقاضي حق تسليم الحدث إلى ولي أمره أو إيداعه في إصلاحية".

١٠. المخالفة:

"هي جريمة يعاقب عليها القانون الشخص البالغ بالحبس مدة لا تزيد عن أسبوع، أو غرامة مالية، ويقوم بتوبيخ الحدث ويسلمه لولي أمره، أو إيداعه في مؤسسة إصلاحية".

تقسيمات الجريمة

- (١) جرائم حسب الدافع: (اقتصادية، جنسية، سياسية، الانتقام، التدمير).
- (٢) جرائم تقسم لأغراض إحصائية: يركز على عدد مرات تكرار الجريمة. مثل: (جرائم ضد الأشخاص، ضد الملكية، ضد الأموال).
- (٣) جرائم حسب الاحتراف: (محترفون، وعصابيون).
- (٤) جرائم حسب الخطورة: يمكن التمييز بين نوعين:

❖ جرائم بالغة الخطورة: يعاقب مرتكبها بالإعدام، أو السجن، أو الأحكام الشاقة.

❖ جرائم أقل خطورة: يعاقب مرتكبها بالسجن، أو الغرامة.

(٥) جرائم الانترنت: (الجرائم الجنسية، وجرائم الاختراقات، وجرائم الأموال، وجرائم إنشاء أو ارتياد المواقع المعادية، وجرائم القرصنة)^٢.

(٦) جرائم طبيعية ومصطنعة:

❖ الجرائم الطبيعية: لا يختلف اثنان على تفسيرها بأنها جريمة مهما اختلف الزمان والمكان، مثل: (القتل).

❖ الجرائم المصطنعة: هي سلوكيات تتباين فيها مواقف المجتمعات. أي هناك من يجرمها، وآخر لا يجرمها. مثل: (شرب الخمر)، يعتبر محرماً في المجتمع الإسلامي ويعاقب عليه القانون، بينما هو ليس كذلك في المجتمعات الغربية، إذ يعتبر من المباحات.

عناصر الجريمة

لا يمكن اعتبار أي سلوك جريمة إلا إذا توافرت فيه العناصر الآتية:

١. أن يترتب على السلوك الإجرامي ضرر بالمصالح الاجتماعية: لو فكر شخص في ارتكاب جريمة ما، ثم عدل عن فكرته ولم ينفذها. لا يعتبر مجرمًا؛ لأنه لا يعتد بالنية في إثبات الفعل الإجرامي.

٢. أن يكون الضرر محرم قانوناً، ومنصوص عليه في قانون العقوبات.

^٢ سيتم الحديث عن جرائم الإنترنت بشكل موسع في الفصل الرابع.

٣. أن يحدد القانون عقوبة كل جريمة: بمعنى ألا يكتفى المشرع بوصف الجريمة، دون تحديد العقوبة المناسبة لها.

٤. أن يكون هناك تصرف يؤدي لوقوع الضرر: على سبيل المثال: من يُكره بالضغط على زناد البندقية لا يعد مجرماً، وإن أوقع قتلى؛ لأنه قتل مكرهاً، ولم يقتل مع سبق الإصرار والترصد.

في الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي: الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ". [ابن حبان: ٧٢١٩]

٥. توفر القصد الجنائي: أي يكون الفعل الإجرامي نابعاً من إرادة الفرد وبشكل مقصود.

٦. الانصهار بين التصرف والقصد الجنائي: مثلاً رجل شرطة دخل لإلقاء القبض على شخص ما في بيته، ثم قتله بعد القبض عليه. في هذه الحالة لا يعتبر الشرطي مرتكباً "لجريمة دخول المنزل"، لكنه يعد مجرماً؛ لأنه قتل. في هذه الحالة القصد الجنائي والتصرف لم يلتقيا معاً.

٧. توفر علاقة سببية بين الضرر المحرم قانوناً وسوء التصرف.

طرق دراسة الجريمة

(١) إحصاءات الجريمة:

تهتم بتحديد أعداد المجرمين الذين أُلقي القبض عليهم، وعدد الأحكام الصادرة بحقهم، وأنواع الجرائم التي ارتكبت، وعدد مرات تكرارها.

استخدم العلماء الطرىقة الإحصائية لقياس العلاقة بين الجرىمة والمتغىرات الأخرى، مثل: (الظروف الاقتصادية، فصول السنة، البطالة، الكثافة السكانية، البيئة الاجتماعية، العلاقات الأسرىة، المستوى العلمى).

(٢) إحصاءات خصائص وظروف المجرىمين:

تهتم بمقارنة صفة من صفات المجرىمين مع الأغلبىة من غير المجرىمين (الأسواء). قد أجرى إحصاءات على مجرىمين تربوا فى بيوت متصدعة بسبب (الطلاق، أو الهجر، أو وفاة أحد الوالدىن أو كلهم)، ومقارنتهم بأشخاص يحترمون القانون وتربوا فى ظروف مشابهة.

إلا أن هذه الطرىقة من الصعب تطبيقها للأسباب الآتىة:

- من الناحىة العلمىة لا توجد معلوماة خاصة بالمجرىمين تميزهم عن غيرهم، إلا المكث فى السجن.
- المعلوماة الخاصة بالمسجونىن نوعان: الأولى معلوماة أولىة: (الاسم، الجنس، العمر، رقم الهوية، العنوان). هذه المعلوماة يمكن الاطمئنان لها والتحقق من صحتها. أما المعلوماة الثانىة عن: (الظروف الأسرىة، وأخلاق الوالدىن، وجماعة الرفاق، والتارىخ التطورى للحالة)، لا يمكن الاطمئنان لها لعدم القدرة للتأكد من صحتها ودقتها.
- عند استخدام هذه الطرىقة يجب المقارنة بعامة السكان، ثم المقارنة بالجماعات التى أتى منها المنحرفون. وهذا عسىر جدا تطبيقه، فهو يستغرق الكثر من الوقت والجهد والمال.
- لا يمكن الوصول إلى كل الخصائص التى تفسر أسباب وقوع الجرىمة.
- الظروف التى تجرى مقارنتها قد لا يُحدد تعریفها بصورة دققة.

(٣) دراسة الحالة الفردية:

تهتم بدراسة خصائص وظروف المجرم بصورة شاملة. وضع "هيلي" تصوراً لدراسة الحالة، يشتمل على خمسة محاور: (الأسرة، والتاريخ التطوري للحالة، والبيئة الاجتماعية "القرباة والجيرة"، ومقاييس جسمية ونفسية، وإجراء فحوصات طبية وعقلية للحالة).

(٤) دراسة حالة محددة:

هذه الطريقة تجمع بين الجانب الإحصائي ودراسة الحالة، تشمل الخطوات الآتية:

- صياغة تعريف إجرائي للسلوك محل الدراسة.
- وضع تفسير افتراضي للسلوك محل الدراسة.
- دراسة الحالة في ضوء الفرضيات، للتحقق من صحتها.
- إذا لم تناسب الفرضيات الحالية، إما يعاد صياغتها، أو إعادة تعريف السلوك، ويجب أن يكون التعريف أكثر تحديدا ودقة من سلفه.
- يمكن الوصول إلى التأكيد العلمي بعد فحصها على عدد من الحالات المشابهة.
- عملية الفحص يجب أن تستمر حتى تصل إلى علاقة جامعة، وكل حالة سلبية تتطلب إعادة التعريف.

(٥) دراسة المجرم في الحياة العادية:

يرى أصحاب هذه الطريقة أن المجرمين لا يتصرفون بشكل طبيعي في مراكز الشرطة، والسجون، والمحاكم؛ لأنهم يعلمون أنهم تحت الملاحظة

والمراقبة. وإذا ما أريد فهم المجرم على حقيقته يجب دراسته في حياته العامة خارج المؤسسات سائلة الذكر. أي يعيش الباحث بين المجرمين كواحد منهم باتباع أسلوب "الملاحظة بالمشاركة"، يرى ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية كما يراها المجرمون.

بهذه الطريقة يستطيع الباحث جمع معلومات هامة ودقيقة عن حياة المجرمين، ويحاول أن يطور علاقته مع المبحوثين ويخفي عنهم صفته كباحث. بعد التأكد من نجاحه وقبوله عضواً في الجماعة يبدأ في تسجيل ملاحظاته. هذه الطريقة تحتاج إلى مهارات عالية في الملاحظة والتدوين. ويتطلب من الباحث إتقان مهارات محددة حتى يستطيع الانخراط في الجماعة، ويتوفر لديه الاستعداد للقيام بأعمال وتصرفات غريبة وبعيدة عن تخصصه. إلا أن هذه الطريقة تعتبر من أصعب الطرق، وقليل جداً من يلجأ إليها من الباحثين.

(٦) الطريقة التجريبية:

تشبه إلى حد ما التجربة في العلوم الطبيعية، إلا أن التحكم في العوامل الاجتماعية يكون أقل دقة مما هي عليه العلوم الطبيعية. في هذه الطريقة يتم اختبار الفرضيات المفسرة لأسباب الجريمة والانحراف.

العوامل المفسرة للسلوك الإجرامي

١. السلوك الإجرامي مكتسب ولا يورث. فالشخص الذي لم يعيش في بيئة إجرامية، ولم يتعامل مع المجرمين لن يتعلم السلوك الإجرامي، ولن يكون مجرماً في المستقبل.
٢. يبحث المجرم عن الثغرات في النصوص القانونية؛ كي يجد له منفذاً عند ارتكابه الجريمة.

٣. ينحرف الشخص عندما يجد من يشجعه على الانحراف والجريمة، ويقلل من مخاطرها، ويحدثه عن النتائج الإيجابية التي يمكن أن يجنيها إن فعل.
٤. يتعلم السلوك الإجرامي من خلال وسائل الإعلام: (السينما، والفضائيات، والصحف، والمجلات، والإذاعة، وألعاب الشبكات الكمبيوترية، ومواقع الإنترنت) التي تنشر أخبار الجريمة.
٥. الفعل الإجرامي يهدف لإشباع حاجة ضرورية يعجز النظام الاجتماعي والاقتصادي القائم عن إشباعها.
٦. الفعل الإجرامي يكون تعبيراً عن القيم، فإن تعارضت القيم التي تعلمها الفرد مع السلوكيات العامة في المجتمع، فإنها تؤدي إلى حالة من الإحباط واليأس عند الفرد، والسخط على المجتمع الذي لم يشبع حاجاته ويحقق طموحاته، ومن ثم قد يُقدّم على ارتكاب الجريمة انتقاماً من المجتمع.

العقوبات المتبعة للحد من الجريمة

١. الإعدام: تعددت وتنوعت عقوبات الإعدام بتعدد وتنوع المجتمعات. أكثر طرق الإعدام انتشاراً في العصور الوسطى: (الحرق، والغمس في الزيت المغلي، والغرق، والخازوق، ودفن الأحياء).
- على سبيل المثال: في سويسرا استخدم الإعدام بـ(الخازوق، ودفن الأحياء، والغرق)، وفي ألمانيا (الحرق، والخازوق). لكن في العصر الحديث بسبب الضغوط المجتمعية، وتوقيع الاتفاقيات والمواثيق الدولية التي عنت بحقوق الإنسان، تراجعت معدلات الإعدام في المجتمعات الغربية، باعتباره انتهاكاً لحق من حقوق الإنسان (حق الحياة)، إلا أن تنفيذها لازال متبعاً في العديد من دول العالم الثالث، لكن بنسب متفاوتة تختلف من دولة لأخرى.

في التقرير السنوي الصادر عن "منظمة العفو الدولية" بين أن إجمالي عدد أحكام الإعدام التي نفذت على مستوى العالم انخفض في سنة ٢٠١٠م مقارنة بالسنوات الماضية، لكن بقت (آسيا والشرق الأوسط) هي المناطق الأكثر تطبيقاً لعقوبة الإعدام. وبلغ إجمالي الدول التي ألغت عقوبة الإعدام خلال الفترة الممتدة ما بين (٢٠٠٠-٢٠١٠م) واحد وثلاثين دولة. والدول التي لا زالت تمارس عقوبة الإعدام هي: (الصين، إيران، السعودية، أمريكا، اليمن).

٢. التعذيب البدني: من صوره: (الكي بالنار، والصلب، والتشويه، والحجز في الحديد والأقفاص، والجلد، والشبح).

٣. الاحتقار الاجتماعي: يستخدم بحق الفرد بهدف التقليل من مكانته الاجتماعية. ويستخدم عادة عند ارتكاب جرائم خفيفة مثل: (السخرية من الطقوس الدينية، ومخالفة العادات والتقاليد الاجتماعية).

٤. النفي والإبعاد: يستخدم عادة بحق المجرمين السياسيين.

٥. الحبس: ليس عقوبة جديدة، بل معروف عند المجتمعات البدائية.

٦. العقوبات المالية: تكون بمصادرة الأموال والأموال، أو فرض غرامات مالية.

٧. التعويض: يتقدم المجني عليه بطلب إلى المحكمة يطالب بتعويضه من الجاني جراء الأضرار التي تعرض لها.

الفصل الثاني

النظريات المفسرة

للانحراف الاجتماعي والجريمة

النظريات المفسرة للانحراف الاجتماعي والجريمة

تعددت الاتجاهات النظرية المفسرة للجريمة بتعدد العوامل المسببة لها. فكان أول ظهور لتلك الاجتهادات في إنجلترا، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. راجت بعد ذلك في أوروبا وأمريكا. أطلق عليها اسم "المدرسة الكلاسيكية" أو "المدرسة التقليدية". وقامت على مبدئي (اللذة والألم) في تفسير الجريمة. تفترض النظرية أن للفرد إرادة حرة، يختار سلوكه بناءً عليها؛ لتحقيق اللذة.

من رواد النظرية الكلاسيكية "بكاريا"، الذي طالب بإيقاع "عقوبة مشددة" على كل من ينتهك حرمة القانون، وأن تكون العقوبة موحدة ومتساوية بحق الجميع بصرف النظر عن: (العمر، والحالة الصحية، والمستوى الاقتصادي، والمركز الاجتماعي، والمستوى التعليمي). ثم غير موقفه في ناحيتين:

❖ استثناء الأطفال والمجانين من العقاب؛ لأنهم لا يستطيعون حساب (الألم واللذة) بتعقل.

❖ حدد العقوبات بشكل ضيق بدلاً من أن تترك على إطلاقها.

الأفكار التي استندت عليها نظرية بكاريا:

١. التأكيد على الطبيعة العقلانية للإنسان.
٢. التأكيد على مبدأ الإرادة الحرة عند الفرد.
٣. التأكيد على أن سلوك الإنسان يسعى إلى تحقيق المنفعة.
٤. التركيز على الأخلاق والمسؤولية.
٥. الاهتمام بالبناء السياسي، وكيف تعامل الدولة رعاياها ومواطنيها.
٦. الاهتمام بالكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان.

المدرسة الكلاسيكية الجديدة

تعد المدرسة الكلاسيكية الجديدة امتداداً للمدرسة الكلاسيكية القديمة، إلا أنها لم تتفق معها في كل ما طرحته من أفكار. فقد اتفقت معها في جوانب، واختلفت في أخرى. فمما اتفقت عليه المدرستان (مبدأ حرية الاختيار، والطبيعة العقلانية). أما الاختلاف يدور حول مسألة (التشدد في القوانين العقابية)، حيث طالبت المدرسة الكلاسيكية الجديدة بمبدأ التخفيف.

أهم أفكار المدرسة الكلاسيكية الجديدة:

- (١) على القضاة أن يأخذوا في الاعتبار الظروف الموضوعية والذاتية معاً عند تقدير الجريمة والعقوبة، وليس الاعتماد على الظروف الذاتية فقط.
- (٢) التمييز بين المجرمين على أساس العمر. فمن هم دون سن السابعة لا يعتبرون مميزين لأفعالهم ولا يسألون عليها جنائياً. بالتالي ليسوا مجرمين.
- (٣) عدم مسألة المرضى العقليين والمكرهين؛ لأنهما فاقدين للإرادة.
- (٤) تخفيف العقوبة إذا ثبت نقصان حرية الفرد. المجرم.
- (٥) تصنيف المجرمين حسب نوع الجريمة، ودرجة الضرر المترتب عليها.
- (٦) دراسة الجريمة من حيث الأسباب والدوافع.

تعتبر "المدرسة الكلاسيكية" بمثابة الأساس الذي تشعبت منه كافة النظريات المفسرة للجريمة. هناك ثلاث اتجاهات رئيسية فسرت الجريمة، هي: (الذاتي، والموضوعي، والتكاملي). فيما يلي الحديث عن هذه الاتجاهات.

أولا/ الاتجاه الذاتي:

يندرج تحت الاتجاه الذاتي، مدرستان، هما: (البيولوجية، والسيكولوجية).

(أ) المدرسة البيولوجية (العضوية):

جوزيف جول:

يعد "جوزيف جول" من رواد المدرسة البيولوجية. الذي انطلق من فرضية أن: "المخ يتأثر بالشكل الداخلي للجمجمة". واعتقد: "أن شكل الجمجمة يساعد في تفسير الجريمة. من منطلق أن السلوك يصدر عن العقل، وأي خلل في العقل ينعكس على سلوك الفرد ويدفعه لارتكاب الجريمة".

ويليام جيمس وكارل لانج:

يرى (جيمس ولانج) أن ردود الفعل الانفعالية كالغضب والتوتر تعمل على توعية الأعصاب، أو الغدد الصماء. لذلك فإن أي عنف ينتج عنه تغير في دقات القلب، والدورة الدموية، وإفرازات في الغدد، فيدرك الفرد ردة الفعل بعد أن يكون قد انتقل إلى الدماغ عن طريق الدفع العصبي، وتنعكس ردة الفعل هذه على الحالة النفسية للفرد.

يؤيد الفكرة السابقة العديد من الأبحاث البيولوجية، حيث تشير إلى وجود مناطق دماغية مسؤولة عن العنف مثل: (الاميغديلا، والهيپوثلاموس)، التي تؤدي استثارها كهربائياً إلى العنف، وهناك بعض النواقل العصبية والهرمونات التي ترتبط بالعنف أشهرها هرمون (التستستيرون)، والناقل العصبي (السيروتونين). وبعض الدراسات تشير إلى أن العنف موروث جزئياً.

لومبروزو:

توصل "لومبروزو" لنظريته من خلال أبحاثه التي أجراها على بعض المجرمين (الأحياء والأموات). استند على منهجين (التجريبي والمقارن) بهدف التوصل إلى نتائج تسمح له بالمقارنة بين المجرم والسوي. وقد أجرى أبحاثه على ثلاثمائة وثلاث وثمانين مجموعة لمجرمين أموات، وحوالي ستمائة مجرماً حياً.

في بداية الأمر اعتبر لومبروزو: "أن الشخص المجرم ورث صفات الإنسان البدائي، يتضح ذلك من خلال شذوذ ملامحه الجسدية". عندما قام بتشريح جثث المجرمين الموتى وجد فراغاً في مؤخرة الجبهة يشبه الفراغ الموجود عند القردة، ما جعله يقول أن المجرم إنسان بدائي. بهذا القول تبين مدى تأثير لومبروزو بنظرية داروين التطورية. الذي أقنع لومبروزو بهذه الفكرة؛ ملاحظاته. أثناء عمله في الجيش الإيطالي، حيث وجد أن الجنود المشاكسين ينفردون بخصائص غير موجودة في غيرهم من الجنود الهادئين. فقد كان المشاكسون يعتادون على وشم أجزاء من أجسادهم بصور مخلتة للآداب، وكتابة عبارات خادشة للحياة. وعند تشريح جثث بعض الأموات منهم لاحظ وجود عيوب خلقية في تكوينهم الجسدي.

لم يتوقف لومبروزو كثيراً عند هذا التفسير فسرعان ما عدل عنه؛ لأنه تبين له أن الكثير من المجرمين لا يوجد في أصولهم واحداً من المجرمين. لذلك اعتبر "أن الاستعداد الكامن للإجرام هو الذي يورث وليس السلوك الإجرامي". وأكد على أهمية العوامل الخارجية في استثارة الدافع والسلوك الإجرامي. والمجرمون يمثلون انحطاطاً نفسياً أو عقلياً أو بيولوجياً.

أنواع المجرمين عند لومبروزو:

◆ النموذج الكامل: فيه خمس سمات انحطاطية أو أكثر.

◆ النموذج غير الكامل: فيه (٣-٥) سمات انحطاطية.

يؤكد لومبروزو أن السمات الانحطاطية ليست هي سبب الجريمة، إنما تميز المجرمين عن الأفراد الأسوياء.

صفات المجرمين عند لومبروزو:

١. طول أو قصر القامة عن الصورة الاعتيادية.
٢. رأس صغير ووجه كبير. يختلف عن المألوف في السلالة.
٣. جبهة صغيرة ومنحدرة.
٤. خط شعر متراجع.
٥. غزارة شعر الرأس والجسم.
٦. بثور في الجبهة والوجه.
٧. وجه عميق التجاويض.
٨. كبر أو صغر حجم الأذان، أو بروزهما بشكل يشبه أذني الشمبانزي.
٩. ضربات على الرأس، وبالأخص في المنطقة الواقعة فوق الأذن اليسرى.
١٠. عظام الجبهة عالية.
١١. حواجب غزيرة تميل للالتقاء فوق الأنف.
١٢. محاجر واسعة وعيون غائرة.
١٣. التواء في الأنف، أو بروزه بشكل يشبه المنقار، أو أنف مسطح.

١٤. شفاه ممتلئة، مع كون الشفة العليا أنحف.

١٥. أسنان قواطع كبيرة، وأسنان غير اعتيادية.

١٦. ذقن صغير أو نحيف.

١٧. أكتاف منحدره مع صدر واسع.

١٨. أذرع طويلة.

١٩. وشم على الجسد.

أصناف المجرمين عند لومبروزو:

١. **المجرم المجنون:** يرتكب الجريمة متأثراً بمرض عقلي. يدخل في هذه الفئة المجرم المصاب بالهستيريا، ومدمن الخمر. ينصح لومبروزو بعلاجهم أو التخلص منهم.

٢. **المجرم الصرعي:** يرتكب الجريمة متأثراً بمرض الصرع، الذي نقل إليه عن طريق الوراثة. هذا النمط من المجرمين قد ينتقل إلى نمط "المجرم المجنون" إذا تطور صرعه إلى حالة المرض العقلي.

٣. **المجرم السيکوباتي:** يرتكب الجريمة متأثراً بالشخصية السيکوباتية^٣، التي تفقده القدرة على التكيف الاجتماعي.

^٣ الشخصية السيکوباتية: هي الشخصية المعتلة نفسياً، وتتسم بعدم النضج الانفعالي لنشأتها في بيوت باردة انفعالياً، أو لضعف في بناء الشخصية؛ بسبب الدلال والحماية الزائدة، بحيث لا يتعلم الفرد منذ فترة الطفولة قمع رغباته فيثبت عند مستوى طفولي من التمرکز حول الذات أو لعدم توفر الأنماط الاجتماعية المقبولة. وتشكل حالات السيکوباتية فئة من فئات الجناح ولكنها من أكثر الفئات تنوعاً واختلافاً.

٤. المجرم بالصدفة: يرتكب الجريمة تحت تأثير ظروف عرضية مرتبطة بالبيئة، أي هذا الصنف ليست لهم ميول واضحة نحو الجريمة.
٥. المجرم بالعاطفة: يرتكب الجريمة لأسباب عاطفية، مثل: (الغيرة، والدفاع عن العرض). هذا الصنف يتسم بالحساسية العالية التي يصعب كبها.
٦. المجرم معتاد الإجرام: محترف الإجرام بسبب عوامل بيئية وليس وراثية.

الانتقادات التي وجهت لنظرية لومبروزو:

- (١) وقعت النظرية في إشكالية التعميم؛ إذ من غير المعقول أن تعمم نتائج دراسة أجريت على عدد محدود من المجرمين على كافة المجرمين.
- (٢) ركز لومبروزو على الجانب العضوي كدافع رئيسي في ارتكاب الجريمة، وأهمل تأثير العوامل الأخرى: (الاقتصادية، والثقافية، والبيئية، والاجتماعية).
- (٣) اعتبر لومبروزو بعض المظاهر مثل: الوشم وتحمل الألم الناجم عنه، والكتابات الماكنة، من صفات المجرمين!!

أرنست هوتون:

أجرى "أرنست هوتون" دراسة مقارنة على مجموعة من المجرمين وأخرى من غير المجرمين (الأسوياء)، حيث بلغ عدد العينة (١٣.٠٠٠) سجيناً من سجون مختلفة في أمريكا. وبلغ مجموع الأسوياء (٣٠٠٠) فرداً. كما قام بدراسة أخرى على عينة مكونة من (٥٦٨٩) فرداً. من خلال هاتين الدراستين توصل إلى الصفات الجسمية التي تميز المجرمين عن الأسوياء، منها:

(١) وجود اختلاف بين المجرمين والأسوياء من حيث الصفات الجسدية. حيث يتميز المجرمون بـ: (الجيبة منخفضة، والأنف ضيق أو عريض، والفك ضيق، والوجه مضغوط).

(٢) تتلاءم التشوهات الجسدية مع تشوهات في القدرات العقلية عند المجرمين.

(٣) تعود التشوهات الجسدية إلى عامل الوراثة وليس نتيجة عوامل أخرى.

(٤) يغلب على عيون المجرمين الألوان (الرمادية)، وعدم تناسق الحدقات، وتتميز حواجبهم بالرفع الكبير، ويندر وجود العيون الزرقاء أو الفاتحة بينهم.

(٥) يتميز المجرمون بالوشم، الذي قل وجوده عند الأسوياء.

(٦) يتميز المجرمون بالشفاه المرتفعة، والفكوك المستوية خاصة عند ضغط أسنان الفك العلوي على أسنان الفك السفلي مقارنة بالأسوياء.

(٧) الأذان الخارجية عند المجرمين ملتوية إلى الداخل، وبروزها وصغر حجمها.

(٨) رقاب المجرمين طويلة، وأكتافهم مائلة وغير أفقية.

أصناف المجرمين والجرائم التي يرتكبونها كما حددها أرنست هوتون:

❖ الطويل نحيف البنية الجسدية: يميل إلى جرائم القتل، والسرقعة المسلحة.

❖ صغير الحجم: يميل إلى جرائم السرقعة، والسطو.

❖ القصير مليء البنية الجسدية: يميل إلى جرائم الاعتداء الجسدي والجنسي، والجرائم الأخلاقية عموماً.

الانتقادات التي وجهت لأرنست هوتون:

❖ لم يعط هوتون اهتماماً كبيراً للعوامل النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية ودورها في ارتكاب الجريمة، إذ اعتمد على العامل البيولوجي فقط.

- ❖ غموض بعض المفاهيم التي استخدمها هوتون.
- ❖ تجاهل هوتون الفروق الفردية بين عينة البحث.

ويليام شيلدون:

وضع "شيلدون" كتابه "الاختلافات في انحراف الشباب"، الذي هو عبارة عن دراسة أجريت على عينة من مائتي فرداً يقيمون في دار تأهيل بولاية "بوسطن" الأمريكية. استغرقت الدراسة ثماني سنوات، في الفترة الممتدة من (١٩٣٩-١٩٤٦م). وبيّن أنه لا يمكن دراسة السلوك الإنساني ما لم يكن الباحث على علم بالجوانب الآتية: (التكوين الجسدي، وتاريخ النمو، والسجلات الطبية، والتحصيل الدراسي، ودرجة الذكاء، والتاريخ العاطفي، والعلاقات الاجتماعية).

ميز شيلدون بين ثلاثة أصناف من المجرمين حسب بنيتهم الجسدية:

- أ- المجرم النحيل: يتصف بضعف النمو العضلي والعظمي.
- ب- المجرم الممتلئ: يتصف باستدارة الجسم، والبشرة ملساء، وضحامة الجهاز الهضمي، وقصر الأطراف.
- ت- المجرم القوي: يتصف باكتمال البناء العظمي والعضلي، وضحامة القامة.

أرنست كرتشمير:

أصناف الناس عند كرتشمير:

- (١) النموذج الضعيف: يتصف بالنقص في الجوانب الجسدية التالية: (الوجه، والرقبة، والعضلات، والهيكل العظمي). من الناحية النفسية يتميزون ب: (البرود العاطفي، والانطواء). قد يصاب هذا النموذج بفقدان الذاكرة مبكراً في حدود (٣٥-٤٠) عاماً.

(٢) النموذج الرياضي: يتصف بالجوانب الجسدية التالية: (قوة البناء الجسدي، والعضلات، والهيكل العظمي). من الناحية النفسية يتصفون بـ: (الاتزان، والثبات، وغير عصبي).

(٣) النموذج الممتلئ: يتصف بالجوانب الجسدية التالية: (الطول المعتدل، والجسم الدائري، والوجه الواسع والناعم، والرقبة الضخمة، والأيدي الناعمة). من الناحية النفسية يتصفون بـ: (المزاح، والمرح، والصدق، واجتماعي).

(٤) النموذج المختلط: يجمع بين الصفات الأنماط الثلاثة سائلة الذكر.

الجدول التالي يوضح الأنماط الجسدية التي وضعها كرتشمير:

م	النموذج	الصفات الجسمية	الصفات النفسية
١	الضعيف	النقص في النواحي الآتية: (الوجه، الرقبة، الجسم، العضلات، العظام، الهيكل العظمي)	البرود العاطفي، الانطواء
٢	الرياضي	قوة البناء الجسدي والعضلات، والعظام والهيكل العظمي	الاتزان، الثبات، غير عصبي، سريع الغضب
٣	الممتلئ	الطول معتدل، الجسم دائري، الوجه واسع وناعم، الرقبة ضخمة، الأيدي ناعمة	المزاح، المرح، الصدق، اجتماعي
٤	المختلط	يجمع بين صفات الأنماط الثلاثة سائلة الذكر	

ربط كرتشمير بين النموذج الجسدي والجريمة، فتوصل إلى:

(١) ينقسم المجرمون إلى نفس الأصناف الأربعة سائلة الذكر، إلا أن نسبة الإجرام تختلف من صنف لآخر، وكانت النسب كالتالي: الضعيف (٤٠-٥٠٪)، الرياضي (٥-١٠٪)، الممتلئ (٢٠٪)، المختلط (٣٪).

(٢) يتميز الممتلئون بالميل نحو الجريمة كلما تخطوا سن (٤٠-٥٠) سنة، ويقلعون عنها بشكل أسرع من غيرهم. أما الضعاف يرتكبون الجريمة في سن متقدمة.

٣) أنواع الجرائم بحسب النموذج:

- أ- الضعاف: جرائم السرقة، والنصب، والاحتيال.
- ب- الرياضيون: جرائم العنف، والجنس.
- ج- الممثلون: جرائم التزييف، والتزوير.
- د- المختلط: الجرائم الجنسية.

(٢) المدرسة السيكلوجية (النفسية):

سيجموند فرويد:

توصل فرويد من خلال تحليله للشخصية، إلى أن الشخصية تتكون من ثلاث قوى رئيسية، هي:

١. **الهو:** يطلق عليها "النفس البدائية". تشمل كل ما هو موروث، بحيث يشتمل على غرائز مثل: (الجنس، والأمن، وإشباع الجوع، وإرواء العطش). يحكمه "اللذة"، يسعى لإشباع الغرائز دون أي اهتمام بوازع ديني، أو رادع اجتماعي، أو ضابط أخلاقي. يرفع شعار: "أريد ما أريد، عندما أريد، وكيفما أريد".
٢. **الأنا:** يسمى "النفس التوفيقية". يوفق بين مطالب **الهو** والبيئة الاجتماعية. يمثل مركز الشعور والتحكم في العواقب. مهمته الحفاظ على الذات.
٣. **الأنا الأعلى:** يسمى "النفس المثالية"، هو بمثابة السلطة الداخلية الذي يدفع الفرد إلى العمل المباح، ويمنعه عن المحظورات والمحرمات.

يعتبر فرويد أن الشخصية السوية تستطيع التوازن بين تلك القوى، وإذا حدث خلل أو صراع بينها، يقع الفرد فريسة للأمراض النفسية والعقلية التي تدفعه إلى الجريمة.

الانتقادات التي وجهت إلى نظرية فرويد:

- أ- مكونات الشخصية الثلاث (الهو، والأنا، والأنا الأعلى)، لا يمكن ملاحظتها أو قياسها. وهي مفاهيم غامضة.
- ب- لا يوجد دليل على العلاقة بين الحالة الداخلية للعقل والسلوك المنحرف.
- ج- لا يوجد ما يثبت العلاقة السببية بين خبرات الطفولة المبكرة والجريمة.
- د- العلاج يحتاج إلى تكاليف مادية كبيرة، ويستغرق وقتاً طويلاً.
- هـ- لم تعط النظرية اهتماماً للعوامل الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والبيئية في تفسير السلوك الإجرامي.

إدلر:

افترض "إدلر" أن الحوافز الاجتماعية هي التي تحرك سلوك الإنسان، فالإنسان يسعى دائماً إلى تحقيق أهدافه. وإذا لم يستطع تحقيقها فإنه يصاب بخيبة أمل وإحباط؛ وسيقع فريسة للصراعات النفسية، ويعيش حالة اغتراب وعزلة اجتماعية، وسخط على الواقع الاجتماعي الذي حرّمه من تحقيق أهدافه. وقد يعبر عن حالة السخط تلك بارتكاب الأفعال الإجرامية.

هيلي وجودارد:

اهتم هيلي وجودارد بمتغير (الضعف العقلي) في تفسير الجريمة، فهما يؤكدان على وجود فوارق بين المجرمين وغير المجرمين من حيث القدرات العقلية. وأن المجرمين يتصفون عادة بالعتة والبلاهة.

فرضيات نظرية هيلي وجودارد:

١. كل المجرمين . تقريباً . لديهم ضعف عقلي.
 ٢. المجرمون "ضعاف العقول" يرتكبون الجرائم ولم يدركوا نتائج أفعالهم.
 ٣. الضعف العقلي يورث، حسب قانون "مندل" في الوراثة.
 ٤. عزل ضعاف العقول هو الوسيلة الفعالة للوقاية من الجريمة.
- تعرض الاتجاه النفسي للانتقادات؛ لأنه ركز على جوانب فردية مثل: (العمر، والنوع، والسلالة، والذكاء، والوراثة، والأمراض العقلية والنفسية)، وأهمل تأثير العوامل الأخرى كالعامل الاجتماعي والاقتصادي.

ثانيا/ الاتجاه الموضوعي:

(١) المدرسة الجغرافية:

يعتبر "عبد الرحمن بن خلدون" في طليعة العلماء الأوائل الذين التفتوا إلى تأثير البيئة الجغرافية والطبيعية على سلوك الإنسان، حيث تحدث في أكثر من موضع في كتابه "المقدمة" عن هذا الموضوع، ونسترشد . على سبيل المثال لا الحصر . بما كتبه في المقدمة الرابعة (أثر الهواء في أخلاق البشر)، إذ يقول:

"قد رأينا من خُلُق السودان على العموم، الخفة والطيش وكثرة الطرب، فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع، موصوفين بالحمق فى كل قطر، والسبب الصحيح فى ذلك أنه تقرر فى موضعه من الحكمة أن طبيعة الفرح والسرور، هى انتشار الروح الحيوانى وتفشيته، وطبيعة الحزن بالعكس، وهو انقباضه وتكاثفه. وتقرر أن الحرارة مفضية للهواء والبخار، مخلخلته له زائدة فى كميته، ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه، وذلك بما يداخل بخار الروح، وتجيء طبيعة الفرح... ولما كان السودان ساكنين فى الإقليم الحار، واستولى الحر على أمزجتهم، وفى أصل تكوينهم، كان فى أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وإقليمهم، فتكون أرواحهم بالقياس إلى أروح أهل الإقليم الرابع^٤ أشد حرا، فتكون أكثر تفشيا، فتكون أسرع فرحا وسرورا، وأكثر انبساطا، ويجيء الطيش على أثر هذه".

هناك العديد من العلماء المحدثين الذين بذلوا جهودا فى كشف العلاقة بين البيئة وارتكاب الفعل الإجرامى. ومن أبرز هذه الجهود:

جيري:

^٤ قسّم الرحالة والجغرافيون الأوائل مثل "بطليموس" العالم إلى سبعة أقاليم من الشمال إلى الجنوب، وبين الإقليم والآخر وضعت خطوط وهمية.

استفاد "جيري" من وظيفته . مديراً للشؤون الوظيفية في فرنسا ؛ في تفسير السلوك الإجرامي. تبين له أن "جرائم الجنايات" ضد الأشخاص تزداد في فصل الصيف عنه في فصل الشتاء، وتزداد في مناطق الجنوب أكثر من مناطق الشمال.

أما "الجرائم ضد الأموال" على العكس، تزداد في فصل الشتاء عنه في فصل الصيف، وتزداد في مناطق الشمال أكثر منه في مناطق الجنوب.

كما بين أن معدلات الجريمة تتغير بتغير الضغط الجوي واتجاه الرياح. وأن الجرائم تكثر في المناطق الجبلية وتقل في مناطق الساحل.

ديكستر:

أجرى "ديكستر" دراسة على أربعين ألف حالة، وتوصل إلى النتائج الآتية:

- (١) تختلف درجة الجريمة كماً ونوعاً باختلاف درجات الحرارة.
- (٢) توجد علاقة عكسية بين "الضغط الجوي ونسبة العنف". عندما يكون الضغط الجوي منخفضاً ترتفع نسبة الجريمة. فسّر ذلك: "انخفاض الضغط الجوي يعقبه عواصف تؤدي لانفعال كثير من الأفراد ينجم عنه ارتكاب الجريمة".
- (٣) يوجد تناسب عكسي بين "درجة الرطوبة والجريمة"، فعندما تكون الرطوبة مرتفعة ينخفض معدل الجريمة. أرجع ذلك أنه بارتفاع الرطوبة يشعر الفرد بالملل والخمول، مما يجعله لا يقوى على ارتكاب الفعل الإجرامي.
- (٤) ترتفع الجرائم مع اعتدال سرعة الرياح، وتنخفض إذا كانت الرياح قوية أو ساكنة.

(٥) تنخفض الجرائم في الأيام الماطرة والمعتمة بسبب كثافة الغيوم، بسبب نقصان الحيوية.

تعرضت المدرسة الجغرافية للانتقادات، بحيث لا يمكن التعويل على العوامل البيئية مثل: (درجات الحرارة، واتجاه الرياح، وفصول السنة) فقط في تفسير الجريمة، وإغفال الجوانب الأخرى كالمستوى التعليمي، والمعيشي، ومكان السكن، والثقافة... إلخ.

(٢) المدرسة الاقتصادية:

احتل العامل الاقتصادي حيزا كبيرا من اهتمام العلماء عند دراستهم وتفسيرهم للجريمة من خلال التركيز على أبعاد: (الدخل، والمهنة، والاستهلاك، وفرص العمل، والبطالة، وإشباع الحاجات، والفقر... إلخ). ومن أبرز هذه الجهود:

بونجر:

يركز بونجر على "إشباع الحاجات". إذ يجب على النظام الاقتصادي إشباع حاجات الأفراد الضرورية، فإن تعذر إشباعها من الممكن أن يقع الأفراد فريسة للانحراف والجريمة.

بكلمات بونجر يقول: "الإنسان يولد وهو مزود بغرائز يرغب في إشباعها، فإذا كانت الظروف الاجتماعية والاقتصادية ملائمة لإشباع هذه الحاجات زادت الغرائز في ضبط السلوك الاجتماعي، وإن كان العكس، أي لا يفلح الفرد في إشباع حاجاته وغرائزه، ضعف لديه قوة الوازع الداخلي، وسيطرت النزعة الأنانية على سلوكه، وبالتالي تدفعه وتحرضه على ارتكاب السلوك الإجرامي لرغبة منه في الانتقام من المجتمع".

نظرية المجازفة الطبقية:

طرح ركلس سؤالاً: لماذا أكثر المجرمين من الفقراء؟ يجب عليه من خلال نظريته التي أطلق عليها اسم "المجازفة الطبقية". حيث يؤكد على أن "المجازفة" تستند على عدة عوامل أهمها: (العمر، والسلالة، والعرق). وأن الفرص بين الأفراد في النظام الرأسمالي ليست متساوية، فهناك فجوة بين الأغنياء والفقراء. حيث يقوم النظام الرأسمالي على الاستغلال، وتكديس الثروة، وزيادة غنى الأغنياء، وتعميق فقر الفقراء، ولا يؤمن بالمساواة الاقتصادية، ولا العدالة التوزيعية للثروة. في ظل الهيمنة الرأسمالية نجد الفقراء هم الأقل حظاً في إشباع حاجاتهم، وأقل مكانة في السلم الاجتماعي.

بناءً على ما سبق، فإن "طبقة الفقراء" أكثر مجازفة ومغامرة من الطبقتين (الغنية والمتوسطة)؛ لأن الفقراء يعتقدون إن لم يكسبوا شيئاً في مغامراتهم ليس لديهم ما يخسرونه، أو يخشون عليه. هم بذلك عكس الأغنياء الذين يحجمون عن المغامرات خشية الخسارة والانهيال إن لم يوفقوا في مغامراتهم.

بما أن الفقراء لا يحظون بمكانة اجتماعية عالية في المجتمع الرأسمالي، فهم فريسة سهلة لإلقاء القبض عليهم وإيداعهم في السجون للتخلص منهم، ناهيك عن عدم قدرتهم توفير محامي الدفاع عنهم.

الاتجاه الماركسي:

الاتجاه الماركسي على النقيض تماماً من الاتجاه الرأسمالي، ينطلق من "الحتمية الاقتصادية"، ويعتمد على العامل الاقتصادي بشكل رئيسي في تفسير الظواهر الاجتماعية، فهو يرجع انتشار الجريمة في المقام الأول إلى الصراع الطبقي بين طبقتي الرأسمالية والبروليتاريا، بسبب عدم عدالة الأولى في توزيع

وسائل الإنتاج والثروة، الأمر الذي يزيد من غنى الطبقة الرأسمالية، ويضعف من شأن طبقة البروليتاريا ويزيدها فقرا على فقرها.

تري الماركسية أن الخلاص من ظلم النظام الرأسمالي يكون من خلال الثورة. لذلك تسعى الرأسمالية للحد من فرص هذه الثورة عن طريق فرض الضرائب وسن التشريعات القانونية التي تحميها.

الاتجاهات الاقتصادية المفسرة للسلوك الإجرامي:

خلص "عدنان الدوري" من خلال إطلاعه على التراث النظري الاقتصادي، بوجود أربع اتجاهات اقتصادية تفسر السلوك الإجرامي، هي:

- (١) دراسات تركز على عوامل اقتصادية مثل: (المواسم، وتقلبات الأسعار).
- (٢) دراسات تركز على درجة عجز الفرد عن إشباع حاجاته الضرورية.
- (٣) دراسات تركز على (المهنة والدخل)، حيث بينت أن الجريمة تكون في أعلى درجاتها عند أصحاب المهن التجارية، وتقل عند المزارعين.
- (٤) دراسات تركز على (البطالة) ودورها في ارتكاب الجريمة.

لم تسلم النظرية الاقتصادية من الانتقادات، كونها ركزت على العامل الاقتصادي وحده في تفسير الجريمة وأغفلت بقية العناصر الأخرى.

(٣) المدرسة الاجتماعية:

نظرية اللامعيارية (الأنومي):

يعتبر "اميل دوركايم" من رواد نظرية اللامعيارية (الأنومي)، الذي رفض تفسيرات المدرسة البيولوجية، والمدرسة النفسية؛ لأنهما ركزتا على العوامل

الذاتية، وأغفلت العوامل الاجتماعية. ويعتبر "الجريمة" ظاهرة اجتماعية في المقام الأول . لكنها ليست سوية .. وأنها موجودة في كل المجتمعات، إلا أنها تختلف من مجتمع لآخر ومن زمان لآخر.

يقدم دوركايم سلسلة من الاقتراحات عند دراسة الجريمة:

- ١- نحن لا نستنكر عملاً لأنه إجرامي؛ إنما هو عمل إجرامي لأننا نستنكره.
- ٢- الجريمة لا يمكن أن تتطور وتنتشر بين أفراد المجتمع بنفس القوة والدرجة.
- ٣- العقوبة مخصصة للتأثير على الناس بهدف تدعيم شعورهم بالتضامن، أكثر مما هي مخصصة للمجرمين، ولتردعهم عن إتيان السلوك الإجرامي.
- ٤- يمكن أن يكون للعقوبة المعنوية بعض الفعالية الرادعة، لكن الشعور بالاشمئزاز والتحقير تجاه الفعل الإجرامي لا يمكن أن يلغ الجريمة.
- ٥- لا وجود للجريمة حيث توجد العقوبة القانونية، في المقابل هناك تصرفات تصل إلى حد الجريمة؛ إلا أنها لا تعتبر فعلاً إجرامياً مثل: (عقوق الوالدين، وشهادة الزور)، ولا يعامل أصحابهما معاملة المجرم ولا ينظر إليها كمجرمين؛ لأنه ليس في القانون ما ينص على عقوبات تجرّم مثل هذه الحالات.

تقوم نظرية دوركايم على فرضيتين:

- كلما زاد التماثل بين أعضاء الجماعة ازدادوا تماسكاً.
- كلما قوي التماسك بين أفراد الجماعة كلما قويت مقاومتهم للجريمة.

أدخل دوركايم العديد من العوامل الاجتماعية التي يمكن الاستناد عليها في تفسير السلوك الإجرامي، مثل: (الدين، واللغة، والقومية). ووضع فرضية تبحث في العلاقة بين (الدين والجريمة). حيث يقول: "توجد علاقة بين الدين (المذهب

البروتستانتية) والجريمة (الانتحار)". للتأكد من صحة هذا الفرض أخذ عينتين: الأولى من المذهب الكاثوليكي (المحافظ)، والأخرى من المذهب البروتستانتي (المتحرر). فخلص إلى أن نسبة الانتحار ترتفع عند البروتستانت، وتنخفض عند الكاثوليك. وأن أبناء المذهب البروتستانتي أكثر شعوراً بـ: (الفردية، والاغتراب، والطموح المادي، والتحرر من الضوابط الاجتماعية).

كما درس دوركايم "ظاهرة الانتحار"، مستخدماً المنهج الإحصائي، والتفسير الإمبريقي. حيث بين أن الانتحار لا يرجع لعوامل (وراثية، أو نفسية، أو جغرافية أو اقتصادية، أو الشعور بالفقر)، إنما يرجع لعوامل اجتماعية. وأكد أن (الانتحار) له علاقة قوية بالفردية، التي هي نقيضة التماسك الاجتماعي.

أصناف الانتحار عند دوركايم:

❖ **الانتحار الأناني:** ينتشر في فترة التغيرات الاجتماعية السريعة، وفي حالة عدم قدرة المجتمع السيطرة على أبنائه. فإنه يؤدي إلى فقدان الأفراد للسند العاطفي والتماسك الاجتماعي، مما يدفعهم للانتحار نتيجة الشعور بالعزلة الاجتماعية والإحباط.

❖ **الانتحار الإيثاري (الغيري):** يكون نتيجة إفراط الفرد إلى الحد الذي يجعله يشعر بأن مصلحة الجماعة هي مصلحته، فهو لا يعتبر نفسه شخصية مستقلة عن الجماعة.

❖ **الانتحار الأنومي (اللامعاري):** يكون نتيجة التغير السريع في عادات وقيم ومعايير المجتمع، مما يجعل الأفراد في حالة تردد وتخطب، وعدم توافق فيما بينهم. بمجرد أن يتحرر الفرد من الضوابط الاجتماعية يكون سلوكه متخطباً بين العديد من النماذج السلوكية، الأمر الذي قد يقوده للانتحار.

نظرية روبرت ميرتون:

تساءل "ميرتون": لماذا يكون شعور النذور تجاه الأفعال المستنكرة غير موزع بشكل متساوي؟ أي حينما يرتكب أبناء الطبقة العليا والوسطى العليا الجريمة لا ينجرون، ولا ينهرون، ولا يعاقبون على جرمهم كما لو ارتكبه أبناء الطبقة الوسطى والدنيا هذا من جهة. من جهة ثانية بعض الجرائم ترتبط بالمكانة الاجتماعية، فالسرقة - مثلاً - عندما تصدر عن أفراد من الطبقة الدنيا المحرومة اقتصادياً، يظهر دعاة تطبيق القانون والمحافظون على السلم والأمن الاجتماعيين ويطالبون بإنزال أشد العقوبات عليهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم، وتكون رادعاً لهم ولأمثالهم. أما فيما يتعلق بـ (جرائم ذوي الياقات البيضاء) الذين يرتكبون جرائم مثل: استيراد اللحوم والأغذية الفاسدة، والأدوية المغشوشة، والإساءة إلى البيئة، والنصب والاحتيال على القانون، والتزوير... إلخ فإن النظرة تختلف، وتخف نبرة المطالبة بإنزال أشد العقوبات عليهم، وقد يغض الطرف عن السرقة عموماً، وفي أحسن الأحوال يفرض على السارق أخف العقوبات أو بفرض غرامة مالية للإفراج عنه. من جهة ثالثة تختلف أساليب وطرق وحجم السرقات عند الطبقتين (العليا والدنيا)، فأبناء الطبقات المحرومة تكون سرقاتهم عادة لإشباع حاجاتهم الضرورية، وهي جرائم خفيفة وصغيرة، أما جرائم ذوي الياقات البيضاء هي جرائم واختلاسات كبيرة تضر بالمصلحة العامة، وتسعى لتحقيق الثراء والغنى الفاحش.

° قال العرب في حكمهم: "ليس من خلة (صفة) للغني مدح إلا وهي للفقير عيب. فإن كان الفقير حلماً قيل بليد.. وإن كان عاقلاً قيل مكار.. وإن كان بليغاً قيل مهذار.. وإن كان ذكياً قيل لنيم.. وإن كان صموتاً قيل غبي.. وإن كان متأنياً قيل جبان.. وإن كان عرافاً قيل متهوراً.. وإن كان جواداً قيل مسرف.. وإن كان مقتصداً قيل بخيل.

افترض "ميرتون" أن ثقافة المجتمع تنقسم إلى مجموعتين. الأولى: ثقافة مشروعة، وتمثل ضغط ثقافي على أفراد المجتمع. والثانية: طرق غير مشروعة لا تسمح بها ثقافة المجتمع المحلي ولا قوانينه.

أفراد المجتمع ينتمون لواحدة من هاتين المجموعتين، مما يعني أن هناك تباينا بين الأفراد في تحقيق أهدافهم وإشباع حاجتهم إما بطريقة مشروعة تحظى بالرضى والقبول الاجتماعي، أو طريقة غير مشروعة تحظى بالرفض الاجتماعي.

أنصاف الانحراف عند ميرتون:

- ١- الانحراف الانتمائي: أي انتماء الفرد المنحرف لبيئة منحرفة منذ الميلاد.
- ٢- الانحراف الانسحابي: يكون عندما يفشل الفرد في مواجهة الواقع الاجتماعي، ويعجز عن تحقيق أهدافه، مما يؤدي إلى التكيف السلبي بتعاطي المخدرات، أو شرب الخمر، أو الاغتراب، والعزلة الاجتماعية... إلخ.
- ٣- الانحراف الثوري: يؤدي بالفرد المنحرف لارتكاب جرائم العنف مثل: (الضرب، والتكسير، والحرق، والإتلاف).
- ٤- الانحراف الطقوسي: هو انحراف غير معيب، يتمثل في تمسك الفرد بالإجراءات الإدارية الروتينية بشكل مفرط لدرجة الانحراف عن المعتاد.

قدم ميرتون تصنيف آخر للانحراف:

- الانحراف المعيب: هو المخالف للقواعد القانونية والدينية. يعتبر مرتكبها مجرماً، ويلقى عقاباً بحكم القانون.
- الانحراف غير المعيب: هو المخالف للعادات والتقاليد الاجتماعية السلبية.

أنواع المنحرفين عند ميرتون:

- المنحرف المنشق: هو الخارج عن العادات والتقاليد الاجتماعية، ولا يعترف بسلطتها. ويمثل شخصية ثورية تسعى إلى تغييرها، وليس تعديلها، ولا يسعى إلى تحقيق مصالح ذاتية، إنما يقصد المصلحة العامة.
- المنحرف الضال: يحاول كتمان انحرافه.

أنماط التكيف عند روبرت ميرتون:

حدد ميرتون أنماط التكيف في خمسة أشكال هي: (الملتزمون، والمخترعون، والطقوسيون، والانسحابيون، والثائرون)، وهي في مواجهة أنماط الانحراف التي تحدثنا عنها سابقا: وقد قدم توصيفا لكل نمط:

(١) الملتزمون: يمثلون الجزء الأكبر من أفراد المجتمع. من سماتهم: الالتزام بقيم المجتمع وثقافته، وإتباع الوسائل المشروعة في تحقيق أهدافهم.

(٢) المخترعون: يرفعون شعار الميكافيللي "الغاية تبرر الوسيلة". يسعون لتحقيق أهدافهم؛ لكن بطرق غير مشروعة. يعتقدون أن النظام الاجتماعي لم يوفر لهم الطرق والوسائل المشروعة للنجاح في حياتهم وتحقيق أهدافهم، لذلك يسعون لابتكار أساليب جديدة "غير مشروعة" تمكنهم من تحقيق أهدافهم. مثال: لجوء الطالب للغش في الامتحان من أجل النجاح، أو لجوء الفرد للسرقة والنصب من أجل الغنى وتحسين وضعه الاقتصادي.

(٣) الطقوسيون: أفراد هذه الشريحة على النقيض تماما من المخترعين. يقبلون على الوسائل المشروعة، ويحترمون العادات والتقاليد الاجتماعية والقوانين، لكن لا يهتمهم الأهداف أو السعي إلى تحقيقها. مثل: الطالب الذي يحترم

الأنظمة والقوانين الجامعية ولا يخالفها، فهو يحضر المحاضرات، ويسدد الرسوم، ويجتاز الامتحانات، إلا أنه لا يهتم بالتخرج بتفوق.

(٤) الانسحابيون: هذا النمط أقل انتشاراً في المجتمع. غير طموحين، يفضلون الانسحاب من المجتمع واللجوء لوسائل مثل: (التسول، والإدمان).

(٥) الثائرون: يرفضون الأهداف الثقافية، على النقيض من الانسحابيين، حيث توجد لهم أهدافهم وقيمهم الخاصة، ويشكلون ثقافة مضادة لثقافة المجتمع، مثل: (الجماعات الثورية).

الانتقادات التي وجهت إلى نظرية ميرتون:

- ❖ أهملت العامل التطبيقي في دراسة الانحراف.
- ❖ اقتصرت دراسة ميرتون على المجتمع الأمريكي، وبالتالي لا يمكن تعميم نتائج الدراسة على كافة المجتمعات.

نظرية كلوراد وأوهلن:

تستند هذه النظرية على متغيري (الطبقة، وبناء الفرص) في المجتمع الأمريكي. وتقوم على فرض أن اغتراب الأفراد عن المعايير الاجتماعية وإتيان سلوك اجتماعي غير مرغوب فيه يترتب عليه الخطوات الآتية:

- ◆ التحرر النسبي من النظم الاجتماعية القائمة لعدم إيمان الفرد بشرعيتها.
- ◆ الإتكالية، أي الاعتماد على الغير في حل المشكلات بدلاً من الاعتماد على النفس.

♦ التزود بالوسائل اللازمة لارتكاب الجريمة، والتدريب عليها جيداً، لتحرر الأفراد من مشاعر الخوف.

♦ اجتناب العقوبة، لذلك يسعى الأفراد للنجاح في اتباع الأساليب غير المشروعة.

يرى أوهلن أن ارتكاب "الشباب" للجريمة يعود إلى شعورهم بالظلم. فكتب يقول: "يميل الجانحون إلى أن يكونوا أشخاصاً تأتيهم فرصة لتأكيد أنفسهم وإثبات ذواتهم في المجتمع، وإذا لم تسنح لهم الفرصة، يتملكهم الشعور بأن الخطأ قائم وموجود في (النظام الاجتماعي) وليس فيهم، وأن هذا النظام يقوم على أسس لا أخلاقية والاختلاس والابتزاز والمحابة والضغطات الاجتماعية. في هذه الحالة يبرر الفرد لنفسه اللجوء إلى وسائل غير مشروعة وغير مقبولة اجتماعياً حتى يثبت ذاته ويشبع حاجاته".

يلاحظ أوهلن أن الجانح الذي يرتكب جريمة لأول مرة . لنفترض السرقة . يشعر بالذنب وتأنيب الضمير؛ لأنه اخترق المعايير الاجتماعية. لكن الفعل الأول يمكن أن يجعله في اتصال مستمر مع جانحين آخرين. ويتحول حينئذ الفعل الإجرامي (السرقة) من الشعور بالذنب والتأنيب، إلى وسيلة لتأكيد الذات، يمكن بسببه أن يستحق الفاعل موافقة وقبول أعضاء المجموعة الجانحة.

نظرية التفكك الاجتماعي:

يعرّف التفكك الاجتماعي: "مجموعة من الاضطرابات التي تصيب النظام الاجتماعي، وهي مصاحبة لعملية التغير الاجتماعي، ولها انعكاسات سلبية على عملية الضبط الاجتماعي في المجتمع".

يُعتَبَرُ عالم الاجتماع الأمريكي "ثورستن سيلين" من رواد النظرية، إذ يُعتَبَرُ التفكك الاجتماعي يساهم بشكل كبير في زيادة نسبة الجريمة في المجتمع. ويعتبر التكافل الاجتماعي أقوى حاجز للتحصن من الجريمة.

يرى العديد من علماء الاجتماع الأمريكي أن الشعب الأمريكي يعيش عزلة اجتماعية اليوم مما كان عليها خلال عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين، وهناك تزايد في أعداد الأفراد الذين لا يمتلكون أي صديق يستطيعون أن يأمنوه على أسرارهم الشخصية. حيث بينت الدراسات أن ربع الشعب الأمريكي بلا صديق يستطيعون أن يناقشوا معه مشاكلهم الشخصية. هذا الرقم ضعيف ما كان عليه سنة ١٩٨٥م. بشكل عام فإن عدد الأمريكيين الذين يملكون أصدقاء يمكن أن يأمنوهم على أسرارهم انخفض من ثلاثة أشخاص إلى شخصين. وبينت الدراسات أيضا أن ذهاب الأمريكيين للنزهة وتناول الطعام في الهواء الطلق قد انخفض بنسبة (٦٠٪) مقارنة بما كان عليه الحال سنة ١٩٦٥م. ويتناول أفراد العائلة العشاء معا أقل مما كان عليه في تلك السنة بنسبة (٤٠٪). في ضوء هذه الظروف الاجتماعية غير السوية فإنه يدعونا للبحث عن أسباب التفكك الاجتماعي.

أسباب التفكك الاجتماعي:

حدد "روبرت سامبسون وبايرون جروفر" العوامل الرئيسية المسببة للتفكك

الاجتماعي، هي:

- ❖ تدني المستوى الاقتصادي.
- ❖ اختلاف الجماعات العرقية.
- ❖ الحراك الاجتماعي.

❖ التفكك الأسري.

استطاع "شو ومكي" توضيح العلاقة بين التغيرات الاجتماعية في المجتمع المحلي والانحراف، فوجدوا عدداً من الصفات:

- ١- انخفاض الكثافة السكانية.
- ٢- ارتفاع نسبة المواليد خارج البلاد.
- ٣- وجود النساء السود على رأس أسرهن في ظل غياب الرجال.
- ٤- اعتماد الكثير من الأسر على المعونات، نتيجة ارتفاع نسبة الفقر، وغياب فرص العمل، وارتفاع معدلات البطالة، وغياب مصادر الدخل المستقرة.
- ٥- ارتفاع معدلات الإيجار، وقلة عدد من يملكون بيوتا خاصة بهم.
- ٦- ارتفاع نسبة التسرب الدراسي.
- ٧- ارتفاع نسبة الوفيات في شريحة الأطفال، بسبب انخفاض درجة الوعي الاجتماعي والصحي.
- ٨- ارتفاع نسبة المصابين بمرض السل والمرض العقلي.
- ٩- ارتفاع معدلات الجريمة في أوساط البالغين.

أشكال التفكك الاجتماعي:

- فشل المؤسسات الاجتماعية في تقوية العلاقات فيما بينها، يعيق تحقيق أهدافها.
- ضعف العلاقات التي تربط الأفراد ببعضهم البعض، مما يعمق الفردية على حساب التماسك الاجتماعي.

- فشل المجتمع في التكيف مع التغيرات الاجتماعية السريعة، وسيطرة النزعة المحافظة.
- فشل المعايير الاجتماعية في توفير طرق مشروعة للأفراد لتحقيق أهدافهم بطريقة مشروعة.

نظرية الضبط الاجتماعي:

يعد مفهوم "الضبط الاجتماعي" من المفاهيم الرئيسية في كتابات علم الاجتماع. أول من استخدمه عالم الاجتماع الأمريكي "إدوارد روس" في كتابه (الضبط الاجتماعي) الذي ألفه في العقد الأخير من القرن التاسع عشر.

إذا كان مفهوم "الضبط الاجتماعي" قد نحتته "روس" إلا أنه استخدم بمسميات عديدة عند الفلاسفة والعلماء منذ عهد بعيد، فقد تحدث عنه أفلاطون في كتاب "الجمهورية"، وتناوله ابن خلدون في "المقدمة"، وفلاسفة العقد الاجتماعي (توماس هوبز، وجان جاك روسو، وجون لوك)، كما تناوله (أوجست كونت، وأميل دوركايم، وماكس فيبر، وكارل ماركس، وهربرت سبنسر... إلخ).

تعريف الضبط الاجتماعي:

❖ إدوارد روس: "هو التسلط الاجتماعي المتعمد على الفرد الذي يهدف إلى تحقيق وظيفة ما في المجتمع".

❖ جوزيف روسك: "هو لفظ عام يشير إلى تلك العمليات التي يتم بمقتضاها تعليم الأفراد قيما وأساليب معينة أو استمالتهم إليها، أو إكراههم على

الانصياع لها سواء كانت هذه العمليات تتم وفق خطة مرسومة وواعية، أم تتم بشكل تلقائي".

❖ روسكو: "هو الضبط الواقع على كل فرد من بقية أعضاء المجتمع لإلزامه بالقيام بواجبه نحو المجتمع لردعه عن السلوك غير الاجتماعي أو السلوك الذي لا يتفق وقواعد النظام في المجتمع".

يتضح من خلال التعريفات السابقة أن الضبط الاجتماعي: "هو قوة تمارسها الجماعة على أفرادها، أو على أفراد جماعة أخرى من أجل الحفاظ على سلامة واستقرار المجتمع، والتمسك بالقيم والتقاليد المتفق عليها اجتماعيا، وهو محاولة لكبح جماح الأفراد المتمردين على ثقافة وقيم المجتمع".

هناك من يميز بين (الضبط الذاتي والضبط الاجتماعي). فيعرف الضبط الذاتي: "هو القوة التي يمارسها الفرد على نفسه من أجل أن يكون سلوكه وفكره متماشيا مع سلوك وثقافة المجتمع الذي يقيم فيه".

على الرغم من التفريق بين الضبط الاجتماعي والضبط الذاتي، فإنه من الصعب وضع حدود فاصلة بينهما، فكلاهما يهدف للحفاظ على سلامة واستقرار وتكامل المجتمع.

أصناف أساليب الضبط الاجتماعي:

١. أساليب نظامية مثل: (الدين، والقانون)، وأساليب غير نظامية مثل: (اللغة، والأدب، والفن).
٢. أساليب مادية مثل: (العقاب الجسدي، والسجن)، وأساليب معنوية مثل: (الدعاية).

٣. أساليب مباشرة مثل: (القانون)، وأساليب غير مباشرة مثل: (الدعاية).

تفسير نظرية الضبط الاجتماعي للجريمة والانحراف الاجتماعي:

تعتقد النظرية أن الانحراف هو نتيجة "التحرر النسبي" من المعايير الاجتماعية والقواعد الأخلاقية التي تحكم وتضبط التفاعل الاجتماعي. وتحاول الإجابة على سؤال: كيف لا ينحرف الأفراد وأمامهم كل المغريات؟!

الأصل في سلوك الأفراد أن يكون معتدلاً وسوياً، وينشأ هذا الاعتدال من قوة المعايير والقيم الاجتماعية وقوانين المجتمع. لكن لو ألغي القانون وغابت أو ضعفت المعايير الاجتماعية، في هذه الحالة تضعف سلطة المجتمع، ولن يكون الاعتدال ماثلاً في سلوك الأفراد، بل سيكون الانحراف هو السمة الغالبة على عليهم؛ لتحقيق شهواتهم ونزواتهم بدون وازع أو رقيب.

تعتمد نظرية الضبط الاجتماعي على دراسات "دوركايم"، الذي أكد على أن الانحراف يتناسب عكسياً مع العلاقة الاجتماعية بين الأفراد. فالمجتمع المتماسك يتضاءل فيه الانحراف، على عكس المجتمع المنحل. وعلى هذا الأساس بنى رواد النظرية رأيهم: "بأن أفراد المجتمع المتماسك من ناحية العلاقات القرابية والإنسانية أكثر طاعة للقانون واتباعاً للقيم الاجتماعية من أفراد المجتمع المتحلل اجتماعياً".

العوامل التي تساعد على منع وقوع الانحراف الاجتماعي والجريمة:

(١) الحفاظ على العلاقات القرابية: شعور الأفراد بعلاقاتهم القرابية القوية يقلل من فرص انحرافهم. فالفرد يشعر بالمسؤولية الاجتماعية والأخلاقية تجاه عائلته وأقاربه، ويحاول أن يعكس صورة طيبة عنه وعنهم، وأن يكون محط

ففر وعر لهم؁ وألا ىركف أفة سلوكفا منفرفة فساء له ولهم. أما الأفراد الذفن لا تربطهم علاقات قرابة قوفة؁ أو لا ففترمون القرابة؁ هم أقل اهتماما بالنتائج السللفة المترتبة على ارتكابهم للأفعال الإفرامفة.

(٢) **الانشغال الاجفماعى:** هو انغماس الفرد فى أنشطف مفففة فستهلك طاقفه الفكرفة والذهنفة والجسدفة؁ مثل: (الخطابة؁ الكتابة؁ ممارسة الألعاب الرفاضفة؁ الإنشاد؁ الرسم؁ الرحلات؁ الدوراء الففرفففة... إلخ). هذا الأنشطة تقلل من فرص انحراف الفرد؁ أما الأفراد الذفن لفس لهم عمل أو هوافة فشفلون به أوقات فراغهم؁ غالباً ما فصول لهم أنفسهم ارتكاب أفعال منفرفة؁ وففتح لهم أبواب الانحراف على مصراعفها.

(٣) **الالفزام:** اسفثمار الأفراد أموالهم فى المصالح الففارفة والمشروعات الاسفثمارفة فى المجتمع. ولا شك أن المصالح الففارفة لهؤلاء الأفراد فقفضى دعم القانون والمحافظة على سلامة النظام الاجفماعى؛ لأن أفة فوضى فى المجتمع فتلحق الضرر بهم وبمصالحهم الففارفة. أما الذفن لا فملكون الأموال أو لا اسفثمارات لهم فى المجتمع؁ معرضون للانحراف أكثر من فرهم؛ لأنه لفس لفدهم ما ففخون ضفاعة أو كساده.

(٤) **الالفزام الففنى:** الففن فشف فففرى موجود فى كافة المجتمعات؁ بفصرف النظر إن كان سماوفا أو فنفوفا. فمفع الأفان ففعو معففقفها للالفزام بالقم والمبادئ الإنسانفة والأخلافة الحسنة؁ والفمسك بقم العدل؁ والخفر؁ والإحسان؁ والبر؁ والصفقة... إلخ. كما أنها فحارب الرذلفة والفساء

^٦ الففن هو: "الرباط الذى ففصل الإنسان باله"؁ أو هو: "الشعور بواجباتنا من ففث كونها قائمة على أوامر إلهفة". بفعنى آخر الففن هو علاقة بفن طرففن؁ الأول هو صاحب السلطان والأوامر والفوففها؁ والطرف الففنى الخاضع والمطفع والمنفذ لأوامر الطرف الأول.

الأخلاقي، وتمنع الجريمة. فأصحاب الأديان يسعون دائماً للتمسك بالشعائر والتعليمات الدينية حتى ينالوا رضا الآلهة والابتعاد عن سخطها وتجنب عذابها، لذلك تجدهم يحرمون كافة الأفعال الإجرامية ويبتعدوا عن الوقوع فيها لما لها من نتائج سلبية تؤثر على سلامة التماسك الاجتماعي، فضلاً عن أنها تخالف الشرائع الدينية.

نظرية الإلصاق الاجتماعي:

ترى نظرية الإلصاق الاجتماعي أن الانحراف الاجتماعي ناتج عن نجاح مجموعة من الأفراد بالإشارة إلى أفراد آخرين أنهم منحرفون. على سبيل المثال: إذا ألصقت المجتمعات الغربية فكرة (التخلف) بدول العالم الثالث، وكرروها في إعلامهم، وخطابهم السياسي. تصبح جميع دول العالم الثالث متخلفة في نظر الغربيين، وإن كان الواقع يخالف ذلك.

تقسّم النظرية الإلصاق الاجتماعي الانحراف إلى قسمين:

❖ **الانحراف المستور:** يرتكب أغلب الأفراد في موقف ما من حياتهم أفعالاً مخالفة للقانون أو المعايير الاجتماعية، ويبقى الفعل مستوراً دون أن يكتشفه أحد.

❖ **الانحراف الظاهر:** عندما يتهم فرد بالانحراف علناً، يترتب على هذا الاتهام آثار نفسية سلبية، فيتبدل الفرد المتهم تبديلاً جذرياً. فإذا ألصقت تهمة السرقة بشخص ما فإنه يشعر بالإهانة والذل؛ لأن الآثار المترتبة على انحرافه تعني:

أولاً: إنزال العقوبات التي أقرها القانون.

ثانياً: افتضاح أمره أمام الناس.

ثالثاً: انعكاس ذلك على علاقاته الاجتماعية.

إن الصفات القاسية التي يستخدمها النظام ضد المنحرفين كصفة الكذب، أو السرقة، أو القتل، أو الزنا إنما وضعت لإلصاقها بهؤلاء الأفراد. هذا الإلصاق هو الذي يعرف المجتمع بانحرافهم عن النظام المقرر. على هذا الأساس يتصرف المنحرف بقبوله الاجتماعي ورضوخه للعقوبة الصادرة بحقه. ولو كان المجتمع لا يعترف بهذا الإلصاق لما أصبح المنحرف منحرفاً، ولما قبل المنحرف بالعقوبة الصادرة بحقه ولا اعتبرها إجحافاً بحقه. فالزنا في المجتمع الإسلامي يعتبر جريمة، يستحق مرتكبه عقوبة جسدية. أما في المجتمع الغربي لا يعتبر كذلك، بل يعتبر قضية شخصية، وليست انحرافاً إذا كان برضا الطرفين.

الانتقادات التي وجهت إلى نظرية الإلصاق الاجتماعي:

❖ النظرية تبرر "الانحراف المستور". الانحراف هو انحراف سواء كان في السر أو في العلن. مثلاً السارق يعد سارقاً بغض النظر إن ألصقت به التهمة أو لم تلصق.

❖ النظرية تعطي مبرراً لاستمرار الانحراف. فالمنحرف يجد عذراً بإلقاء سبب انحرافه على المجتمع، ويبرئ نفسه من الجريمة. وهذا يتنافى مع أصول التجريم الذي يأخذ الدافع الذاتي والنية المسبقة بعين الاعتبار.

(٤) المدرسة السلوكية الاجتماعية:

يعتمد أصحاب المدرسة السلوكية على بعض أنماط السلوك التي تفسير الجريمة. من رواد هذه المدرسة "جبرائيل تارد"، الذي ركز على "المحاكاة والتقليد". وينضوي تحت هذه المدرسة عدة نظريات، هي:

نظرية التقليد:

تنطلق نظرية التقليد من فرض: "أن الإنسان مقلد لسلوك من يتفاعل معهم". وعليه؛ فإن السلوك الإجرامي سلوك مكتسب مثل أنماط السلوك الأخرى، إلا أنه غير سوي. وتنظر النظرية إلى المجرم أنه مثل أي فرد في المجتمع من حيث السمات الشخصية والجسمية والعرقية، وما إجرامه إلا نتيجة تفاعله مع أفراد مجرمين.

قوانين التقليد:

❖ يتم التقليد من أعلى لأسفل. أي أبناء الطبقة الدنيا يقلدون أبناء الطبقات العليا، والصغار يقلدون الكبار.

❖ تكون قوة التقليد حسب قوة العلاقة بين المُقلد والمُقلد.

❖ أنماط السلوك تتداخل وتتطور، وكذلك الجريمة. فإن المتغير هو أسلوب الجريمة وليس الجريمة ذاتها. فالقاتل مجرم لا يختلف اثنان في تجريمه، لكن وسائل القتل تختلف من حالة لأخرى، فقد يرتكب بوسيلة من الوسائل الآتية: (الطعن بسكين، أو إطلاق نار من بندقية، أو سقوط من علو، أو دهس بسيارة، أو دس السم في طعام أو شراب، أو زيادة الجرعة الدوائية... إلخ).

الجدير بالذكر، أن نظرية التقليد لا تفسر الجريمة، بقدر ما تقدم تفسيرات لانتشار الجريمة من خلال التقليد.

نظرية الاختلاط التفاضلي:

تقوم نظرية الاختلاط التفاضلي على تسلسل الأفكار الآتية:

١. يتأثر سلوك الفرد بما يدور حوله في المجتمع، من خلال التفاعل الاجتماعي.

٢. تختلف درجة التأثير بحسب قوة العلاقات، والانتماء إلى الواقع الاجتماعي.
٣. أي مجتمع يمر في حالة تغير اجتماعي سريع؛ معرض للتفكك الاجتماعي.
٤. كل فرد ينتمي إلى جماعة، بالتالي كل جماعة تترك أثراً في الفرد سواء كانت جماعة أولية مثل: (الأسرة)، أو ثانوية مثل: (الرفاق، والنوادي). إلا أن الجماعات الأولية يكون تأثيرها أشد وأبلغ من الجماعات الثانوية.
٥. المجتمع مقسم إلى مجموعتين: الأولى ضابطة متمسكة بقواعد وقيم المجتمع، وأخرى مفككة لا تحترم قواعد وقوانين المجتمع. بدون شك من يختلط بالجماعات المفككة فإنها تغرس فيه الأخلاقيات المشينة والصفات الرذيلة، وتعلمه أنماط السلوك المنحرفة، وتحرضه على ارتكاب الجريمة لاسيما في مراحل عمرية مبكرة.
٦. الفرد في السنوات الأولى من عمره يكتسب سلوكه عن طريق التفاعل الجبري أو الطوعي أو بالصدفة، أو الاتصال الشفهي، أو الاتصال الرمزي.
٧. وعليه، فإن الجريمة سلوك مكتسب. متعلم، وليس موروثاً نتيجة مرض أو خلل في التركيبة النفسية والعقلية للفرد.

مميزات نظرية الاختلاط التفاضلي:

- ❖ تتسم نظرية الاختلاط التفاضلي أنها محاولة علمية لعقد مقارنة بين النظريات السابقة التي حاولت تفسير الجريمة.
- ❖ تتسم النظرية بترتيب هرمي لفرضياتها.
- ❖ لجأت النظرية لاستخدام مفاهيم شائعة لا يختلف على مدلولاتها ومعانيها.
- ❖ تعتبر نظرية متحررة من الزمان والمكان، بالتالي يصلح تطبيقها في كل مكان.

سلبيات نظرية الاختلاط التفاضلي:

- لا تعالج النظرية ديناميكية الجريمة، أي لم تتطرق إلى تغير أساليب ووسائل الجريمة عبر الزمان والمكان.
- لا تبعد كثيرا في أفكارها عن نظريتي (التفكك والضبط الاجتماعي).

(II) المدرسة الثقافية الاجتماعية:

نظرية صراع الثقافات:

يحدث الصراع الثقافى عندما تتعرض المجتمعات إلى تغير اجتماعي سريع، التي تقسم المجتمع إلى فريقين. الأول يؤيد التغير ويدافع عنه، والآخر يرفض التغير ويحاربه. وقد يكون الصراع داخليا مثل: (الصراع بين ثقافة الريف وثقافة الحضر، أو الصراع بين ثقافة التقدم و ثقافة التخلف، أو الصراع بين ثقافة الآباء و ثقافة الأبناء، أو الصراع بين ثقافة الذكور و ثقافة الإناث)، وقد يكون خارجيا مثل: (الصراع بين ثقافة المستعمر و ثقافة المستعمر، أو الغزو والاختراق الثقافى).

العوامل التي تؤدي إلى الصراع الثقافى:

- ❖ التغير الاجتماعي السريع.
- ❖ تدخل عناصر ثقافية من خلال الانتشار الثقافى ولم تحظ بالقبول في النسق الثقافى العام.

تقوم نظرية صراع الثقافات على فرضية: الصراع الثقافى يؤدي إلى خلق حالة من الفوضى والتفكك داخل المجتمع، وتجعل بعض الأفراد يبحثون عن أنماط سلوكية تناسبهم، وإن كانت غير مقبولة اجتماعيا. هذا راجع لغياب السبل الثقافية التي تحقق للأفراد طموحاتهم، الأمر الذي يدفعهم لابتكار أساليب جديدة لتحقيق أهدافهم. بغض النظر عن إن كانت خيرة أو سيئة..

السؤال الذي لم تجب عنه النظرية: لماذا تنتشر الجريمة في المجتمعات الريفية على الرغم من قلة الصراع الثقافى؟ الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى مزيد من الدراسات والأبحاث حول واقع وحياة هذه المجتمعات.

نظرية الثقافات الفرعية:

يعتبر (كوهن) من رواد نظرية الثقافة الفرعية. الذي ركز على دراسة ثقافة الجانحين في كتابه "الأولاد المنحرفون"، بهدف التعرف على أسباب وأشكال انحراف الجانحين، من منطلق أن كل فئة جانحة تكون لها "ثقافة فرعية" خاصة بها، يستمدون منها الشعور بالانتماء، وتبرر سلوكهم الإجرامي.

أوضح كوهن كيفية تكوين الثقافة الفرعية الخاصة بالجانحين بقوله: "أن أطفال الطبقة العاملة يعانون من مشكلات أشد من تلك التي يعاني منها أبناء الطبقة المتوسطة، وأبناء الطبقة المتوسطة يعانون من مشكلات أشد من تلك التي يعاني منها أبناء الطبقة العليا". وتبين له أن المعايير المستخدمة عند الطبقة المتوسطة هي نفسها المتبعة في الحكم على سلوكيات أطفال الطبقة الدنيا في المدرسة والنادي وغيرهما من المؤسسات التي يتعامل فيها الأطفال. ولأن أطفال الطبقة الدنيا لا يشعرون بالقبول والرضى الاجتماعي ممن هم حولهم، فهم يسعون إلى تشكيل ثقافة فرعية خاصة بهم تميزهم عن غيرهم.

نظرية ميللر في الثقافة الفرعية:

تتلخص نظرية ميللر في النقاط الآتية:

١. يتكون المجتمع من طبقات متباينة، ولكل طبقة نمط ثقافة خاص بها.
٢. تختلف الملامح الثقافية الفرعية عند الطبقتين الوسطى والدنيا.
٣. بسبب سيطرة الثقافة الفرعية للطبقة الوسطى على الطبقة الدنيا، يوجد صراع من قبل أبناء الطبقة الدنيا مع الثقافة المسيطرة.
٤. قيم أبناء الطبقة الدنيا تقودهم إلى الانحراف الاجتماعي في ضوء معايير الطبقة الوسطى، إلا أن ما يعتبر انحرافاً عند الطبقة الوسطى يعد سلوكاً مقبولاً عند الطبقة الدنيا.
٥. الثقافات الفرعية عند الطبقة الدنيا لديها اهتمامات تؤثر على السلوك، منها: (الرجولة، الإثارة، القدرية، الاستقلالية).
٦. معظم أبناء الطبقة الفقيرة تربوا في بيوت افتقدوا فيها لوجود رجل، بالتالي فإن تعلم سلوك الرجال وأدوارهم الاجتماعية فرض مشاكل خاصة.
٧. عصابات الشباب تقدم إطاراً يتم من خلاله تعلم أدوار الرجال البالغين، وتقدم فوائد نفسية مثل: (الشعور بالانتماء، منح الفرص، تحسين الذات).
٨. معظم جرائم أفراد الطبقات الفقيرة جزء من محاولات تحقيق أهدافهم.

مميزات الثقافة الفرعية:

١. تظهر الثقافة الفرعية في المجتمعات التي تتميز بدرجة عالية من التباين الاجتماعي.

٢. تشترك الثقافة الفرعية مع الثقافة الأساسية في السمات العامة، وتختلف عنها في السمات الخاصة (الفرعية).
٣. تختلف الثقافات الفرعية حسب (المرحلة العمرية، المهنة، الأحياء السكنية، عصابات المراهقين، مدمني الخمر والمخدرات، المصابين بالتهوية الجنسية، المجرمين والمنحرفين). بمعنى آخر، أن المجتمعات الحديثة تضم العديد من الثقافات الفرعية المتصارعة والمتباينة.
٤. تتميز الثقافة الفرعية بتميز أساليب التنشئة، والانتماءات الطبقية.

أنواع الثقافات العامة:

- ❖ الثقافة السائدة: هي الثقافة العامة المشتركة بين كافة أفراد المجتمع.
- ❖ الثقافات الفرعية: ضمن الثقافة العامة، مثل: (ثقافة الريف، والحضر).
- ❖ الثقافة المضادة: تتناقض مع الثقافة العامة، وتدخل في صراع معها.

شروط تكوين الثقافة الفرعية:

١. انحراف القيم الاجتماعية من وجهة نظر الفرد، واتفاقها مع قيم الأقران.
٢. استخدام لغة مشتركة عن طريق الألفاظ سواء في الحديث أو الكتابة.
٣. ارتفاع معدلات القيم المنحرفة المشتركة بين أعضاء الجماعة يرتبط بارتفاع معدلات المعلومات عن الألفاظ اللغوية.
٤. تتمثل الثقافة الفرعية في شبكة التفاعل القائمة بين مجموعات من الأفراد سواء كانت معلنة أو غير معلنة.
٥. لكل عنصر من العناصر الثقافية قضايا أساسية مميزة عن القضايا الأخرى.
٦. أفراد الثقافة الفرعية يعانون من نفس المشكلة.

٧. الففافة الفرعية تسعى لمعالجة مشكلة من مشكلات أصحاب الففافة الفرعية.

٨. الففافة الفرعية لا تكون مقبولة .فأغلبها . مع الففافة العامة للمفتمع ، لأن ففها العففد من السلوكفات الفف تتصارع وتعارض مع الففافة العامة.

الففم الفف على أساسها فمكن قفاس الففم الفرطفة والمشفركة عند المنحرففن:

(١) مقفرة الشفص على كتمان أسرار الجماعة المنفمف إليها ، وعدم البوح بها.

(٢) اتسام الفرد بالخشونة والغلظة.

(٣) قفرة الفرد فف الحصول على جرعات مخفرة أو عقار هلوسة أو كحول.

(٤) قفرة الفرد على اتخاذ أفسر الطرق للحصول على المال.

(٥) قفرة الفرد على استغلال الآخرين.

(٦) قفرة الفرد على الاتصال بفئات النصابفن والمحتالفن والمنحرففن.

(٧) قفرة الفرد على كسب تأففد جماعةه وتقفرها.

(٨) قفرة الفرد على الففوق فف مففان نشاطات الجماعة الفف ففتمف إليها.

مفطلفات دراسة الففافة الفرعية:

(١) الففلفل الفارفف لفطور الففافة الفرعية ، وعلاقتها بمشكلات المفتمع العامة.

(٢) ففلفل الاستجابات المفتمعفة للففافات الفرعية.

(٣) دراسة الفارفخ الأخلاقف للففافات الفرعية.

(٤) ففلفل الففظم الاجفماعي للففافة الفرعية ، ففكون على مففوففن:

❖ المستوى الأول: العلاقة بين الثقافة الفرعية والبناء الاجتماعي.

❖ المستوى الثاني: أثر الثقافة الفرعية في التفاعل الاجتماعي الداخلي.

(٥) دراسة حالات الاستمرار والإخفاق التي تمر فيها الثقافة الفرعية، لأن هناك ثقافات جامدة وأخرى ديناميّة.

الانتقادات التي وجهت إلى نظرية الثقافات الفرعية:

❖ لم تشر النظرية إلى الأفراد الذين وقعوا في الجريمة لمرة واحدة أو بالصدفة.

❖ اهتمت النظرية بجماعة (الأقران)، وأهملت الجماعات الأخرى مثل: (الأسرة والمدرسة والنادي) والتي يكون لها تأثير كبير في تكوين ثقافة الطفل.

نظرية الانتقال الانحرافي:

تعتقد نظرية الانتقال الانحرافي أن انحراف السلوك مكتسب من خلال التفاعل الاجتماعي. وتقوم على الفكرة القائلة: "أن مستوى الجريمة في مدينة ما يبقى مستقرًا لسنوات عديدة ضمن نسبها المثوية". أي الانحراف إذا ظهر في مجتمع ما فإنه يستمر حتى يتعمق في البناء الثقافي والاجتماعي، وينتقل من فرد لآخر، ومن جيل لآخر دون أن يتغير الدافع الذي يؤدي لارتكاب الجريمة.

وعليه، فإن الطابع الإجرامي لمجموعة المنحرفين يساهم في اتساع دائرة الانحراف عن طريق استقطاب أفراد جدد. حيث يشبه رواد النظرية الانحراف بالمغناطيس الذي يجذب إليه نشارة الحديد فحسب، ويترك نشارة الخشب.

عندما يدخل الفرد المؤهل للانحراف في الجماعة المنحرفة يوضع تحت الاختبار مدة من الزمن، ثم يُقيّم من قبل الجماعة، فإذا نجح في الاختبار قبل، وإن لم يفلح يُرفض.

خذ على سبيل المثال: يعتبر عمل المهربين جريمة؛ لأن التهريب يخالف القانون وقواعد المجتمع. على عكس نظرة المهربين لأنفسهم. فهم لا يعتبرون أنفسهم مجرمين. بل يعتبرون الجريمة تنبع من المجتمع الذي يساهم في تجريمهم ولم يوفر لهم سبل العيش الكريم لتحقيق أهدافهم وإشباع حاجاتهم، لذلك يستخدمون التهريب وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية لهم ولذويهم. والدليل أن أغلب المجرمين يرجعون لسابق عهدهم في الإجرام بعدما يطلق سراحهم من السجون وانقضاء مدة العقوبة.

العوامل التي تؤدي إلى ارتكاب الجريمة:

- ◆ العلاقات الاجتماعية: ارتباط الفرد بالمنحرفين عن طريق الصداقة.
- ◆ عامل العمر: إذا تربى ونشأ الفرد في بيئة منحرفة، فإن شخصيته تكون أكثر تقبلاً للانحراف من شيخ طاعن في السن.
- ◆ النسبية: كلما كانت نسبة اتصال الفرد وانفتاحه على المنحرفين كلما أكبر كانت فرص الانحراف أعظم، والعكس صحيح.

نقد نظرية الانتقال الانحرافي:

١. لم تشر النظرية إلى جميع العوامل التي تقف وراء ارتكاب الجريمة والالتحاق بالجماعات المنحرفة.
٢. هناك أفراد يعيشون في بيئة شديدة الانحراف ويلتقون بأفراد منحرفين، لكنهم لا ينشأون نشأة إجرامية. بل هناك أفراداً من الطبقة الغنية لا يرتبطون بأية فئة منحرفة، ثم ينشأون نشأة إجرامية، فكيف تفسر النظرية هذا السلوك الإجرامي؟

٣. الانحراف . عموماً . لا يحتاج إلى معلم. فالسارق الجائع يعرف بالغريزة كيف يسرق، والقاتل يعرف بالغريزة كيف يقتل. وفي كل هذه الجرائم يكون الدافع إلى ارتكاب الجريمة أهم من الفعل الإجرامي نفسه.
٤. لم تبحث النظرية في تحليل دوافع الانحراف، وكشف أسباب نشوء الجريمة، بل حاولت أن تركز جهدها في تفسير وسائل الجريمة.

نظرية الوصمة الاجتماعية:

تقوم النظرية على فرضيتين:

- ❖ الأولى: اختلاف الأحكام التي يطلقها كل من الأفراد والجماعات على بعض الأنماط السلوكية. فما يعتبره الأفراد سلوكاً اجتماعياً سليماً، تعتبره الجماعة سلوكاً غير مقبول، وهذا ما يطلق عليه (الوصمة الاجتماعية).
 - ❖ الثانية: الأبعاد السلبية لقوة الضبط الاجتماعي على الأفراد؛ قد تدفعهم لارتكاب الجرائم، بعد فقدانهم ما كانوا يسعون إليه من حسن السير والسلوك.
- يقول لمبرت: "كما أن ضعف وسائل الضبط الاجتماعي تؤدي إلى الجريمة، فإن الإفراط في استخدام أساليب ووسائل الضبط الاجتماعي تدفع الأفراد لارتكاب السلوك الإجرامي".

هذه النظرة قد تحمل جانباً من الصواب، إلا أننا لا نستطيع تعميمها على كل الحالات. وهي تعكس جانباً يبين أسباب ارتكاب السلوك الإجرامي.

(٦) نظرية التفاعلية الرمزية:

يعتبر كل من: (جورج هاربرت ميد، وهاربرت بلومر) من الأقطاب الرئيسية في نظرية التفاعلية الرمزية. تقوم النظرية على فرضية رئيسية، هي: "أن الفرد يعيش في عالم تحيطه الرموز، التي يتعلمها من التفاعل الاجتماعي، ويحاول توظيفها في التعبير عن انفعالاته، وإشباع حاجاته النفسية والاجتماعية والبيولوجية". من هذه الرموز - مثلاً -: (اللغة، تحريك الرأس تعبيراً عن القبول أو الرفض أو الإعجاب، الابتسامة تعبيراً عن الفرح، البكاء تعبيراً عن الحزن... إلخ). بالتالي سلوك الفرد هو انعكاس للرموز التي يستخدمها في التفاعل الاجتماعي.

تركز النظرية بشكل كبير على التفاعل الأسري، من خلال المراكز والأدوار الاجتماعية الأسرية. بالتالي فإن تصورات الفرد عن ذاته هي انعكاس لتفاعلات الفرد مع أسرته.

وفيما يلي سنتحدث عن أهم أفكار أقطاب نظرية التفاعلية الرمزية، وهما (جورج هاربرت ميد، وهاربرت بلومر):

أولاً/ جورج هاربرت ميد:

اعتبر "ميد" (اللغة) ميزة تميز الإنسان عن بقية الكائنات الحية. التي ظهرت نتيجة تفاعل بين أفراد المجتمع، ويستخدمها الفرد للتعبير عن مشاعره وانفعالاته ومطالبه. فالطفل حينما يولد في بيئة مليئة بالرموز فإنه يلاحظها ويحاول تقليدها واستخدامها في المواقف المشابهة. فيقلد الطفل حركات والديه.

مراحل تطور النفس البشرية عند جورج هاربرت ميد:

يُبين "ميد" أن النفس البشرية تمر في ثلاث مراحل، هي:

- ❖ المرحلة الأولى: يقوم الطفل بتقليد الأدوار الاجتماعية المحيطة به مثل: (دور الأب، والأم، والأخوة، والأقارب)، وتبدأ بعد السنة الثانية من عمر الطفل.
- ❖ المرحلة الثانية: تتسع مدارك الطفل، وتتوسع علاقاته الاجتماعية، ويبدأ في تقليد دور المعلم أو الممثل، وتبدأ بعد السنة الثالثة من عمر الطفل.
- ❖ المرحلة الثالثة: يبدأ الطفل يهتم بالقيم الاجتماعية والأخلاقية والضوابط الاجتماعية. كما يهتم بأراء وتقييمات الآخرين له، ويحاول أن يظهر في أحسن صورة حتى يحظى بالرضا والقبول الاجتماعي عندهم.

ثانيا/ هاربرت بلومر:

تتلخص أفكاره في:

١. أفراد المجتمع يتعاملون مع الأشياء على أساس معانيها بالنسبة لهم. هذه الأشياء قد تكون آدمية مثل: (الأب، والأم، والأخوة، والجد، والعم، والخال... إلخ)، وقد تكون جمادات مثل: (الكتاب، والكرسي، والسيارة، والطيارة... إلخ)، وقد تكون نظما اجتماعية مثل: (الدين، والتعليم، والصحة، والصناعة، والتجارة... إلخ)، وقد تكون قيما اجتماعية مثل: (الحرية، والعدالة، والمساواة... إلخ).
٢. أن القيم آتية من التفاعل الاجتماعي، وينظر لها من زاويتين:
 - ❖ وصف الشيء بجوهره، أي المعنى مستمد من الاسم، مثل: (الوردة.. وردة).
 - ❖ وصف الشيء بحسب تركيبة الفرد النفسية والعقلية، فالشاعر والذكريات تختلف من فرد لآخر، ومن موقف اجتماعي لآخر.

٣. هذه المعاني يمكن تناولها وتعديلها من خلال عمليات تفسيرية يستخدمها الفرد أثناء التعامل مع الأشياء.

تفسير نظرية التفاعلية الرمزية للجريمة والانحراف الاجتماعي:

تري التفاعلية الرمزية أن سلوك الجريمة مكتسب من خلال التفاعل الاجتماعي. فالأفراد يتعلمون السلوك الإجرامي من خلال ما يشاهدونه ويعايشونه من أنماط سلوكية منحرفة في البيئة والمحيط الاجتماعي.

(٧) نظرية الإحباط والعدوان:

تقوم نظرية الإحباط والعدوان على فرضية رئيسية، هي: "أن الإحباط له دور رئيسي في تنمية السلوك العدواني". بالتالي فإن السلوك المنحرف والفعل الإجرامي الذي يرتكبه الفرد يكون نتيجة حالات الإحباط التي يتعرض لها في حياته، فكلما ازدادت موجات الإحباط كان الفرد مستعداً لارتكاب. وأكثر مسببات الإحباط هي غياب العدل والمساواة، وعدم قدرة الفرد على تحقيق أهدافه وطموحاته.

يرى أنصار النظرية أن الإحباط ترتفع درجته في المجتمعات الأقل نمواً، والتي لم تستطع إشباع الحاجات الأساسية لأفرادها.

(٨) نظرية السلالة:

أحياناً ينظر إلى الجريمة من منظور السلالة، ففي أمريكا -الولايات الجنوبية تحديداً-، يسود الاعتقاد بأن الزوج سلالة بدائية، يميلون لارتكاب الجريمة أكثر من غيرهم. يقوم هذا الاعتقاد على فكرتين:

❖ الزوج لا يستطيعون التحكم في عواطفهم، وهذا يفسر سبب ارتفاع معدلات الجرائم ضد الأشخاص.

❖ يفقد الزوج إلى الإحساس الأدبي بحقوق الملكية، وهذا يفسر سبب ارتفاع معدلات الجرائم ضد الأموال.

المتغيرات التي يعتمد عليها العلماء الأمريكيان في تفسير الجريمة عند الزوج:

(١) يختلف معدل الجريمة من إقليم لآخر باختلاف معدلات الجماعة الساللية. ففي الولايات الغربية ترتفع معدلات الجريمة عند الزوج مقارنة بالبيض. لكنها تقل في الولايات الشمالية، وتزداد قلة في الولايات الجنوبية.

(٢) تختلف معدلات جرائم الذكور عن جرائم الإناث في السلالة الواحدة.

(٣) تختلف معدلات الجريمة بين السلالات، تبعاً لاختلاف نوع الجريمة. مثلاً: أكثر جرائم الزوج (قتل، ضرب، اعتداء)، وأقلها جرائم (الخطف).

(٤) يختلف معدل الجريمة داخل الجماعة الواحدة بحسب المستوى التعليمي.

(٥) تقل معدلات الجريمة داخل المدن مقارنة بخارجها.

(٦) تقل معدلات نسبة جنوح الأحداث عند بدء استقرار الزوج في الأماكن الفاسدة، وتزداد نسبة الجريمة عندما يستقر بهم المقام وعادة ما يكون بعد خمس سنوات من الإقامة.

(٧) تزيد معدلات عودة الزوج إلى ارتكاب الجريمة مقارنة بعودة البيض.

(٩) نظرية الهجرة:

العديد من العلماء الأمريكيان حاولوا الربط بين الهجرة وارتفاع معدلات الجريمة في أمريكا، وانطلقوا من الفرضيات الآتية:

- (١) يكون المهاجرون من الطبقات الدنيا في البلدان التي يأتون منها.
 - (٢) المهاجرون لم يألّفوا القوانين الأمريكية، بالتالي تكون حياتهم غير مستقرة.
 - (٣) المهاجرون غالباً يكونون من الفقراء، والفقير والحرمان يؤديان إلى عدم الاستقرار الشخصي.
 - (٤) يتميز المهاجرون بالتنقل وعدم الاستقرار في مكان محدد.
- أجرى العلماء الأمريكيان العديد من الدراسات التي أثبتت صحة فروضهم، وكان من أهم النتائج التي توصلوا إليها:
١. إذا تم التقدير على أساس عدد السكان، فإن معدلات إلقاء القبض والسجن تكون بحق البيض المحليين ضعف البيض الأجانب.
 ٢. إذا تم التقدير على أساس السن والجنس، فإن معدلات إلقاء القبض والسجن تتساوى بين البيض المحليين والأجانب.
 ٣. تختلف معدلات الجريمة من جماعة مهاجرة إلى أخرى.
 ٤. تختلف الجماعات المهاجرة في الجرائم التي تتميز بها، فهناك جماعات يزيد عندها شرب الخمر والمسكرات، وأخرى يزيد عندها (الجنايات).
 ٥. تزداد معدلات جريمة المهاجرين، أكثر من ارتكابهم للجرائم في بلادهم.
 ٦. المهاجرون الذين وصلوا إلى الولايات المتحدة في الطفولة ترتفع عندهم الجريمة مقارنة بمن وصلوا في سن البلوغ.
 ٧. يتجه الجيل الثاني من المهاجرين لتغيير أنماط الجرائم التي تتميز بها والديهم.

٨. تزيد معدلات جرائم الجيل الثاني في مواضع وتقل في أخرى.
٩. تنخفض معدلات جرائم الجيل الثاني عندما يستقرون في مجتمع ما، وترتفع معدلات جرائمهم عندما يتواصلون مع الثقافات المحيطة بهم.

ثالثا/ الاتجاه التكاملي:

رفض الاتجاه التكاملي تفسيرات "الاتجاه الذاتي" الذي يفسر الجريمة بالاعتماد على العوامل الذاتية. في ذات الوقت انتقد "الاتجاه الموضوعي" الذي بالغ في إرجاع الجريمة إلى البيئة الخارجية. وحاول أن يتخذ موقفا وسطا . توفيقيا بين الاتجاهين: (الذاتي والموضوعي). وينضوي تحت مظلة الاتجاه التكاملي العديد من الاجتهادات النظرية:

نظرية فيري:

يرى فيري أن ارتكاب الجريمة يرجع نتيجة تفاعل ثلاثة عوامل: (شخصية، واجتماعية، وجغرافية).

نظرية جولد:

يرجع جولد ارتكاب الجريمة لعاملين: "العوامل الذاتية" الكامنة في تركيبة الفرد الداخلية. و"العوامل الخارجية" المتمثلة في البيئة الاجتماعية والطبيعية.

نظرية الاحتواء:

وضع هذه النظرية العالم الأمريكي "ولتر كلس"، الذي أرجع ارتكاب الجريمة إلى فشل عملية الاحتواء الداخلي أو الاحتواء الخارجي أو الاثنين معا.

يقصد بالاحتواء الداخلي: مدى قدرة الأفراد على إشباع رغباتهم بطرق غير مشروعة منافية لمعايير المجتمع. ويظهر هذا الاحتواء في مدى مقاومة الفرد للعوامل الذاتية التي تدفعه إلى ارتكاب الجريمة، مثل: (التوتر والشعور بالذنب والنقص... إلخ). أما الاحتواء الخارجي: يقصد به مدى قدرة الجماعة على جعل معاييرها لها تأثير فعال على سلوك أبنائها، ويظهر هذا الاحتواء عند مقاومة الأفراد لوسائل الضبط الاجتماعي.

نظرية الاستعداد الإجرامي:

وضع هذه النظرية "تيليو"، حيث يعتقد أن بعض الأفراد يحملون الاستعداد لارتكاب الجريمة، وتبقى هذه العوامل كامنة داخل الفرد حتى تواجهه بعض العوامل والمؤثرات الخارجية التي تدفعه إلى ارتكاب السلوك الإجرامي.

يرى "تيليو" أن الجريمة هي نتاج تفاعل ثلاثة عوامل:

- ❖ عوامل نفسية: يقصد بها الميل الفطري عند الإنسان لارتكاب الجريمة.
- ❖ عوامل مهئية: قد تكون داخلية أو خارجية.
- ❖ عوامل منفذة أو دافعة للتنفيذ.

يرى "تيليو" وجود نوعين من الاستعداد لارتكاب الجريمة، الأول: استعداد فطري، والثاني: استعداد مكتسب ومؤقت.

الفصل الثالث

دور مؤسسات التنشئة في تنمية الانحراف والجريمة

التنشئة الاجتماعية

تحظى التنشئة الاجتماعية باهتمام بالغ من قبل الباحثين، وترجع هذه الأهمية لـ "اعتماد جميع المجتمعات في تماسكها وتطورها على ما يتوفر لديها من فهم مشترك للقيم، والعادات والتقاليد التي تسود المجتمع، وتطبع سلوك أفرادها بطابع معين يميزه عن المجتمعات الأخرى، كما أنها توحد بين مشاعر واتجاهات أعضاء المجتمعات الأخرى". والتنشئة الاجتماعية ليست مرتبطة بمرحلة عمرية محددة، بل هي مستمرة. وتأتي أهميتها بشكل كبير في مرحلة الطفولة؛ لأن الطفل يكون في أمس الحاجة إلى من يأخذ بيده ويساعده على الاندماج في المحيط الاجتماعي. والأسرة تمثل حجر الأساس في هذه العملية حيث "تعتبر المجال الاجتماعي الأول في التنشئة الاجتماعية وبناء السلوك حيث أن أول الناس الذين يمارسون مستلزمات التربية والتعليم والتأنييس في تاريخ الفرد هم الأبوان".

تعريف التنشئة الاجتماعية:

تالكوت بارسونز: "عملية تعلم تعتمد على التقليد والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد وهي عملية دمج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية مستمرة".

فوزية دياب: "تحويل الطفل من كائن عضوي حيواني السلوك إلى شخص آدمي بشري التصرف في محيط أفراد آخرين من البشر، يتفاعل بعضهم مع بعض ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التي تبلور طرائقهم في الحياة".

حامد زهران: "عملية تعلم وتعليم وتربية، تهدف إلى إكساب الفرد (طفلاً، فراشداً، فشيخاً) سلوك ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه

من مساهمة جماعته والتوافق الاجتماعي معها، ويكسبه الطابع الاجتماعي ويسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية".

فيلبس: "عملية التي عن طريقها ينمي الفرد بناء الشخصية، وتنقل الثقافة من جيل لآخر".

سيكورد وباكمان: "عملية تفاعل يتعدل عن طريقها سلوك الشخص بحيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها".

خصائص التنشئة الاجتماعية:

- ١- عملية تعلم، تعلم الفرد الأدوار والمعايير الاجتماعية وأنماط السلوك.
- ٢- تحول الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي.
- ٣- تتسم بالدينامية، وتختلف باختلاف الزمان والمكان، وتختلف داخل المجتمع الواحد من طبقة اجتماعية لأخرى.
- ٤- عملية تطور ونمو، تحول الطفل من التمرکز حول الذات إلى فرد قادر على ضبط سلوكه وانفعالاته وإشباع حاجاته.
- ٥- تقوم على التفاعل المتبادل بين مكونات البناء الاجتماعي.

العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية

(١) الطبقة الاجتماعية:

على الرغم من أن المجتمع له ثقافة واحدة، إلا أنها تنقسم إلى مستويات حسب الانتماء الطبقي، الذي بدوره يؤثر على الأفكار والقيم والسلوك التي تغرس وتعلم للناشئة. فأساليب التنشئة عند الطبقة الفقيرة تختلف عن

الطبقة الوسطى، وهاتان الطبقتان أساليبيهما تختلفان عن الطبقة العليا.

بينت الدراسات أن مرحلة الطفولة عند الطبقة الوسطى تمتد أكثر من الطبقة الفقيرة، وأكثر الأساليب استخداماً الإيجابية، في مقدمتها التسامح. أما في الطبقة الفقيرة أكثر الأساليب استخداماً السلبية، في مقدمتها العقاب والتسلط.

(٢) حجم الأسرة:

كلما كبر حجم الأسرة تعقدت العلاقات الأسرية، وانخفضت درجة التواصل الأسري، وقلّ اهتمام الوالدين بإشباع حاجات الأبناء (المادية، أو النفسية والاجتماعية). في المقابل تزداد درجة التفاعل بين الأخوة. ومع كبر حجم الأسرة لا يستطيع الوالدان ضبط عملية التنشئة، فيلجئان لاستخدام الأساليب الخاطئة مثل: (القسوة، والتسلط، والعقاب، والإهمال، واللامبالاة). أما إذا كان حجم الأسرة صغيراً تكون العلاقات في أوثق عراها، ويسودها الحوار والتفاهم، وتعمل الأسرة على إشباع حاجات الأبناء المختلفة.

(٣) المستوى الاقتصادي:

المستوى الاقتصادي للأسرة له كبير الأثر في طريقة التنشئة الاجتماعية، لذلك تجد سلوك الأبناء وتصرفاتهم تختلف من أسرة لأسرة، فأبناء الطبقة العليا سلوكهم مغاير عن سلوك أبناء الطبقة الدنيا.

(٤) المستوى التعليمي:

المستوى التعليمي للوالدين له أثر في طريقة التنشئة، فالوالدان المحرومان من التعليم، أو لديهما حظاً متدنياً من التعليم يختلفان في التعامل مع الأبناء

عن اللذين حصلوا على تعليم عال. فالأولان قد يتبعان أسلوب الشدة، أو الإهمال، أو اللامبالاة، وجهل بالنتائج السلبية المترتبة على ذلك. في حين اللذان حصلوا على تعليم عال تكون طريقة تعاملهما مع الأبناء مختلفة، وهما أقدر على إشباع جميع حاجات الأبناء النفسية والاجتماعية والجسمية بشكل سليم.

الأساليب الوالدية السلبية ودورها في تنمية سلوك الانحراف والجريمة

(١) التسلط:

"يعني المنع والرفض الدائم لرغبات الطفل، والوقوف حائلاً أمام تحقيقه لرغباته". من مظاهره: تحديد جماعة الرفاق، أو الألعاب والهوايات. من النتائج المترتبة عليه: تزييف الواقع، قتل الروح النقدية، بناء شخصية انطوائية، خجول ومضطرب، التمرد على سلطة القانون وتقاليده المجتمع.

(٢) الحماية الزائدة:

قيام أحد الوالدين أو كليهما بالأعمال التي من المفترض أن يؤديها الطفل لوحده، وحرمانه من حرية التصرف في كثير من الأمور. ويتدخل الوالدان في كل شاردة وواردة في حياة الطفل.

النتائج المترتبة عليه: اختلال التوازن في العلاقات الاجتماعية، شخصية مضطربة، غير طموح، غير قادر على اتخاذ القرارات، لا يتحمل النقد، تنعدم عنده روح المنافسة.

(٣) الإهمال:

"يعاني الطفل من أشياء يمكن تجنبها، أو عدم قيام الوالدين أو من يقوم

مقامهما بإشباع حاجاته الضرورية؛ لتحقيق نموه الجسدي والعاطفي والعقلي بشكل سليم". وهذا يفقده حاجة من حاجات التنشئة (الأمن).

صور الإهمال:

- الإهمال الجسدي: عدم الاهتمام بنظافة الطفل، إرغام الطفل على ترك المنزل، الضرب المبرح.
- الإهمال العاطفي: عدم إشعاره بالحب الوالدي، غياب الدفء العاطفي، عدم الاستماع إلى شكواه وآرائه، تحقيره وامتهانه، التقليل من شأنه.
- الإهمال التعليمي: عدم تسجيل الأطفال في المدارس عند بلوغ سن الدراسة، الهروب من المدرسة ولا يقوم الوالدان بأي دور لردعه عن هذا التصرف، عدم متابعة تحصيله الدراسي.

النتائج المترتبة عليه: الانطواء، الخجل الشديد، ضعف التواصل الاجتماعي، تحقير الذات، التخبط، لا يحترم القانون، النزعة التدميرية، التمارض لجذب انتباه الأسرة، فقدان الثقة في النفس.

(٤) الإيذاء النفسي:

هو "كل تصرف خاطئ يمكن أن يترك أثرا سيئا في نفس الطفل".

من صور الإيذاء النفسي: الرفض، الخزي والإهانة، الرعب والتخويف، العزل والحبس، الإفساد، الاستغلال، الحرمان من العاطفة.

النتائج المترتبة عليه: فقدان الثقة في النفس، الانطواء، الخشية من المبادرة، التغير المفاجئ في السلوك، التغيب عن المدرسة، عدم الرغبة في العودة إلى المنزل،

التفاعل السلبي مع المواقف الاجتماعية، النزعة التدميرية، الشعور بالذنب.

(٥) الشدة والقسوة (العقاب):

من أكثر الأساليب إتباعا. العقاب نوعان: المعنوي: تحدثنا عنه في النقطة السابقة، يترك أثراً في النفس ربما يكون أشد وأبلغ من العقاب البدني.

العقاب البدني: يأخذ صوراً عديدة، مثل: (الضرب، فرك الأذن، الجروح، الكسور، الحرق، الحجز، التقييد... إلخ).

اتفقت أغلب الدراسات التربوية، والاجتماعية، والنفسية أن العقاب الجسدي يعمل على طمس السلوك، وليس تعديله. فبمجرد غياب العقاب يعود الفرد لممارسة السلوك الذي عوقب عليه.

من نتائج: الخوف من الصوت المرتفع، التغير المفاجئ في السلوك، التغييب عن المدرسة، عدم الرغبة في العودة للمنزل، عدم الاستمتاع باللعب، سرعة الغضب، العزلة، تأخر النطق، الشعور بالذنب، الخشية من تحمل المسؤولية.

(٦) التذبذب:

يعد التذبذب من أسوأ وأخطر أساليب التنشئة الاجتماعية. يقصد به: "عدم الاتفاق على منهج واحد في التعامل مع الأبناء".

يوجد صنف من الآباء يُوقع العقاب بطفله لأتفه الأسباب، وثاني يتغاضى عن الأخطاء دون توجيه، وثالث يتأرجح بينهما، تارة يكون شديداً قاسياً، وأخرى يكون غير مبال. هذا التذبذب يجعل الطفل في حيرة من أمره، لا يستطيع التمييز بين المقبول والمرفوض اجتماعياً. وقد يأخذ التذبذب شكلاً آخر يتمثل في اختلاف

وجهات نظر الوالدين تجاه السلوك الواحد. تجد الأب متسلطا ومتشددا، في حين تكون الأم متساهلة ومتراخية.

النتائج المترتبة على التذبذب: شخصية متذبذبة، فاقد الثقة في نفسه وفي والديه، قد يكف عن التعبير الصريح عن أفكاره ومشاعره.

(٧) التفرقة أو التمييز:

من الصعوبات التي تواجه الأسرة في التنشئة، اللامساواة في معاملة الأبناء، وقد يكون التمييز بين الأبناء حسب النوع، أو الترتيب في الأسرة.

مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في تنمية السلوك الانحرافي

أولا/ الأسرة

طرق تقويم المنزل وعلاقته بانحراف الأحداث:

■ **الطريقة الأولى: تقويم المنزل بصورة شاملة بواسطة مقياس معد مسبقا.**

وضع "رينيه" مقياسا مكون من خمسة محاور، هي: (الضروريات، الترتيب في الأسرة، حجم الأسرة، ظروف الوالدين، إشراف الوالدين على التنشئة).

■ **الطريقة الثانية: تقويم تأثير المنزل على الأفراد.**

بهذه الطريقة يمكن للباحث التعرف على مدى تأثير الظروف الأسرية على الأبناء من جهة، والتعرف على واقع الأسر السيئة التي تنتج أطفالا منحرفين من جهة أخرى. إلا أن هذه الطريقة قد تفتقد إلى الموضوعية، وتعكس أفكارا مسبقة عن الحالة في ذهن الباحث.

■ الطريقة الثالثة: إحصائية.

تبدأ بجمع معلومات بسيطة عن أسر المنحرفين، ثم تنتقل إلى الظروف الأكثر تعقيداً؛ لتحديد الارتباط بين الانحراف والمتغيرات الأخرى. وتعتبر هذه الطريقة هي الأكثر شيوعاً بين الباحثين.

العوامل الأسرية التي تنتج المنحرفين

١. وجود بعض المنحرفين في الأسرة كمتعاطي المخدرات، ومدمني المسكرات، وسيئي الأخلاق:

استنبط "برت" من دراسة أجريت في إنجلترا، أن نسبة اجتماع الرذيلة والجريمة في الأسر التي أتى منها المنحرفون بلغت خمسة أضعاف أسر غير المنحرفين. وتوصل "جيلك" إلى أن (٨٤,٨٪) من المنحرفين المخرج عنهم من إصلاحية "ماساشوستس" قد تربوا في أسر كان من بين أفرادها منحرفين. وتبين من دراسة "عبد الله مرقس" في العراق أن (٢١,٣٪) من المنحرفين كان آبائهم يشربون المسكرات.

بالاطلاع على النسب السابقة فإنها توضح مدى تقليد الأبناء لأبائهم. فالفرد ابن بيئته. إن أقام في بيئة يغلب عليها الانحراف والجريمة فإنه سيقلد ويتعلم هذه السلوكيات المنحرفة.

٢. التصدع الأسري:

تُجمع أغلب الدراسات على أن (٦٠-٣٠٪) من المنحرفين يأتون من بيوت متصدعة، وأن نسبة الانحراف عند الإناث في الأسر المتصدعة أعلى من الذكور.

في دراسة أجراها (شيلدون جلوك واليانور جلوك) سنة ١٩٣٩-١٩٤٩م على خمسمائة نزيلا في إصلاحية (ماستثوسس)، بينت أن (٦٠٪) من النزلاء جاءوا من أسر متصدعة. وفي دراسة أجراها (شو وماكاي) على مجموعة من المنحرفين وجد أن (٤٢,٥٪) جاءوا من أسر متصدعة. وفي ألمانيا توصل (بون هوبر) من دراسة أجراها على مائة وعشرة مجرما خطيرا صدر بحقهم أحكاماً، أن (٤٥٪) منهم أحاطت بهم ظروف أسرية سيئة. وبينت دراسة مرقس أن (٤٤٪) من آباء المبحوثين متوفين، و(٣٢,٧٪) أمهاتهم متوفيات، و(٣١,٣٪) كانوا أطفالاً عند وفاة أحد الوالدين، و(١٨,٨٪) كانوا في فترة المراهقة. أي (٥٠,١٪) منهم لم يقيم الآباء بالدور الكبير في بناء شخصية أبناءهم نظرا لوفاتهم. وبينت الدراسة أن (١٤,٧٪) يعيش والديهم حالة طلاق.

٣. غياب الرقابة الأسرية على الأبناء:

بمجرد أن يصبح الفرد قادرا جسديا يتحرك دون رقابة أو متابعة أسرية، بالتالي فإن انحرافه أو عدم انحرافه يرتبط ببيئته الاجتماعية، وجماعة الرفاق. والأخيرة لها دور لا يمكن تجاهله في التنشئة الاجتماعية.

٤. إتباع الأساليب الخاطئة في التنشئة الاجتماعية:

تبين نتائج دراسة مرقس أن (٥٠٪) كانوا مهملين من قبل الأسرة، و(٢١,٣٪) علاقتهم بوالديهم سيئة، و(٣٧,٣٪) تعرضوا للتمييز في المعاملة الوالدية، و(٤١,٣٪) تعرضوا للمعاناة في طفولتهم، و(٣٨,٧٪) اقتصرت تنشئتهم على الأم، و(٣٣٪) اقتصرت تنشئتهم على الأب، و(٣٤,٧٪) آباءهم متزوجون أكثر من مرة.

إن التنشئة الاجتماعية التي تعتمد على أحد الوالدين دون الآخر تعتبر

مبتورة وغير متوازنة، ولها انعكاسات سلبية على النمو النفسى والاجتماعى للأبناء. لو كانت الأم وحدها هى المسئولة عن التنشئة فى ظل غياب الأب فإن الابن يفتقد لكثير من قيم ومعانى الرجولة ويكون قريباً من "التخنث"، أو يكون على العكس قد ينحرف ولم يكن باستطاعة الأم متابعته خارج البيت. وكذلك الحال إن كان الأب وحده هو المسئول عن التنشئة، فإنه سيغلب عليها الشدة والقسوة، أو الإهمال واللامبالاة؛ لأنه أغلب وقته فى عمله ولا يوجد لديه الوقت الكافى لمتابعة ابنه داخل البيت أو خارجه.

لذلك إذا أردنا تنشئة جيل سليم ومعافى من المشكلات الاجتماعية والنفسية لابد أن يشرف على تنشئته الوالدان معاً، فلكل منهما دوره الذى هو مكمل ومتمم للآخر، وغياب أيا منهما يعنى وجود خلل فى التنشئة الاجتماعية.

٥. اختلاف المستوى الاقتصادى والاجتماعى والتعليمى بين الزوجين:

قام "جيلن" بدراسة على مائة واثنين وسبعين سجيناً، وقارنهم بأخوتهم غير المجرمين، فوجد أن المجرمين غير موفقين مع زوجاتهم لاختلاف: (الأصل، الثقافة، التعليم، الدين، المستوى الاقتصادى). وبينت دراسة "مرقس" أن أغلب الوالدين من الأميين، حيث كانت أمية (٩٨,٣٪)، وأمية الأب (٧٠٪). ويلاحظ الفارق الكبير بين النسبتين حيث ترتفع عند الأمهات، وهذا راجع لتفضيل تعليم الذكور على تعليم الإناث. ومن أنهى تعليمه الجامعى (٣,٤٪) من الآباء، ولم يوجد أى من الأمهات أنهت تعليمها الجامعى. و(٣٢٪) أميون.

هذه النتيجة تعتبر طبيعية طالما أن نسبة كبيرة من الوالدين أميين أو حصلوا على تعليم متدنٍ، فإنهم لم يشجعوا أبنائهم على مواصلة التعليم، بل قد يحرضونهم على ترك المدرسة من أجل مشاركة الآباء فى العمل، أو البحث عن

عمل يقتاتون منه، خاصة إن كان الأب لا يستطيع العمل نتيجة مرض، أو إعاقة، أو متوفى، أو منحرف ولا يقوم بواجباته تجاه أسرته.

٦. تدني الوضع الاقتصادي:

تبين دراسة مرقس أن (٦٢,٧٪) دخل أسرهم متدني، و (٩٠,٧٪) ليس لهم مورد من مصادر أخرى غير الراتب الشهري.

في كثير من حالات الجريمة يكون العوز والحاجة والفقر هو الدافع الرئيسي وراء ذلك. بما أن الأسرة لا تستطيع إشباع حاجات الأبناء الضرورية قد يلجأ الآباء أو الأبناء إلى الطرق الملتوية والمنحرفة لإشباع هذه الحاجات.

٧. كبر حجم الأسرة:

تبين دراسة مرقس أن (٤٥,٣٪) عدد أفراد أسرهم (٦-٩) أفراد، و (٤١,٤٪) عدد أفراد أسرهم أكثر من (١٠) أفراد. و (١٣,٣٪) عدد أفراد أسرهم أقل من (٦) أفراد. هذا يعني أن أغلب أفراد العينة يعيشون في أسر كبيرة الحجم. وقد انعكس هذا على إشباع حاجاتهم الضرورية، حيث أجاب (٤١,٣٪) أنهم محرومون من إشباع حاجاتهم، و (٣٢٪) محرومون أحياناً. وبينت الدراسة أن (٤٨,٧٪) يقيمون في مساكن تتكون من (٣-٤) غرف.

عدد غرف المنزل له دور في مسألة الانحراف، فكون المساحة ضيقة لا تتسع لعدد الأبناء الكبير فقد يدفع الآباء بأبنائهم إلى الشارع ليتخلصوا من ضوضائهم وحركاتهم الزائدة. في الشارع قد يتلقفهم رفاق السوء الذين يضلونهم ويدفعونهم إلى ارتكاب السلوكيات المنحرفة.

من جهة أخرى بينت الدراسة أن (٥٠٪) يعيشون في مساكن رديئة، و(٣٠٪) في مساكن متوسطة الجودة، و(٢٠٪) يقيمون في مساكن جيدة.

العوامل الأسرية التي تؤدي إلى الانحراف في الأسرة الفلسطينية

في دراسة أجراها الباحث الفلسطيني "فؤاد العاجز" على طلاب المرحلة الثانوية العامة في مدارس قطاع غزة بين فيها أهم العوامل الأسرية التي تؤدي إلى تفشي ظاهرة العنف في الأسرة الفلسطينية، وكانت الأسباب مرتبة كالآتي:

١. قلة جلوس الوالدين مع الأبناء لنصحهم وإرشادهم (٨٢,٨٪).

هذا الأمر راجع لانشغال الآباء معظم وقتهم خارج البيت بحثاً عن الدخل، حتى يتمكنوا من توفير الحاجات الأساسية، ناهيك عن الكماليات التي تزداد يوماً بعد يوم، وأصبحت في حكم الضروري مثل: (التلفاز، والكمبيوتر، والجوال).

أما بالنسبة للأمهات؛ إن كانت الأم موظفة فهي تقضي معظم يومها في وظيفتها، وعند العودة إلى المنزل تنجز ما ينتظرها من أعمال منزلية. في نهاية اليوم تكون منهكة، بالتالي لا يوجد عندها الوقت الكافي لمتابعة الأبناء وتوجيههم.

أما إن كانت الأم غير موظفة . تقتصر على العمل المنزلي . فهي تقضي أغلب ساعات النهار في أعمال المنزل، وبقية يومها تقضيه في الزيارات، أو التنقل بين القنوات الفضائية، أو على مواقع التواصل الاجتماعي. في حال غياب التوجه والنصح والإرشاد من الوالدين، فإنه ينعكس ذلك سلباً على سلوك الأبناء؛ لأنه لا يوجد من يبين لهم الصواب والخطأ.

٢. إهمال الأسرة وعدم متابعة الأبناء (٨٢,٥٪).

هذا الإهمال نتيجة لأكثر من سبب، منها:

- كبر حجم الأسرة: بحيث لا يكون باستطاعة الوالدين منح الاهتمام الكامل والرعاية الجيدة للأبناء مقارنة بالأسر النواة.

- عدم رغبة الوالدين في الإنجاب: كأن تكون الأسرة غير مهيأة لاستقبال مولود جديد، أو الوضع الاقتصادي لا يسمح بمزيد من النفقات، أو الحالة الصحية للأم لا تسمح بالحمل. لكن لدواعي دينية لم يتمكن الوالدان من الإجهاض. في هذه الحالة يكون إهمال الطفل تعبيراً عن رفضه.

الإهمال قد يكون مادياً بعدم توفير الغذاء، والكساء، والتعليم، والرعاية الصحية. وقد يكون معنوياً: بعدم إحاطة الطفل بالحب والحنان والدفء العاطفي. هذا الإهمال والحرمان ينعكس سلباً على سلوك الطفل فيجعله عنيفاً، من أجل الحصول على ما لا يوفره له البيت، أو في محاولة للفت الأنظار إليه.

٣. تشجيع بعض الآباء أبنائهم على أخذ حقوقهم بالقوة (٨٢,١٪).

هذا راجع بالدرجة الأولى إلى انتشار "ثقافة العنف" في المجتمع الفلسطيني بحكم الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية الناجمة عن الاحتلال الصهيوني والانقسام الفلسطيني من جهة، ومن جهة أخرى بعض الآباء يشجعون الأبناء على ممارسة العنف باعتباره معلماً من معالم الرجولة. ويحث الآباء الأبناء على عدم التنازل عن حقهم ولو باستخدام القوة إذا اقتضى الأمر، حتى لا ينظر إليه كطرف ضعيف. هذا التحريض ينمي العنف عند الأبناء، ويجعل الأبناء ينظرون إلى سلوك العنف أنه عمل مشروع طالما هناك من يشجعهم ويحثهم عليه. ونسي أو تناسى هؤلاء الآباء أن إسلامنا يعلمنا "ثقافة العفو والتسامح". {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى:٤٠].

٤. الشجار والخلافات الدائمة بين الوالدين (٨٢٪).

يرجع هذا الشجار والخلاف بين الوالدين لأكثر من سبب، منها:

أ- الضائقة الاقتصادية: التي يمر بها المجتمع الفلسطيني انعكست سلبا على الأسرة، نظرا لإغلاق المعابر، وارتفاع معدلات الفقر والبطالة.

حسب إحصائيات وزارة الشؤون الاجتماعية بلغ عدد الأسر التي تعيش تحت خط الفقر (١٧٦) ألف أسرة. بالإضافة إلى الارتفاع الفاحش في معدلات البطالة. كل هذه الظروف لم تمكن رب الأسرة من توفير مصدر ثابت للدخل كي يستطيع تأمين حاجات الأبناء والأسرة المتزايدة.

ب- "كبر حجم الأسرة، واختلاف وجهة نظر الوالدين في التنشئة الاجتماعية". سبق الحديث عنها..

ج- تفاوت المستوى الاجتماعي والتعليمي والثقافي بين الزوجين.

د- مشكلة الحماوات: في هذه الحالة يكون الزوج بين مطرقة الزوجة وسندان الأم، ولا يستطيع التوفيق بينهما.

هذه الأجواء الأسرية المشحونة بالعنف والخلافات الزوجية تنعكس سلبا على الأبناء، فهي تترك لديهم انطبعا سيئا عن الحياة الأسرية، وتجعلهم يقضون جل وقتهم خارج البيت للابتعاد عن هذا الجو المشحون بالمشكلات. ويحاول الأبناء تقليد ما يرونه في البيت مع أخوتهم وزملائهم كون أنهم أتوا من بيوت هي منبع للخلافات والمشاحنات من ناحية ثالثة.

٥. كثرة غياب الأب عن المنزل (٨٠,٤٪).

هذا الغياب قد يكون لأكثر من سبب، منها:

- يقضي الأب جل وقته في العمل.
 - بسبب عدم توافر فرص العمل فإن بعض الآباء يقضون جل ساعات يومهم عند الأصدقاء، أو على قارعة الطرقات، أو في المقاهي؛ حتى يبتعدوا عن الجو الأسري المشحون بالمشكلات أو الطلبات التي لا تنتهي.
 - فتور العلاقة بين الزوجين من جهة، وبين الآباء والأب من جهة أخرى.
 - غياب الأب وانعدام رقابته على الأبناء لفترات طويلة تجعل عند الأبناء مساحة من الحرية، يمكن استغلالها خطأ من خلال التعرف على رفاق سيئي الأخلاق ومنحرفين، فيتعلمون منهم كل تصرف مشين، ناهيك عن العدوانية.
٦. القسوة في معاملة الآباء (٧٩,٤٪)، وافتقار الآباء للدفء العاطفي (٧٧,٥٪).
- تلجأ الأسرة لإتباع القسوة والشدة مع الآباء لأكثر من عامل، منها:
- الوالدان في صغرهم تعرضوا إلى العنف فيحاولان تطبيق ذلك مع الآباء.
 - الضائقة المالية التي تمر بها الأسرة.
 - كبر حجم الأسرة.
 - انخفاض المستوى التعليمي للوالدين.
- أيا كان السبب، إن الإسراف في استخدام القسوة والعقاب ينعكس سلباً على تصرفات الأبناء ويجعلهم أشد عنفا سواء كان داخل البيت أو خارجه.

٧. التمييز في المعاملة بين الآباء (٧٧,٣٪).

غالبا يكون التمييز لصالح الذكور على حساب الإناث، نتيجة معتقدات اجتماعية موروثة بأن الذكور يعتمد عليهم في حماية الأسرة من التصدع

والانهيار، ويساهمون في تحسين وضعها الاقتصادي. أما الإناث لا يستطعن القيام بنفس أدوار الذكور، بل البعض يعتبرهن عبئا ثقيلا على الأسرة، ويتذمر الرجل إن كان جل ذريته من الإناث، وقد يستدعي الأمر تفكيره بالزواج من أخرى ليرزق بالذكور! وجهل أو تجاهل أن هذه المسألة ليست برغبة الزوجة أو الزوج، إنما الذي يتحكم فيها ويقدرها هو الله رب العالمين. {لِّلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقْ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَآثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذَّكَوْرَ} [الشورى: ٤٩].

قد يكون التمييز حسب الترتيب في الأسرة. في هذه الحالة يكون التمييز لصالح الابن البكر أو الصغير. في صالح الكبير: كونه يساهم في تحسين الوضع الاقتصادي للأسرة. وفي صالح الصغير: كونه أصغر أفراد الأسرة وهو بحاجة إلى مزيد من الدلال والحماية الزائدة.

مما يجدر ذكره أن لأسلوب التمييز آثار سلبية على علاقات الأخوة، وقد يؤدي إلى غرس الحقد والضغينة بينهم، وهذا يبدو واضحا من خلال سلوكهم الذي يغلب عليه العنف في بعض المواقف.

٨. نوم الأب خارج المنزل لأيام طويلة بحكم العمل (٧٦,٩٪).

قد يكون هذا الغياب بسبب طبيعة العمل الليلي، وبعضهم يبقى في عمله لمدة أسبوع أو أكثر بعيدا عن منزله، أو مغتربا. بدون شك إن غياب الأب يؤثر سلبا على تنشئة الأبناء. الأم وحدها لا تستطيع أن تضبط وتراقب الأبناء داخل البيت وخارجه، ولو تكفلت الأم وحدها بالتنشئة فذلك يؤثر سلبا على شخصية الأبناء.

٩. ضيق مساحة المنزل (٧٦,٨٪).

إن كان حجم الأسرة كبيراً وعدد غرف المنزل قليلة، ومساحته ضيقة، فهذا يجعل المنزل مكتظاً. قد تجد في الحجرة أكثر من ثلاثة أفراد خليط بين ذكور وإناث. والرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بالتفريق بين الذكور والإناث عند سن العاشرة، فقال: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع" [الألباني، صحيح الجامع، ٥٨٦٨]. هذا من جهة، ومن جهة ثانية هذا الجو الأسري المكتظ له انعكاسات صحية سلبية على الأفراد من حيث انتقال الأمراض المعدية، ومن جهة ثالثة ينعكس على أساليب التنشئة مما يضطر الوالدان لانتهاج الأساليب السلبية كالضرب والتوبيخ، أو حتى دفعهم إلى الشوارع حتى يرتاح الوالدان من إزعاجهم، ومن جهة رابعة ينعكس سلباً على التحصيل الدراسي كون أنه لا يوجد المناخ الدراسي المناسب، وعدم وجود مكان مخصص للمذاكرة.

١٠. كبر حجم الأسرة (٧٣,٢٪).

الأسرة الفلسطينية تفضل الأسرة الممتدة، وهذا راجع لبعض الأفكار الموروثة بأن الأبناء هم السند الذي يحتّمون به، وأنهم يحفظون اسم رب العائلة من النسيان. هذه الزيادة قد تكون ناجمة عن تعدد الزوجات، أو انخفاض الوعي فيما يتعلق بمسألة تنظيم النسل، أو رأي الإسلام في هذه المسألة، أو نتيجة جهل بعض النساء باعتقادهن أن كثرة الإنجاب يكبل الأزواج ويمنعهم من التعدد!

الملاحظ كلما كبر حجم الأسرة قل استخدام الأساليب الإيجابية. من الطبيعي أن تتأثر نسب إتباع أساليب التنشئة (الإيجابية والسلبية) ارتفاعاً

وانخفاضاً بحسب حجم الأسرة. في الأسرة النوواة يكون عدد أفراد الأسرة قليل ويستطيع الوالدان التحكم في تسيير دفعة عملية التنشئة واختيار الأسلوب الملائم.

١١. عدم توفر الحاجات الأساسية للأبناء من غذاء وأمن (٧٧,٢٪).

هذا راجع إلى الحصار الاقتصادي المفروض على المجتمع الفلسطيني، وانعدام فرص العمل وارتفاع نسب البطالة والفقر، وتعتبر "شريحة العمال" من أكثر الشرائح الاجتماعية تضرراً. هذا الأمر ينعكس سلباً على علاقة الآباء بأفراد الأسرة والتي يغلب عليها العنف اللفظي والجسدي، وهو بدوره يؤثر على سلوك الأبناء سواء داخل البيت أو خارجه.

١٢. الدلال الزائد (٧١,٥٪).

أشرنا لها عند حديثنا عن أساليب التنشئة السلبية..

١٣. التذبذب في معاملة الأبناء (٦٩,٥٪).

أشرنا لها عند حديثنا عن أساليب التنشئة السلبية..

النتائج التي توصلت لها الدراسات عن العلاقة بين التفكك الأسري والانحراف

(١) الخلافات بين الوالدين لها آثار سلبية على نفسية الطفل. تتمثل في: (الهروب من البيت، الانغماس في أحلام اليقظة، الالتحاق بجماعة تقدره. وإن كانت منحرفة.).

(٢) توجد علاقة بين كبر حجم الأسر وانحراف الأحداث. كلما كبر حجم الأسرة انعدمت الرقابة الأسرية وزادت معدلات الانحراف.

(٣) توجد علاقة بين انحراف الوالدين أو أحدهما وانحراف الحدث؛ لأن الحدث يقلد الكبار في الأسرة، وعادة يعتبر الوالدان هما القدوة التي يحتذي بها الأبناء.

٤) توجد علاقة بين درجة الضبط الاجتماعي داخل الأسرة، وانحراف الطفل. إذا كان الضبط الاجتماعي متشدداً أو متساهلاً، في كلتا الحالتين تؤديان إلى الانحراف. لذلك يجب أن يكون الضبط الاجتماعي وسطياً.

٥) مثلما يتعلم الطفل السلوك الانحرافي من داخل الأسرة فهو يتعلم منها السلوك السوي. لذلك يجب أن تعمل الأسرة على تكوين الاتجاهات الإيجابية عند الأبناء، مثل: (كيفية استثمار وقت الفراغ، وتنمية السلوك التطوعي).

٦) الأسر التي تنتج الجانحين تعاني من عدم الاستقرار الاجتماعي والنفسي.

٧) الأطفال الجانحين يعيشون في بيوت أقل ملائمة من الناحية الصحية، فهي تفتقد إلى التهوية والصرف الصحي والنظافة، وتكون أكثر ازدحاماً، أي لا يتلاءم عدد حجرات المنزل مع عدد أفراد الأسرة.

٨) غالبية الجانحين لا يعيشون مع والديهم، بسبب الطلاق، أو الوفاة، أو السجن.

٩) يتميز الأطفال الجانحين بعدم احترامهم لوالديهم.

١٠) تميزت البيوت التي يعيش فيها الأطفال الجانحون بالتفكك القيمي، وضعف الرقابة الأسرية، وانعدام سبل التسلية والترويح داخل الأسرة.

١١) والدة الجانح ليست هي الزوجة الوحيدة، أي أن والد الجانح معدد للزوجات، مما يعني الاهتمام بإحدى الزوجات وإهمال البقية بحيث لم يقم بالتزاماته الاجتماعية والاقتصادية.

١٢) في الغالب ليس الأب هو الوصي على الطفل الجانح.

١٣) (٩٠٪) من المعتدين على الأطفال تعرضوا في طفولتهم للاعتداء، وكان تصرفاتهم هذه هو محاولة للانتقام من أطفالهم، وإعادة للتجربة السيئة التي تعرضوا لها في طفولتهم.

١٤) (٨٠٪) من متعاطي المخدرات تعرضوا للاعتداء في طفولتهم.

١٥) (٧٨٪) من السجناء تعرضوا للاعتداء في طفولتهم.

١٦) (٩٥٪) من العاهرات تعرضن للاعتداء الجنسي في طفولتهن.

ثانياً/ المدرسة

تعريف المدرسة:

"مؤسسة اجتماعية رسمية تهتم بوظيفة التربية، ونقل التراث الثقافى، وتوفير الظروف المناسبة لنمو التلاميذ جسمياً، وعقلياً، واجتماعياً، وفعالياً".

خصائص المدرسة:

- ١- المدرسة بيئة اجتماعية وثقافية تحكمها مجموعة من اللوائح والمعايير، ويوجهها النسق الثقافى السائد في المجتمع.
- ٢- المدرسة تقوم على أسس علمية مستوحاة من دراسات تعنى بسلوك الإنسان مثل: (التربية، وعلم الاجتماع، وعلم النفس).
- ٣- المدرسة مؤسسة اجتماعية تقوم على التخطيط؛ لتحقيق أهدافها.
- ٤- المدرسة بيئة تربوية تتبع الأسلوب المبسط في نقل المعلومات. فتتدرج من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب، وتربط الماضي بالحاضر.
- ٥- المدرسة تتمتع بسلطة اجتماعية ولها منهاج دراسي، وطرق تدريسية.
- ٦- المدرسة تنمّي عند التلاميذ الشعور بالانتماء والولاء لها وللمجتمع.
- ٧- المدرسة ترسخ النظام بالثواب والعقاب.

ءور المءرسة فف الفنفشة الاجفماعفة:

١. فففرض ألا فععمء المءرسة على طرفقة الفعلم الفلقفنف - الفقلفءف كأسلوب وءفء فف الفءرفس^٧.
٢. ففب أن ففاعمل المءرسة مع الفلفمفء بفورة شاملفة. ألا فركز على فانب الفعلم ففقط وفغفل الفوانب الأفرى. أف فهم بفنفشة الفلفمفء فسمفأ؁ وعقلفأ؁ واجفماعفأ؁ وانفعالفأ؁ ونفسفأ.
٣. فقام المءرسة الرعافة النفسفة والاجفماعفة للفلامفء ومساعدفهم على حل مشكلاتهم عن طرفق الأخصائف الاجفماعف والمرشد الفربوف.
٤. فعلم المءرسة الفلفمفء كففة فبط سلوكه؁ والفحكم فف انفعالاته؁ وفحقق أهءافه؁ واكشاف مواهبه والعمل على فنفففا وفطوفرها.
٥. فكسب المءرسة الفلامفء العاءات السلفة الفف فمكنهم من الففاظ على سلامة وصفا أءانهم؁ والفوقافة من الأمراض.
٦. فكسب المءرسة الفلامفء أسلوب الففكر العلمف وفنمف ففهم روح الفنافس.
٧. ففاعون المءرسة مع الأسرة وبقة المؤسسات الاجفماعفة لإفمام الفنفشة الاجفماعفة فف صورفا الصففة.

^٧ صفاء الفعلم الفلقفنف كما ءءءها باولو فرافرف:

- (١) الأستاذ فعلم والطففة ففلقون.
- (٢) الأستاذ فعرف كل شف والطلاب لا فعرفون.
- (٣) الأستاذ ففكر والطالب لا ففكر.
- (٤) الأستاذ ففكلم والطالب ففسمع.
- (٥) الأستاذ ففظم والطالب لا ففظم.
- (٦) الأستاذ فففار وففرض اففاراه والطالب فففن.
- (٧) الأستاذ ففصرف والطالب فعفش فف وهم الفصرف من ءلال عمل الأستاذ.
- (٨) الأستاذ فففار البرنامف والمفوف والطالب ففأقلم مع الاففار.
- (٩) الأستاذ فربك المعرفة وففءفل بها وففول ءون الطلاب وممارساتهم.
- (١٠) الأستاذ هو قوام العملية الفعلمفة والطالب ففففهما.

٨. تستخدم المدرسة أسلوب الثواب والعقاب فى العملية التعليمية.
٩. تقوم المدرسة بنقل التراث الثقافى . الاجتماعى إلى الأجيال، وتثبت فى نفوسهم قيم الولاء والارتباط والتمسك بالوطن.
١٠. تعلم المدرسة التلاميذ قيما جديدة، وتعديل السلوك السلبى الذى يتعلمونه من البيت أو الشارع.
١١. تعد المدرسة التلميذ للتعامل مع كافة المواقف الاجتماعية.
١٢. يجب أن يكون التركيز على التلميذ وليس على المنهاج، فالتلميذ هو محور العملية التربوية . التعليمية وليس المنهاج.
١٣. يجب ألا تقتصر المادة العلمية على الجانب النظرى فقط، بل يجب أن تهتم بالجانب التطبيقى، ومحاولة ربط المادة العلمية بالواقع؛ لأن ذلك يساعد على ترسيخ المعلومة فى ذهن التلاميذ.
١٤. أن يكون الجو المدرسى شبيه بالجو الأسرى من حيث أجواء الحوار، والعلاقات الدافئة بين المدرس والتلاميذ من جهة، والمدرسون والمدير من جهة أخرى.
١٥. إعداد المدرس إعداداً جيداً، بحيث يستطيع التعامل مع كل الحالات التى تعرض عليه، وأن يكون ملماً بالحالة النفسية التى يمر بها التلاميذ فى كل مرحلة عمرية وتعليمية.
١٦. أن يكون لكل تلميذ بطاقة توضع فى سجله المدرسى، يحدد فيها: (المستوى العقلى، والقدرات، والميول، والحالة الصحية، وطبيعة العلاقات الاجتماعية، ومستوى التحصيل الدراسى، والسمات الشخصية)؛ لأنها تساهم فى اختيار الطريقة المناسبة للتعامل مع التلميذ، وإطلاع الأسرة على وضعه أولاً بأول.
١٧. مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ.

١٨. أن يوجد في المدرسة أخصائي اجتماعي وآخر نفسي مدربان جيداً، حتى يكونا قادرين على التعامل مع مشكلات التلاميذ. مثل: تدني التحصيل الدراسي، العزلة الاجتماعية، العنف والعدوان... إلخ، وإذا اقتضى الأمر تحويل الحالات المستعصية إلى طبيب نفسي.

العلاقة بين المدرسة والمجتمع

تعتبر المدرسة صورة مصغرة عن المجتمع، فإذا كان المجتمع يعيش حالة من التماسك الاجتماعي، ويشجع على العلم والتعلم؛ فالمدرسة ستكون بيئة اجتماعية متماسكة ومركز إشعاع علمي وثقافي. وإن كان المجتمع يعيش حالة من الانحلال الأخلاقي والتفكك الاجتماعي، ويحارب التعليم ويدعو إلى التمسك بقيم تقليدية بالية، ستعيش البيئة المدرسية نفس حالة التفكك والانحلال الأخلاقي والاجتماعي، وستكون بؤرة للفساد والجهل بدلاً من العلم والتثقيف. لذلك يجب أن تكون العلاقة بين الأسرة والمدرسة قوية ومتينة، وأن تكون المدرسة هي محاولة تصحيحية للأفكار والتقاليد والممارسات السلبية الموجودة في المجتمع.

المدرسة تستمد قواعدها ولوائحها من الإطار العام لثقافة المجتمع، وتعمل على نقل التراث الثقلي إلى التلاميذ، وهي بمثابة الحارس الأمين عليه، وتساعد التلاميذ على الاندماج في المجتمع.

العوامل التي تؤكد على ضرورة الانتفاع من المدرسة في خدمة المجتمع المحلي:

- ١- تقع المدرسة عادة وسط تجمع سكاني، مما يجعل اتصال أفراد المجتمع بها سهلاً وميسوراً وممكنًا.

٢- يتوفر فى المدرسة أماكن مثل: الملعب، والمسرح، والمكتبة، والفصول الدراسية التى يمكن استثمارها لممارسة العديد من الأنشطة الترويحىة مثل الأنشطة: (الرياضىة، والفنىة، والثقافىة، والاجتماعىة).

٣- فراغ المدرسة فى الإجازات، يمكن من الاستفادة منها بإقامة المعسكرات الطلابىة، والدورات التدريبىة، وإحياء الاحتفالات الدينىة والوطنىة.

٤- يمكن الاستفادة من القوى البشرىة فى المدرسة مثل: (الأخصائى الاجتماعى، والأخصائى النفسى، والمرشد التربوى، أو مدرس التربىة الرياضىة، أو مدرس التربىة الفنىة) فى خدمة المجتمع المحلى، من خلال عقد لقاءات تربوىة وتثقيفىة عامة مع أسر التلاميذ، أو تنظيم دورات فى الفن والرسم، والدوريات الرياضىة بإشراف المعلمين فى المدرسة... إلخ.

٥- ترسيخ روح الحوار والديموقراطىة واحترام الآخر وحرىة التعبير فى المجتمع. يأتى ذلك عن طريق تدعيم هذه القيم فى الفصول بين المعلم والتلاميذ من جهة، وبين المعلمين ومدير المدرسة من جهة ثانىة. لأنه إذا تبنت المدرسة هذا الأسلوب داخل أسوارها وفصولها، فإنه بدون شك ستنقل هذه القيم إلى كل بيت، وبدوره ينتشر وتصبح سمة عامة فى المجتمع.

العلاقة بين الأسرة والمدرسة

بات معروفًا أن الأسرة حتى عهد قريب كانت تقوم بجميع الوظائف الاجتماعىة، التى من بينها (التربىة والتعليم). لكن مع ظهور المدرسة كمؤسسة تربوىة - تعليمىة، تراجع دور الأسرة فى هاتين الوظيفتين. لكن هذا التراجع لم يصل إلى حد الإقصاء والتغيب. فالأسرة لازالت تتمسك بدورها مهما حدثت من تغيرات اجتماعىة، ولا يتوقف دور الأسرة فى التنشئة بمجرد دخول الطفل إلى المدرسة، بل يعد دور المدرسة مكمل لدور الأسرة، ولا يتعارض معه.

بالنسبة للمدرسة كانت في العقود السابقة تعيش حالة من العزلة عن المجتمع المحلي، والتوقع على نفسها داخل أسوارها، بحيث تتسلم التلاميذ صباحاً ثم تطلق سراحهم نهاية الدوام. بعد ذلك تنقطع صلتهم بها، وتقتصر مسؤوليتها داخل أسوارها فقط على العملية التعليمية. في وقتنا الحالي لم تعد العلاقة بين الأسرة والمدرسة على هذه الشاكلة، كل منهما منفصل عن الآخر، بل أصبحت العلاقة بينهما في أوثق عراها مقارنة مع السابق.

إلا أنه توجد بعض الأخطاء تقع فيها الأسرة بحق المدرسة أو العكس. فهناك أسر لا تعرف عن نظام المدرسة، ومتطلباتها، ودور التلاميذ داخلها شيئاً عدا أن المدرسة تقوم بوظيفة التعليم فقط من أجل الحصول على "الشهادة" نهاية العام الدراسي، وتغفل دور المدرسة في غرس القيم الاجتماعية والأخلاقية في التلاميذ، ومحاربة التصرفات السيئة، ومساعدتهم على شق طريقهم في الحياة والتكيف مع المجتمع. من جهة ثانية قد يسود الاعتقاد عند بعض الأسر أن المدرسة هي المسؤولة مسؤولية تامة عن تربية الأبناء وتعليمهم وتجاهل أن دور الأسرة والمدرسة مكملان لبعضهما. في المقابل قد تغالي المدرسة فيما تطلبه من الأسرة في مساعدة الطفل في إعداد واجباته المنزلية، وترهق الأسرة مادياً بكثرة طلباتها. في ظل حالة التناقض هذه يكون الطفل هو الضحية.

صور التعاون بين الأسرة والمدرسة:

١. مجالس الآباء:

من خلاله يمكن معالجة مشكلات التلاميذ، ورفع درجة الوعي التربوي لدى الآباء لتكوين فكرة واضحة عن مهمة المدرسة من ناحية، والاستفادة من خبرات الآباء في مجالات الحياة المختلفة من ناحية ثانية، وتبادل وجهات النظر

بين الآباء والمدرسين والأخصائيين الاجتماعيين والمشرفين التربويين للتعرف على اتجاهات وميول التلاميذ والعمل على تطويرها من ناحية ثالثة.

٢. تنظيم اليوم المفتوح:

هذا النشاط يفسح المجال لالتقاء الأسرة والمدرسة، وتبادل المعلومات عن التلاميذ ومناقشة مشكلاتهم، وتذليل العقبات أمامهم. من جهة ثانية المشاركة في الحفلات والمعارض التي تقيمها المدرسة بمشاركة التلاميذ.

٣. عقد المحاضرات والندوات:

تتطرق لمشكلات التلاميذ، وانعكاسها على التحصيل الدراسي والعلاقات الاجتماعية، وبيان السبل الكفيلة للعلاج، وكيفية التعامل مع التلاميذ في حالات التسرب، والعزلة الاجتماعية، وعدم المشاركة الفعالة في الفصل، وعدم المشاركة في الأنشطة المدرسية...إلخ، ويجب دعوة أولياء الأمور لمثل هذه المحاضرات والندوات.

٤. إصدار النشرات:

عبارة عن أوراق عمل تتناول مشكلات وظواهر تربوية، تسعى إلى تحقيق أهداف محددة، وترسل إلى أولياء الأمور. ويفضل أن تكون النشرة موجزة وواضحة، وتشتمل على رسومات توضيحية، وأن يساهم التلاميذ في إعدادها. تحت إشراف مجموعة من المعلمين.. هذه النشرات يمكنها إبراز مهارات التلاميذ في مجال الشعر، أو القصة القصيرة، أو الخواطر، أو اهتماماتهم العلمية أو الرياضية، أو رسوم الكاريكاتير...إلخ.

٥. المقابلات الفرديّة:

هدفها معالجة بعض قضايا التلاميذ كالتفوق أو التأخر الدراسي، والغياب المتكرر بدون عذر، والهروب من المدرسة.

٦. إرسال التقارير الشهرية:

ترسل لأولياء الأمور، بحيث يوضح فيها درجات التلميذ وسلوكه، وعلاقاته مع معلميه وزملائه، ومستواه الصحي.

٧. إقامة صناديق لجمع التبرعات ومساعدة التلاميذ ذوي الوضع الاقتصادي السيئ كي لا تقف ظروفهم الصعبة حائلاً بينهم وبين مواصلة التعليم.

دور المدرسة في تنمية السلوك الإجرامي

المدرسة قد يكون لها دور مباشر أو غير مباشر في تنمية سلوك الانحراف والعنف عند التلاميذ، هذا إن لم تقم بدورها بشكل كامل انطلاقاً من الشعور بالمسؤولية الاجتماعية.

في دراسة أعدها "سيتجو سوزوكي" عن "السمات النفسية والاجتماعية لمرتكبي العنف ضد الآخرين من طلاب المدارس الثانوية"، توصل للنتائج التالية:

أ- العنف عند الطلاب نابع من عدم الرضا على أسرهم.

ب- افتقار الطلاب إلى علاقة نفسية جيدة مع الآباء.

ج- لا يستمتع الطلاب بعلاقات طيبة مع المدرسين.

في دراسة أجراها مركز الإحصاء التربوي على المدارس الثانوية في الولايات المتحدة الأمريكية للعام الدراسي ١٩٩٦-١٩٩٧م توصل إلى النتائج التالية:

- ◆ (٥٧٪) من مدراء المدارس ذكروا أنه وقع في مدارسهم خلال العام الدراسي المذكور جريمة واحدة، أو حدثا عنيفا واحدا على الأقل استدعى إبلاغ الشرطة أو الجهات القانونية المختصة.
- ◆ (١٠٪) من المدارس الحكومية الأمريكية تعرضت لحادث أو أكثر من الجرائم الخطيرة مثل: (القتل، والاغتصاب، والاعتداء بالأسلحة) في العام المذكور.
- ◆ تصدرت حوادث الاعتداء الجسدي قائمة السلوكيات العنيفة في المدارس الأمريكية، حيث بلغ عددها في العام الدراسي المذكور (١٩٠) ألف حالة.
- ◆ تزداد حوادث العنف في المدارس الأمريكية بتقدم المرحلة الدراسية، ففي المرحلة الابتدائية بلغت نسبة العنف (٤٥٪)، وفي المرحلة الإعدادية (٧٤٪)، وفي المرحلة الثانوية (٧٧٪).

العنف في المدارس "الإسرائيلية"

نشرت (مجلة الأسرة، في عدد جماد الآخر ١٤٢٢هـ)، نتائج دراسة أجريت في "إسرائيل" على (٨٣٩٤) تلميذا وتلميذة من الصف السادس حتى العاشر، حول: "مدى استفحال العنف في المدارس اليهودية". وأشارت نتائج الدراسة إلى أن مدارس اليهود هي الأكثر عنفا في العالم، وكانت النتائج كالآتي:

١. (٢٥٪) من التلاميذ الذكور يحملون أسلحة إلى المدارس.
٢. (٦٪) من التلميذات يحملن أسلحة إلى المدارس.
٣. (٥٠٪) من التلاميذ تتراوح أعمارهم بين (١١-١٦) سنة شاركوا في أعمال عنف.
٤. (٦٠٪) من التلاميذ شاركوا في أعمال عنف أو وقعوا ضحايا لأعمال عنف.

٥. (١٠-١٥٪) أصيبوا بجراح جراء تعرضهم لأعمال عنف، تم نقلهم على إثرها إلى المستشفى لتلقي العلاج.
٦. (٦٠,٢٪) من التلاميذ اليهود في الصف السادس ضحايا لأعمال عنف داخل المدارس، (١٣٪) منهم احتاجوا للعلاج.

العنف في المدارس الفلسطينية

في دراسة أجريت على المدارس الثانوية في قطاع غزة بينت أكثر العوامل التي ساهمت في انتشار العنف المدرسي، وكانت مرتبة كآآتي:

١. تكوين الشلل والعصابات في المدرسة (٨٤٪).
٢. ضعف الضوابط المدرسية (٨٠,٢٪).
٣. ضعف الاتصال والمتابعة بين المدرسة والأسرة (٧٩,٣٪).
٤. قلة الأنشطة المدرسية التي يفرغ فيها الطالب طاقته (٧٢,٥٪).
٥. عدم وجود أخصائيين نفسيين واجتماعيين داخل المدرسة (٧٢,٤٪).
٦. سوء العلاقة بين الطالب والمدرس (٧١,٢٪).
٧. غياب القوة للطالب داخل المدرسة (٧٠,١٪).
٨. تفاعل قيام المرشد التربوي بدوره في المدرسة (٧٠٪).
٩. عدم تفهم المدرسين لمشكلات الطلبة (٦٩,٢٪).
١٠. بُعد المعلمين عن تفهم مشكلات الطلبة (٦٩,٢٪).
١١. كثرة عدد الطلبة داخل الغرف الدراسية (٦٩,١٪).
١٢. عدم تلبية المدرسة لحاجات وميول الطلبة (٦٩,١٪).

١٣. ضيق المكان المخصص لاستراحة الطلبة (٦٨,٤٪).

١٤. قلة وجود عوامل تجاذب بين الطلبة مع بعضهم البعض (٦٧,٩٪).

١٥. تحيز بعض المعلمين لبعض الطلبة (٦٥,٩٪).

العوامل التي تساهم في نشر الجريمة في المؤسسات التعليمية

١. غياب الانضباط في البيئة المدرسية.

٢. غياب القدوة الحسنة سواء في شخصية مدير المدرسة أو المعلمين.

٣. عدم تنفيذ القوانين واللوائح المدرسية.

٤. تسلط بعض المدرسين مما يخلق اتجاهات سلبية عند التلاميذ وينمّي عندهم سلوك العنف والرفض، والتهرب من بعض الحصص الدراسية.

٥. ارتفاع نسبة التسرب الدراسي.

٦. ارتفاع حالات الغياب المتكرر بدون عذر.

٧. تدني مستوى التحصيل الدراسي.

٨. عدم إعداد وتأهيل المدرسين بشكل جيد.

٩. عدم رضا التلاميذ عن أسرهم، فيعبروا عن حالة عدم الرضا بممارسة العنف ضد زملائهم في الفصل أو المدرسة.

١٠. عدم اتخاذ خطوات صارمة في معالجة بعض السلوكيات الخاطئة في البيئة المدرسية مثل: (السرقا، والنشل، والاعتداءات... إلخ).

١١. ضعف الدافعية عند التلاميذ.

١٢. ضعف الانتماء سواء عند التلميذ أو المدرسين.

١٣. التنافس وحب الظهور.

١٤. ضعف الفوارق العمرية بين تلاميذ المدرسة الواحدة ذات المراحل التعليمية المتعددة (إعدادي وثانوي).
 ١٥. عدم صلاحية بعض المدارس من حيث المباني والمرافق الصحية والتهوية، مما ينتج عنها سلوكيات اجتماعية غير مقبولة.
 ١٦. تكدر التلاميذ في الفصول.
 ١٧. إهمال المدرسين والإدارة المدرسية لشكاوى ومطالب التلاميذ، مما يجعل التلاميذ يعتمدون على أنفسهم في الحصول على حقوقهم.
 ١٨. عدم وجود أخصائيين نفسيين واجتماعيين ومرشدين تربويين في بعض المدارس، وإن وجودوا لا يقومون بدورهم المطلوب على الوجه الأكمل.
- على الرغم مما سبق، فإن البيئة المدرسية لا تعتبر هي العامل الوحيد في تحديد دوافع الجريمة، إنما يشترك معها عوامل أخرى مثل: (الحالة الاقتصادية، العلاقات الأسرية)، والبيئة الاجتماعية التي توجد فيها المدرسة.

ثالثاً/ الحي السكني

تعريف الحي السكني:

"هو المنطقة الجغرافية التي تقيم فيها عدد من الأسر بجوار بعضها، وتتشابك فيها العلاقات الاجتماعية تأثراً وتأثيراً".

الحي السكني يؤدي دوراً مكماً لدور الأسرة في عملية التنشئة، بحيث يكون داعماً له، أو هداماً ومعارضاً له، وهذا يتأتى من طبيعة الكثافة السكانية في الحي، ومستواه الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي والصحي.

ربطت العديد من الدراسات بين طبيعة الحي السكني وتأثيره على سلوك سكانه. من أبرز الدراسات، دراسة "كليفورد شو" التي أجراها على خمسة أشقاء عرفوا بتاريخهم الإجرامي الطويل، وكيف أثر الحي في انحرافهم. المجرم كان محل تقدير واحترام، ويرسمون له صور البطولة والرجولة. من هنا يرى الحدث أنه لا يمكن أن تكون له مكانة اجتماعية بارزة ولا يحظى بالاحترام والتقدير في هذا الحي إلا بتبني إحدى صور البطولة التي ارتسمت في ذهنه، كصورة المجرم في حيه. حيث يبدأ في تتبع خطوات بطله المجرم حتى يسقط في أخطائه، ويرتكب أعمالاً ضد القيم والمصلحة العامة، فالطفل انحراف باتباعه بطل السوء، وهذا ربما لعدم وجود بطل الخير والصالح الذي يرشده ويقتدي به في الحي نفسه.

أصناف الأحياء المصدرة للانحراف:

- (١) الحي المكتظ سكانياً وتنتشر فيه الرذيلة مثل: (البغاء، والقمار، والرشوة، والمخدرات).
- (٢) الحي الذي يعاني من الحرمان والفقر المدقع، بحيث تصبح السرقات البسيطة كأنها سلوك طبيعي.
- (٣) الحي الذي ينفصل عن المجتمع بفواصل طبيعية أو اجتماعية.
- (٤) الحي الذي يعيش فيه غير المتزوجين، ومن سماته عدم التجانس بين سكانه.
- (٥) الحي الذي يغلب على سكانه الأقليات، بحيث يمتاز بعزلة اجتماعية.
- (٦) الحي النائي، وهذه عادة ما تكون هذه الأحياء أقرب إلى الريف وتكون ملجأ لاختفاء المجرمين.

دور الحي السكني في تنمية السلوك الإجرامي

يعتقد العلماء أن مناطق الجيرة لها دور في تنمية الجريمة، إلا أن معدلات الجريمة تختلف من حي سكني لآخر. قام "شو" بتحليل إحصائيات لاثنتي عشر مجموعة من الأحداث المنحرفين في "شيكاغو"، وتوصل إلى النتائج التالية:

- ◆ تختلف معدلات الجريمة والانحراف من حي سكني لآخر. في الوقت الذي لم يقبض فيه على أي حدث في بعض المناطق، أُلقي القبض على خمس الأولاد في سنة واحدة من مناطق أخرى.
- ◆ ترتفع معدلات الانحراف وسط المدينة في المناطق ذات الإيجار المنخفض، ثم تقل النسبة وسط المدينة.
- ◆ ترتفع معدلات الجريمة في المناطق الصناعية، وتقل في وسط المدينة.
- ◆ الأحياء التي تشهد ارتفاعا في معدلات المشردين، تشهد ارتفاعا . أيضا . في القضايا المعروضة على محاكم الأحداث.
- ◆ المناطق التي يكون فيها معدلات عالية من انحراف الصبية، تشهد أيضا ارتفاعا في معدلات انحراف الإناث.

خلاصة القول: الحي السكني هو مرآة لقاطنيه. من خلاله نستطيع تحديد معالم سكانه، مع التسليم أن هذه المسألة ليست حتمية، فليس كل ساكن في الحي السيئ هو إنسان منحرف ومجرم، بل يتوقف ذلك على مدى تأثيره بالمواقف الاجتماعية التي يعايشها في الحي، إلى جانب دور الأسرة والمدرسة في غربة تلك المواقف التي يتعلمها الفرد في الحي.

رابعاً/ جماعة الرفاق (الأصدقاء)

تأثير الرفاق في التنشئة الاجتماعية لا يقل أهمية عن العوامل السابقة. أشار الإسلام لأهمية الرفاق وأثرهم على حياة الفرد. قال تعالى: {الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف ٦٧]. وقال رسول الله ﷺ: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم إلى من يخالل" [الألباني، الإيمان لابن تيمية، ٦٠]. والأمثال الشعبية والحكم: "قل لي من صديقك أقل لك من أنت"، وقولهم: "الصاحب صاحب". أي الفرد إذا كان أصدقائه من الخيرين والطيبين وذوي الخلق الحسن، فإنه سيتأثر بهم وبأخلاقهم، وإن كانوا من ذوي الطباع السيئة والأخلاق المشينة، فإنهم سيتركون على الفرد أثراً سيئاً، وخُلُقاً فاسداً.

أصناف أصدقاء الحدث:

❖ أصدقاء الحدث المماثلون له في السن.

❖ أصدقاء الحدث الأكبر منه سناً.

❖ أصدقاء من الأقارب والجيران.

يختلف تأثير كل صنف من الأصناف السابقة على الحدث، وأشدّها خطورة "الصنف الثاني"، أي الذين يكبرون الحدث في السن، إذ يعتبرهم الحدث المثل الأعلى والقُدوة، ويسعى جاهداً لتقليدهم والاقتراء بهم والتقرب إليهم، وقد يتطور الأمر من جانب الصديق الكبير إلى استغلال الحدث في ارتكاب مخالفات عديدة، مثل: (السرقَة، الترويج للمخدرات، الشذوذ الجنسي... إلخ).

دور جماعة الرفاق في تنمية السلوك الإجرامي:

إن المناطق التي تشهد ارتفاعاً في معدلات الجريمة والانحراف، يجتمع فيها شمل الأولاد الذين يقيمون في شارع واحد أو حي سكني واحد في جماعة واحدة

يطلقون عليها لفظ (العصابة) ويتخذون لها اسما متفق عليه. من خصائص هذه المجموعات / العصابات:

- ◆ متقاربون في السن.
 - ◆ لهم ثقافة متشابهة (ثقافة فرعية)، ويحملون اتجاهات موحدة حول الكثير من القضايا الاجتماعية.
 - ◆ يحددون لأنفسهم مكانا للاجتماع والمقابلات.
 - ◆ لا يسمح لأي شخص غريب أن يخترق الجماعة.
 - ◆ يقومون بالعديد من الأنشطة المشتركة.
 - ◆ ينظمون أنفسهم من حيث: (الشكل، والأسماء، والقادة، وكلمة السر).
 - ◆ قد تستمر هذه العصابات في أعمالها المنحرفة لفترة غير قصيرة.
- تقوم هذه "العصابات" على تقسيم العمل حسب الجريمة المنوي ارتكابها، ففي حالات السرقة . مثلا، يقسمون العمل بينهم، حيث يقوم الأول بقيادة السيارة، والثاني يحمل البندقية، والثالث يدخل المكان المنوي سرقة. وكل فرد في (العصابة) يقوم بالعمل الذي كلف به دون تردد، فإن تراجع أو اعتذر ينعته بأسوأ النعوت، ويعتبرونه غير جدير أن يكون بينهم.

كتب أحد المنحرفين في تقرير له: "إذا سرق الآخرون ولم تسرق أنت، فإنهم يلقبونك بـ "الأصفر أو خيال المآتة" (خيال الحقل)، والولد الذي لم يسرق يذهب ويسرق حتى لا يظهر بمظهر الجبان".

للتأكد من مدى تأثير جماعة الرفاق على انحراف الفرد، قام "جليك" بدراسة على خمسمائة منحرفا، وتبين أن (٩٨.٤%) كانت لهم صداقات قوية مع

منحرفين آخرين، ثم اتخذ جماعة ضابطة مكونة من خمسمائة طفلا من غير المنحرفين ويعيشون في مناطق مشابهة، تبين أن (٧.٤٪) كان لهم أصدقاء أوفياء من المنحرفين.

خلاصة القول: إن تأثير جماعة الرفاق على انحراف الفرد كبير، لكنه ما هو إلا عامل ضمن مجموعة عوامل متعددة ومؤثرة في الانحراف. من هذه العوامل: (فقدان الرعاية الأسرية، الفقر الشديد، الإهمال الشديد، القسوة الزائدة).

خامسا/ وسائل الإعلام

يعيش العالم اليوم في عصر الفضاءات المفتوحة التي لا تعترف بالحدود الجغرافية، ولا الفواصل السياسية، ولا الخصوصية الثقافية للمجتمعات المحلية، تلك الوسائل غزت كل البيوت سواء رغب الفرد في ذلك أم لم يرغب، فوسائل الإعلام على اختلاف أشكالها ومسمياتها تحاصر الإنسان وتحيط به في كل مكان أينما حل وارتحل، في البيت.. العمل.. السيارة.. حتى دور العبادة لم تسلم منها.

كانت البدايات الأولى لوسائل الإعلام مع اكتشاف "آلة الطباعة" على يد "جوتنبرغ" سنة ١٤٣٧م، بعد ذلك تسارع إنتاج المطبوعات، فظهرت أول مطبعة في ألمانيا سنة ١٥٠٢م، ثم في إيطاليا سنة ١٥٦٦م، وفي هولندا سنة ١٦١٦م، وفي إنجلترا سنة ١٦٢٢م، وفي فرنسا سنة ١٦٣١م. أما في المجتمع العربي كان "الإنجيل" أول كتاب طبع باللغة العربية سنة ١٥٩١م، في مطبعة "آل مدتشي" في إيطاليا، بعد ذلك طبع أول كتاب بالعربية في لبنان سنة ١٧٣٤م، أما مصر فقد دخلتها آلة الطباعة عن طريق الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت في الفترة بين (١٧٩٨-١٨٠١م).

بالنسبة "للمذياع" استخدم سنة ١٩٠٦م، و"التلفزيون" اخترع سنة ١٩٢٧م. في الوقت الذي كانت فيه حوالي سبعين دولة حتى مطلع سبعينات القرن العشرين لا تستطيع مشاهدة أكثر من قناة تلفزيونية أو اثنتين، تجد اليوم لا توجد دولة إلا وفيها العديد من القنوات الفضائية. هناك ما يزيد عن خمسمائة قمر صناعي تدور حول الأرض، بواسطة الصور المتحركة على شاشات أكثر من مليار جهاز تلفزيوني، تتشابه الصور، وتتوحد الأحلام، وتدغدغ العواطف، وتحرك الأفعال.

يتسم الإعلام المعاصر بالتقدم التقني الهائل، حيث شهدت السنوات الأخيرة تعددا غير مسبوق في قنوات البث الفضائي وتدفقا إعلاميا عالميا، إذ يعتبر هذا مظهرا من مظاهر العولمة. فالفرد يبدأ يومه بمطالعة واحدة أو أكثر من وسائل الإعلام، ولا يستطيع التملص منها. صباحا يستمع للمذياع أو يشاهد التلفزيون، ولعله يطالع شبكة الإنترنت، وفي طريقه للعمل قد يقرأ جريدة أو يطالع كتابا أو يستمع للإذاعة، وفي المساء يشاهد التلفزيون متنقلا بين القنوات الفضائية من (نشرة إخبارية، إلى برنامج تحليل سياسي، أو نشرة اقتصادية، أو برنامج اجتماعي، أو برنامج ديني، إلى مسلسل، إلى فيلم، إلى مسرحية... إلخ).

لقد غدا التلفزيون شيئا لا يمكن الاستغناء عنه. تشير الإحصاءات أن الإنسان يقضي في المتوسط (٥-٦) ساعات يوميا في مشاهدته. لاسيما وأن القنوات الفضائية تقدم وجبات جاهزة من برامج الغناء، والأفلام، والمسلسلات، والبرامج الترفيهية... إلخ. وليس ثمة خلاف بين اثنين، على أن وسائل الإعلام لها دور كبير في كافة جوانب الحياة (الاجتماعية، السياسية، الصحية، التعليمية، الزراعة، الصناعة، الاقتصادية، الدينية... إلخ). وقد أصبحت مصدرا مهما يستقي منها الفرد معلوماته عن العالم.

في إحدى الدراسات طُرح سؤال على عينة البحث: "من أين حصلت على معلوماتك حول ما يدور في العالم؟"، أجاب (٩٥٪) حصلوا عليها من وسائل الإعلام. وفي هذا تأكيد على مدى تأثير الإعلام على سلوك وفكر أفراد المجتمع. وفي دراسة أخرى عن "دور القنوات الفضائية العربية في نشر الثقافة العربية"، بينت تركيز وسائل الإعلام العربية بشكل رئيسي على البرامج "الترفيهية"، حيث بلغت نسبة البرامج الفنية (٦٠٪) من إجمالي ساعات البث، بينما جاء في الدرجة الأخيرة "التقارير الإخبارية" بنسبة (٥٪).

هذه التوجهات في وسائل الإعلام العربية مقصودة وموجهة من قبل الأنظمة الحاكمة، فهي تريد أن تصرف اهتمام المواطن العربي عن الهموم والمشكلات الكبرى التي تعاني منها مثل قضايا: (انتهاكات حقوق الإنسان، وتعرش عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ومصادرة حرية الرأي والصحافة، والفساد الذي ينخر في كافة مؤسسات الدولة، والسجون والتعذيب، وانتهاك حقوق الأقليات... إلخ)، تريد القنوات العربية إلهاء المواطن العربي وتزييف وعيه وصرفه عن النضال من أجل حقوقه الوطنية والمصيرية عن طريق إغراقه بالأفلام المليئة بالمشاهد الساخنة، والمسلسلات الخليعة، والمسرحيات الفارغة من أي قيمة ومضمون، بالإضافة إلى الأغاني الماجنة والهابطة التي تفتقد إلى الفن الراقي والذوق الرفيع. وسائل الإعلام تمتلك قدرة التركيز على جملة من القضايا البعيدة عن خبرة الجمهور، مما يدفعهم للانسحاق خلف "الرأي الموجه" دون إدراك بما يمثل ذلك من خطر على استقلالية الجمهور.

لقد احتلت وسائل الإعلام أهمية كبيرة من كافة التخصصات العلمية، حيث أفردت العديد من الدراسات الاجتماعية والنفسية التي تحدثت عن دور الإعلام وتأثيره على التنشئة الاجتماعية، وقد اختلفت نتائج الدراسات بين مراح

وذاًم.. مؤيد وعارض ومتخذ موقفاً وسطاً. لكنها اتفقت جميعاً على أن وسائل الإعلام تعتبر واحدة من المؤسسات - الثانوية - التي لها دوراً فعالاً في التنشئة الاجتماعية، لما تنشره من معلومات مقروءة ومسموعة ومرئية في شتى المجالات. وتأتي خطورة وسائل الإعلام من خلال ما تبثه الفضائيات على مدار الساعة من مسلسلات خليعة وأفلام هابطة وأغاني ماجنة، تعمل على نشر الرذيلة والتحلل الأخلاقي، ناهيك عن نشر ثقافة العنف في أوساط الأطفال والمراهقين.

دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية

- (١) تبصير أفراد المجتمع بما يدور حولهم من أحداث ووقائع.
- (٢) القيام بدور (التعليم المفتوح)، وعادة ما يكون بشكل غير مباشر.
- (٣) إكساب الأفراد قيم وسلوكيات ومهارات جديدة، قد تكون جيدة أو سلبية.
- (٤) تشكيل الرأي العام حول العديد من قضايا المجتمع.
- (٥) الترفيه من خلال البرامج الخفيفة والمسلسلات والأفلام والمسرحيات الهادفة.
- (٦) المواد التي تنشرها وسائل الإعلام تكون مبسطة وسهل الوصول إليها.
- (٧) يمكن متابعة وسائل الإعلام دون الحاجة إلى تركيز شديد.
- (٨) السرعة في نقل الأحداث والمعلومات.
- (٩) لا تحتاج متابعة وسائل الإعلام إلى معرفة القراءة والكتابة.
- (١٠) تتسم البرامج بالواقعية، مما يجعلها تترك أثراً على سلوك ووعي الناس.

وسائل الإعلام والسلوك الإجرامي

وسائل الإعلام المختلفة (تلفزيون، كمبيوتر، إنترنت، هواتف خلوية، كتب، روايات، مجلات، قصص، صحف، أقراص مدمجة CD) اخترقت حرمة البيوت،

وغيرت من تقاليد وعادات وأخلاق وثقافة الأسر العربية بعرضها مظاهر الحياة المادية والغربية المعولمة، وعرض أنماط حياتها المتفسخة، وأفلام العنف والجنس والجريمة، إلى جانب الدعاية والإعلان عن سلع مرفوضة ومحرمة إسلامياً تبث التحلل والفساد في المجتمعات العربية والإسلامية، ونشرها بين شريحة الشباب على وجه خاص، كي يتمردوا على مجتمعاتهم وقيمهم ويتخلوا عن عاداتهم وتقاليدهم العربية والإسلامية.

في استفتاء أجراه معهد "جالوب" سنة ١٩٥٤م في أمريكا، ألقى (٧٠٪) باللائمة على وسائل الإعلام في نشرها وتشجيعها على الجريمة من خلال الأفلام والمسلسلات إلى جانب الروايات الهزلية. وقد أظهرت نتائج دراسة بعنوان: "الانعكاسات السلبية لمتابعة القنوات الفضائية على المرأة العربية"، أجريت على خمسة آلاف طالبة جامعية تتراوح أعمارهن بين (١٩-٢٣) سنة، نشرت نتائجها (صحيفة أكتوبر في تاريخ ١٦/٢/١٩٩٧م)، وكانت نتائج الدراسة كالآتي:

قبل تركيب الدش	بعد تركيب الدش
(٨٩٪) حرصن على التفوق الدراسي.	ارتفع معدلات الغياب عن الكلية (٣٢٪).
(٥٪) يعانين من أعراض أمراض نسائية واضطرابات الدورة الشهرية.	(٢٢٪) يعانين من أعراض أمراض نسائية واضطرابات الدورة الشهرية. و(٢٢٪) لديهن معاناة في تكرار الرغبة الجنسية.
(٣-٧) ساعات معدل مشاهدة التلفاز في الأسبوع، عدا يومي الخميس والجمعة يرتفع المعدل إلى (٤) ساعات.	ارتفعت معدلات مشاهدة التلفاز إلى (٩-٢٢) ساعة في الأسبوع، عدا يومي الخميس والجمعة يرتفع المعدل إلى (٨) ساعات.
	(٥٣٪) من عينة البحث تركن الصلاة كعبادة دائمة، حيث قلت الاهتمامات الدينية مثل: قراءة القرآن وأداء النوافل،

ضعف الالتزام بالدوام الدراسي.	
(١٠٠٪) فأصبحن على دراية بهذه العادة السيئة، أي عينة البحث كاملة.	(٩٢٪) لم يكن يعرفن العادة السرية.

الأفلام التي يشاهدها: (٨٥٪) جنس، و(٧٥٪) تحتوي على مشاهد جنسية، (٨٥٪) عنف وحروب. (٢٣٪) فضاء، (٦٨٪) عاطفية قديمة وحديثة، (٢١٪) أخرى، (٦٪) يشاهدن نشرات الأخبار والبرامج الثقافية والترفيهية.

في دراسة عن "أخلاقيات الفضائيات وأثرها على المجتمعات"، توصلت إلى أن (٨٩٪) من الإعلانات الموجهة للشباب تحتوي على قيم سلبية كالشراهة والتبذير والانحلال، و(٩٣٪) من الفضائيات تستخدم السيدات في الإعلانات وتقديم البرامج. وأثبتت الدراسات وجود علاقة طردية بين ما يشاهده الشباب والانحراف، حيث أن (١٦.٧٪) فقط يشاهدون برامج توجيهية (دينية، ثقافية، علمية)، في حين (٥١٪) يشاهدون البرامج الرياضية، بينما (٦٤.٢٪) يشاهدون برامج مثيرة كالأفلام والمسلسلات والمسرحيات. يؤكد ذلك ما جاء في تقرير لمجلة "ليفنما دي جودي" الفرنسية الأسبوعية أن الأجهزة المرئية في الولايات المتحدة أجهزت على الثقافة، لما تقدمه من عنف ساهم في زيادة معدلات الجريمة داخل المجتمع الأمريكي، حيث يشاهد الأطفال والشباب أكثر من (٨٠٠٠) جريمة قتل على شاشات التلفزيون أو الأقراص المدمجة أو ما يبث عبر مواقع الإنترنت.

وكشفت "جمعية التعليم الوطني في واشنطن" عن أرقام مذهلة عن العنف المسلح في المدارس الأمريكية، فهناك مائة ألف طفل يأخذون مسدسات حقيقية إلى مدارسهم كل يوم، مما يتسبب في غياب مائة وستين ألف تلميذا يوميا خوفاً من مسدسات زملائهم، ويتلقى تسعين معلماً يوميا تهديدات باستخدام العنف ضدهم، ويُقتل أربعين تلميذاً، أو يصابون يوميا من جراء استخدام الأسلحة

النارية. وأصدرت منظمة "اليونسكو" تقريراً يشير إلى خطورة برامج الإعلام على الشباب، حيث اعتبرت "أفلام العصابات" تؤدي إلى اضطرابات أخلاقية تكمن وراء الجرائم المختلفة في محاولة لتقليد ما ينشر في الأفلام.

دور وسائل الإعلام في تنمية السلوك الإجرامي

يتمثل دور الإعلام في نشر ثقافة الجريمة من خلال العوامل الآتية:

■ النشر المستمر لأخبار المجرمين، وتقخير قادة الإجرام، والعمل كأجهزة إعلان لهم . بشكل مقصود أو غير مقصود .. وعادة تنشر أخبار الجريمة بشكل ملفت للنظر، لتجذب انتباه القارئ أو المستمع، وكأنها توحى له بأن الجريمة هي نمط حياة في المجتمع.

صرح "براندون سنتروال" المتخصص في دراسة مصادر الأمراض أنه لو لم يخترع التلفاز لكان في أمريكا في هذا العصر انخفاض في الإجرام بنسبة عشرة آلاف جريمة قتل سنوياً، وسبعين ألف جريمة اغتصاب، وسبعمئة ألف جريمة عنف. ولاحظ "براندون" أن التلفزيون دخل أمريكا وكندا سنة ١٩٤٥م، وفي الفترة ما بين (١٩٤٥-١٩٧٤م) ارتفعت نسبة "القتل" (٩٣٪) في أمريكا، و(٩٢٪) في كندا. هذه الأرقام تعكس مدى تأثير التلفزيون في تنمية السلوك الإجرامي في المجتمع.

■ التدخل في عمل القضاء من خلال ما يمكن تسميته بـ "المحاكمات الصحفية": إذ ينشط عدد من محرري الصحف وكتاب الأعمدة في تقديم الأدلة والمعلومات عن الجريمة، وعادة يكون مكاتب الشرطة والمدعي العام هم مصدر معلوماتهم، وتقدم الأدلة بشكل مكرر في الصحف، مما يجعل الجمهور يقبل القرار الصحفي بشكل ضمني، الأمر الذي يصعب زحزحته أو تغييره، وهذا قد يشكل عقبة أمام عمل القضاء.

- نشر الذعر بين الجمهور من المجرمين وأفعالهم، مما يضعف الإجراءات القضائية.
- بعض المجرمين يستوحي أفكاره من الروايات البوليسية وأفلام العنف التي تعرض على الفضائيات وفي دور العرض.
- الصور المتحركة: (١٠٪) من المنحرفين، و(٥٪) من المنحرفات تأثروا بما يعرض في الصور المتحركة من أفعال إجرامية. وهذا ليس مستهجنا إذا علمنا أن ست شركات عالمية تسيطر على سوق البرمجة الموجهة إلى الأطفال في العالم، أربع منها أمريكية وهي: (تايم وارنر، والت ديزني، فياكوم، نيوز كوروب). بالإضافة إلى شركتي: (بيتر تلزمان الألمانية)، و(سوني اليابانية). وقد وقعت الكثير من حالات القتل والاغتصاب والسرقعة والنشل والاعتداء على الغير من أطفال كانوا يقلدون ما يرونه في الأفلام الكرتونية.
- متابعة القنوات التلفزيونية ومواقع الإنترنت الانحلالية يؤدي إلى ضعف الوازع الديني، وذهاب الورع، وقلة الغيرة، وواد الفضيلة وقتل الحياء: تفيد الإحصاءات بأن (٦٣٪) من المراهقين يرتادون المواقع الإباحية على الإنترنت بدون علم أولياء أمورهم. علما أن أكثرهم تتراوح أعمارهم بين (١٢-١٧) سنة. وهذه المرحلة العمرية (المراهقة) تعتبر بمثابة منعطف تاريخي هام وخطير في حياة الفرد، وما لم تكن هناك رقابة ومتابعة أسرية، يمكن للفرد أن ينحرف مع التيارات المنحرفة إلى غير رجعة، وتبقى ملازمة له طول العمر.
- انتشار جرائم الزنا والاغتصاب والشذوذ الجنسي، وانتهاك الحرمات حتى مع المحارم: والواقع خير شاهد على ذلك، فتارة نسمع عن شاب مارس الفاحشة

مع أخته أو أمه أو ابنته أو خالته أو ما شابه ذلك من الفواش. ومواقع الإنترنت لا تخلو من ذكر مثل هذه الحالات بشكل شبه يومي.

دور الإعلام الفلسطيني في تنمية السلوك الإجرامي

في دراسة أجريت على المدارس الثانوية في قطاع غزة بينت أهم العوامل المتعلقة بوسائل الإعلام ودورها في تنمية العنف في المدارس:

- (١) مشاهدة الطلاب لأفلام العنف (٩٠,١٪).
- (٢) انتشار الأقمار الصناعية (الدشات) (٨٥,٢٪).
- (٣) التأثر بالبرامج الأجنبية التي تبثها القنوات التلفزيونية (٨٣,٨٪).
- (٤) عدم بث برامج للتوجيه والإرشاد (٨٢,٨٪).
- (٥) متابعة الطلاب لبرامج المصارعة والكارايتيه (٨٢,٢٪).
- (٦) إعطاء الحرية للأبناء مشاهدة ملا يريدون (٨٠,٨٪).
- (٧) انفصام ما تكتبه وتنشره وسائل الإعلام عن الواقع (٧٩,٨٪).
- (٨) مشاهدة بعض الدعايات التي تؤدي إلى العنف (٧٩,٧٪).
- (٩) سماع أشرطة التسجيل المجنة (٧٩,٤٪).
- (١٠) الإطلاع على مجلات الإثارة (٧٩٪).
- (١١) تقمص شخصيات الأبطال في مسلسلات العنف (٧٨,٤٪).
- (١٢) مشاهدة الأبناء أفلام خاصة بالكبار فقط (٧٦,٩٪).
- (١٣) مشاهدة المسلسلات الغرامية (٧٤,٧٪).
- (١٤) إبراز الصحف لأخبار الجريمة والعنف (٧٣,٢٪).

الفصل الرابع

العولمة والجريمة

مقدمة:

كثيرة هي الدراسات، والمؤتمرات التي عقدت بشأن العولمة، وتناولت الموضوع بالشرح والتحليل والتعليق. منها من مدحتها وأثنت عليها، على اعتبار أنها الحل السحري والمخلص للبشرية من كل مشكلاتها. ومنها من ذمته، وذكرت سلبياتها؛ على اعتبار أنها تسعى لأمركة العالم، وتجسد هيمنة النظام الرأسمالي القائم على استغلال ثروات الشعوب الفقيرة؛ والمساهمة في ظلمها وإفقارها. ومن الدراسات حاولت أن تتخذ موقفاً وسطاً، فحاولت أن تبين سلبياتها من جهة وإيجابياتها من جهة أخرى، ودعت إلى ضرورة التعامل مع العولمة بشكل متوازن في محاولة للاستفادة من منجزاتها المادية والتكنولوجية، والابتعاد عما لا يتماشى مع قيمنا وأخلاقنا وعقيدتنا.

العولمة ليست حديثة كما يعتقد البعض، بل لها جذورها التاريخية، فهي امتداد لمسيرة التطور الرأسمالي منذ مرحلتها الجينية في القرن الخامس عشر. العولمة أول ما ظهرت كانت تحمل صبغة اقتصادية بحتة. بعد أن زالت الضبابية تبين أن لها أبعاداً متشعبة، كل منها متداخل في الآخر، فأصبح من الصعب حصر العولمة في الجانب الاقتصادي فقط. بعد ذلك انتشر مصطلح "العولمة" في كتابات السياسة، والاجتماع، والثقافة، والإعلام، والتقانة.

على الرغم من القول بتاريخية العولمة، إلا أن "جلال أمين" يذكر بأن هناك أشياء جديدة جدت على العولمة في العقود الأخيرة:

- ١- خروج بعض دول العالم من عزلتها، كونها لم تستطع حماية نفسها من تيار العولمة الجارف.
- ٢- التنوع الكبير في السلع والخدمات، وانتقال رؤوس الأموال بين دول العالم.

- ٣- ارتفاع الكثافة السكانية على مستوى العالم، الأمر الذي أثر على علاقة الدول ببعضها البعض.
- ٤- أصبحت المعلومات والأفكار تشارك رأس المال في السيطرة والتحكم في العلاقات بين الدول.
- ٥- ظهور الشركات متعددة الجنسيات.
- ٦- تراجع دور الدولة الوطنية.

تعريف العولمة:

يُرجع بعض المفكرين أصل مصطلح العولمة إلى تنبؤات عالم الاتصال الكندي "مارشال ماكلوهان" بأن العالم أصبح (قرية كونية) بفضل تطور قنوات الاتصال. وفريق ثاني يرى أن أصل المصطلح يعود إلى الفكر الفلسفي الألماني، الذي توجّه "هيجل" بمقولته: "الدولة العالمية المنسجمة" التي تنعدم فيها المتناقضات الأيديولوجية، وتطبق حقوق الإنسان كأسمى صورة للدولة العالمية الإنسانية. بينما فريق ثالث ينسب العولمة إلى الأمركة. ومن تعريفات العولمة:

- روزناو: "هي العلاقات بين مستويات متعددة: الاقتصاد والسياسة والثقافة والأيديولوجيا، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج وتداخل الصناعات عبر الحدود، وانتشار أسواق التمويل، وتماثل السلع لمختلف الدول، ونتائج الصراع بين المجموعات المقيمة".
- روبرتسون: هي "تشكيل وبلورة العالم بوصفه موقفا واحدا، وظهور لحالة إنسانية عالمية واحدة".

- جلال العظم: "هي حقبة النمو الرأسمالي العميق للإنسانية في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ".
- إسماعيل صبري: "هي التداخل الواضح لأموال الاقتصاد والاجتماع والسياسة والسلوك، دون اعتداد يذكر للحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتماء إلى وطن محدود أو إلى دولة معينة".
- حاتم عثمان: "هي نمط سياسي اقتصادي ثقافي لنموذج غربي متطور خرج بتجربته عن حدوده لعولمة الآخر، بهدف تحقيق أهداف وغايات فرضها التطور المعاصر".

يمكننا تعريف العولمة: "تعميم النموذج الأمريكي . الغربي (الرأسمالي الليبرالي) في نظم السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والثقافة، والتكنولوجيا، والإعلام خارج بلدانها، دون اهتمام يذكر بحدود الدول السياسية، أو الخصوصية الثقافية، أو التنوع الحضاري والديني، بهدف إيجاد نظام عالمي جديد برؤية أمريكية".

نشأة العولمة

صاغ "روبرتسون" نموذجا يحدد مراحل تطور العولمة، وقسمه إلى خمس مراحل. هي:

١. المرحلة الجنينية: استمرت في أوروبا منذ مطلع القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر. وشهدت تطور المجتمعات القومية، وتعمق الأفكار الخاصة بالفرد والإنسانية.

٢. مرحلة النشوء: استمرت في أوروبا منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى سنة ١٨٧٠م. شهدت تحولا في فكرة الدولة الموحدة المتجانسة، وتبلورت المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية، وزادت الاتفاقيات الدولية، وبدأ الاهتمام بموضوع القومية والعالمية.

٣. مرحلة الانطلاق: استمرت منذ سنة ١٨٧٠م حتى عشرينات القرن العشرين، وظهرت مفاهيم مثل: (المجتمع القومي والهوية القومية)، وتم دمج عدد من المجتمعات غير الأوروبية في المجتمع الدولي، وشهدت المنافسة الدولية مثل: (الألعاب الأولمبية، جوائز نوبل، تطبيق فكرة الزمن الدولي). وفي هذه الفترة وقعت الحرب العالمية الأولى، وقيام عصبة الأمم.

٤. مرحلة الصراع من أجل البقاء: استمرت من عشرينات القرن العشرين حتى منتصف الستينات. شهدت الخلافات الفكرية والسياسية، وتم التركيز على موضوعات مثل: (الهولوكوست، إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما في اليابان، بروز دور الأمم المتحدة).

٥. مرحلة عدم اليقين: بدأت من ستينات القرن العشرين حتى أزمتات التسعينات وما بعدها، حيث تم دمج العالم الثالث في المجتمع الدولي، والهبوط على القمر، ونهاية الحرب الباردة، ونهاية النظام ثنائي القطبية، وشيوع الأسلحة الذرية، وازدياد عدد المؤسسات الكونية، وظهور حركة الحقوق المدنية، والاهتمام بالمجتمع المدني، والمواطنة العالمية، وتدعيم نظام الإعلام الكوني.

الأحداث المهمة في العالم التي مهدت لظهور العولمة

(١) سنة ١٨٦٦م: ظهرت أول خدمة دولية للتلغراف عبر المحيطات.

- (٢) سنة ١٨٨٤م: أءءل نظام التئسيق للساعات على مستوى العالم وفق توقىت "غرىنتش".
- (٣) سنة ١٨٩١م: ظهر أول نظام لئاءصال التلفونى بىن لئدن وبارىس.
- (٤) سنة ١٩٢٠م: ظهرت أول إءاعة بالراءىو من محطة (k.d.k.a) الأمريكئة.
- (٥) سنة ١٩٢٩م: ظهر أول نظام لائنقال الأموال عبر الءءوءء الدولئة ءون ضرائب (لوكسمبورغ).
- (٦) سنة ١٩٥٥م: افتءاء أول مطعم لماكءونالءز، الئى ءعءبر من رموز العولمة.
- (٧) سنة ١٩٥٧م: إطلاق أول قمر صناعى إلى الفضاء الخارجى.
- (٨) سنة ١٩٦٢م: بءء أول اءصالات دولئة عبر الأقمار الصناعية.
- (٩) سنة ١٩٦٩م: صناعة أول طائرة نفائة واسعة الءجم من طراز (بىونف ٧٢٧).
- (١٠) سنة ١٩٧١م: إنشاء أول نظام إلكءرونى لأسعار صرف الأوراق المالىة.
- (١١) سنة ١٩٧٢م: عقد أول مؤءمر ءولى للئئمئة.
- (١٢) سنة ١٩٧٤م: أزالء الءكومة الأمريكية القىوء على أسعار صرف العملات الأءنبئة.
- (١٣) سنة ١٩٧٦م: بءء أول بء مباءر بالأقمار الصناعية على الأطباق المقامء على سطوح المنازل.
- (١٤) سنة ١٩٥٤م: اكءشاف الترانزستور.
- (١٥) سنة ١٩٥٩م: اسءءاء الكمبىوئر فى الصناعة.
- (١٦) سنة ١٩٦٢م: اكءشاف الإنسان الآلى.
- (١٧) سنة ١٩٧١م: اكءشاف المعالء المصغر (الماءكرو بروسبور).

مجالات العولمة

العولمة لها وسائلها المختلفة مثل: (التقدم التكنولوجي، والفضائيات، وشبكة المعلومات الدولية "الإنترنت"، والتقدم الهائل في علوم الطبيعة والبيئة والجينات والفيزياء، وتشكيل التكتلات الاقتصادية والعسكرية الدولية، والشركات متعددة الجنسيات، وصندوق النقد والبنك الدوليين، ومنظمة التجارة العالمية). وللعولمة مجالات متعددة أبرزها: (الاقتصاد، والسياسة، والثقافة، والاجتماع، والإعلام، والتكنولوجيا والاتصالات). وفيما يلي الحديث عن هذه المجالات:

أولا/ العولمة الاقتصادية:

تعني الاقتصاد المفتوح، وتبني الليبرالية الجديدة^٨، وتعميق قيم الإنتاج والمنافسة، وهيمنة النظام الرأسمالي، وتساعد دور الشركات متعددة الجنسيات، وتنامي دور صندوق النقد والبنك الدوليين، وتشكيل التكتلات الاقتصادية العالمية، واستغلال ثروات الدول النامية وزيادة فقرها، وتعميق الهوة بين دول الشمال المتقدم والجنوب المتخلف، أي تزيد من غنى الدول الغنية وفقر الدول الفقيرة.

عولمة الاقتصاد تعني باختصار، استعمال سلاح الثروة، والمال، وفقر الشعوب، لفرض أنماط اقتصادية جشعة تخدم مصالح الشركات متعددة الجنسيات، على حساب الاقتصاد المحلي، تحت ستار التبادل الحر والتنمية. فهي تريد تحويل كل شيء. بالمعنى الواسع للكلمة. إلى سلع قابلة للعرض والطلب.

^٨ تعني الليبرالية الجديدة ببساطة: "ما يفرزه السوق صالح، أما تدخل الدولة فهو طالح"، وهي تشجع الآتي: عدم تدخل الدولة، تحرير التجارة، حرية تنقل رأس المال، خصخصة المشروعات والشركات الحكومية.

مثال واقعي يضربه "محمد قطب" للوجه الاقتصادي للعولمة، لا يحتاج إلى جهد كبير في استخلاص أبعاده ووسائله. دول العالم الثالث . التي تنتج معظم البترول المستخدم في صناعة العالم الأول، والذي يمثل المسلمون الجانب الأكبر منه . يملك "خامات" كثيرة، تحتاج إليها الدول الصناعية، لكنه لا يملك المصانع، ولا الخبرة والتقنية التي يدير بها تلك المصانع إن وجدت. الذي يملك الخبرة والتقنية الغرب . وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية .، ومن ثم فإن هذا الغرب يفرض على العالم الثالث . الفقير الجاهل المستضعف . أن يبيع له ما يملك من خامات بأبخس الأثمان، ثم يصنعها عنده، ويعيدها مصنعة؛ فيبيعها للعالم الثالث بأعلى الأثمان، فيربح أرباحا كثيرة (مادية ومعنوية). المادية: بخس سعر الشراء ورفع سعر البيع، أما الأرباح المعنوية: تكون بإذلال دول العالم الثالث وإشعاره بالتبعية الاقتصادية والعجز والتخلف.

هذا الوجه من وجوه العولمة أوضح من أن يحتاج إلى توضيح وتفسير، لكن وسائله هي التي تحتاج إلى شيء من التوضيح والتفسير. فالخصخصة . على سبيل المثال . تعد من إحدى وسائل العولمة الاقتصادية التي حجّمت من سلطة الدولة "القومية" على ممتلكاتها، فلا تعود تملك لها منعاً ولا منحاً ولا حماية ولا استغلالاً يعود عليها وعلى شعوبها بالخير، وإنما فتحت الباب على مصراعيه وأطلقت يد القطاع الخاص، بحجة أنه هو الأقدر على إدارتها واستغلالها.

العولمة الاقتصادية . بالنسبة إلى العالم الثالث . هي السيطرة الكاسحة لرأس المال الغربي على اقتصادها، ووضعها بين فكّي الكماشة، سواء بخفض أسعار الخامات، أو رفع أسعار الإنتاج، مع تخدير الدول وشعوبها من خلال العزف على وتر التنمية الاقتصادية الذي ستحدث في العالم الثالث نتيجة العولمة، والتي ستعين الدول على سداد ديونها، وتوجد فرص عمل جديدة أمام العاطلين. - هو

حق على المدى القربى، ولكنه على المدى البعید ینتهى بتنحية هذه الشعوب عن مقومات وجودها، وسيطرة الغرب عليها، والتحكم الكامل فى مصائرها ..

أرقام وإحصائيات تعكس توحش العولمة الاقتصادية:

❖ ميزانية عشر شركات عالمية تجاوزت ميزانية أصغر مائة دولة فى الأمم المتحدة.

❖ أكبر خمسمائة شركة عالمية تسيطر على (٤٤٪) من ثروات الأمم، وتسيطر على (٧٠٪) من حركة التجارة الدولية، وتستقل بمصالحها بعيدا عن سياسات الدول والحكومات بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

❖ أكبر مائة تكتل اقتصادى فى العالم ینحصر فى خمسين شركة، وخمسين دولة فقط.

❖ خمس شركات عالمية فقط تسيطر على (٤٠٪) من صناعة (الطيران، الفضاء، الإلكترونيات، الاتصالات، الكمبيوتر، المعلومات، النفط، الصلب، الفحم).

❖ أربعة شركات فقط تسيطر على (٩٠٪) من إنتاج القمح والسكر والبن والشاي.

❖ ثلاثمائة وثمانية وخمسين مليارديراً يمتلكون معاً ثروة تضاهي ما يملكه نصف سكان العالم.

❖ (٢٠٪) من دول العالم هي أكثر الدول ثراءً، بحيث تستحوذ على (٨٤,٧٪) من الناتج الإجمالى للعالم، و(٨٤,٢٪) من التجارة الدولية، ويمتلك سكانها (٨٥,٥٪) من مجموع مدخرات العالم.

❖ مجموع الثروة التي ينعم بها أغنى ثلاثة أشخاص في العالم يفوق الناتج الإجمالي لحوالي ثمانية وأربعين بلدا تعد من أفقر البلدان وتعادل ربع العالم.

ثانيا/ العولمة السياسية:

تدعي أنها تهدف إلى القضاء على النظم السياسية الشمولية .التسلطية، وتدعم قيم الديمقراطية، والحرية، والتعددية الحزبية. في المقابل تتجاهل حدود الدولة الوطنية وتنتهك سيادتها، وتتدخل في شؤونها الداخلية.

مع ظهور البوادر الأولى للعولمة، بدأت أركان الدولة الوطنية . كفاعل في العلاقات الدولية . تهتز شيئا فشيئا، نظرا للتحويلات العميقة التي صاحبته في مختلف الميادين، وبروز فاعلين جدد على المسرح الدولي الذين باتوا ينافسون الدول في تدبير وظائفها الأساسية. وانسحابها من تحمل مسؤولياتها في تدبير بعض الجوانب الأساسية من السياسة العامة، كالاقتصاد، والتنمية، والتعليم، والصحة. كما تحاول العولمة السياسية أن توجد أنظمة سياسية تدعم أحادية القطبية، وتؤيد السياسات الخارجية للولايات المتحدة.

إن زعم أمريكا أنها تنشر قيم العدالة، والديمقراطية، والحرية في العالم هو ادعاء باطل، يكذبه الواقع. يؤكد صحة قولنا؛ الممارسات الأمريكية الواضحة في أفغانستان والعراق وتدمير البنية التحتية لهذين البلدين بدعوى محاربة الإرهاب والقضاء على النظم الديكتاتورية فيهما، يضاف القلاقل والفتن التي تصطنعها ومعها دول التحالف الأطلسي في البلدان العربية مثل: (لبنان، والسودان، والصومال، واليمن، وسوريا) لزعة الأمن والاستقرار هناك. يضاف إلى ذلك الحصار الصهيوني الأمريكي الجائر الذي فرض على الشعب الفلسطيني لا

لشيء إلا بسبب ممارسته حقه "الديموقراطي" في الانتخابات التشريعية الثانية التي جرت بتاريخ ٢٥/١/٢٠٠٦م، وأدت لفوز الإسلاميين (حركة حماس) - القيمة التي طالما تشدقت بها أمريكا، ودعت الدول النامية بما فيها الدول العربية والإسلامية إلى التحلي والامتثال بها!!

المتابع للتصريحات الأمريكية في السنوات الأخيرة فيما يتعلق بما يسمى بـ "منطقة الشرق الأوسط" يجد أنها لم تعد تلحن كثيراً على وتر التعددية السياسية والحريات والديمقراطية؛ لأنه بهذه الديمقراطية يكون صعود التيارات الإسلامية، وهذا ما لم يرق لأمريكا وحلفائها في العالم. ومن جهة ثانية إدعاء أمريكا احترامها لحقوق الإنسان دعوى كاذبة افتضح زيف إدعاؤها في سجون غوانتانامو في أمريكا، وسجن أبو غريب في العراق.

مما زاد من خطورة العولمة؛ اختفاؤها وراء مظلات أخلاقية وإنسانية؛ لخدمة مآربها وتكريس هيمنتها، فالعولمة تسخر القانون الدولي ومؤسساته، مثل هيئة الأمم المتحدة، لحشد الدعم والتشريع لتدخلها وسياساتها الغاشمة في العلاقات الدولية، كما أنها تستتر بالديمقراطية وحقوق الأقليات ومسائل البيئة للتدخل في الشؤون الداخلية للدول.

ثالثاً/ العولمة الإعلامية:

يتسم العالم المعاصر بالتقدم التكنولوجي الكبير في وسائل الإعلام والاتصالات، حيث شهدت السنوات الأخيرة تعدداً غير مسبوق في القنوات الفضائية، التي تعد مظهراً من مظاهر العولمة، التي هي تعبير عن علاقات القوة الاقتصادية والاتصالية والتقدم الإعلامي.

لإعلام العولمة هدف رئيسي عبّر عنه روتكليف دافيد: "... السعي لتوحيد الثقافة بحيث تكون هناك ثقافة عالمية بدلاً من الثقافات المحلية، التي تقف عائداً أمام المشروع الليبرالي بالهيمنة على العالم".

توجد أربع وكالات إعلامية هي: (أسوشايتد برس، ويوناييتد برس، رويتر، فرانس برس) تسيطر على (٨٥٪) من الأخبار والمعلومات العالمية.

بلغ عدد مستخدمي الإنترنت تسعين مليوناً. (٨٨٪) من معطيات الإنترنت باللغة الإنجليزية، و(٩٪) بالألمانية، و(٢٪) بالفرنسية، وبقية لغات العالم (١٪). إذن نصيب اللغة العربية على شبكة الإنترنت هو جزء من واحد في المائة من بقية لغات العالم عدا . الإنجليزية والألمانية والفرنسية . علماً أن عدد مستخدمي الإنترنت يزداد أسبوعياً حوالي نصف مليون.

يذكر شيللر أن أسلوب الإعلان ومضمون الإعلام الغربي يدفع إلى توسع ثقافة الاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبية تطمس أو تزيل الهويات القومية أو الوطنية.

إن صناعة الأفلام الأمريكية تنفق في المتوسط تسعة وخمسين مليون دولاراً على الفيلم الواحد، وتتمتع بدرجة عالية من التجهيزات والتقنيات مما يعجز منافسوه عن مجاراتهم. فهي المهيمنة على الأسواق العالمية. خذ على سبيل المثال: شركة هوليوود في الثمانينات كان (٣٠٪) من دخلها من الأسواق العالمية، هذه النسبة ارتفعت اليوم إلى (٥٠٪)؛ لأنها تنتج (٨٥٪) من الأفلام المعروضة في العالم. و(٥٤٪) مما يعرض في التلفزيونات الأوروبية هي أعمال أمريكية.

إذا كان هذا هو حال الدول الأوروبية التي تنافس أمريكا في التطور العلمي. ما بالك بالدول العربية مجتمعة التي هي في ذيل الأمم في شتى المجالات!

تشير إحصاءات منظمة اليونسكو عن المجتمع العربي، أن شبكات التلفزيون العربية تستورد حوالي ثلث إجمالي البث التلفزيوني مثل سوريا، ونصف إجمالي البث التلفزيوني مثل تونس والجزائر، أما في لبنان تزيد نسبة البرامج الأجنبية على نصف إجمالي مواد البث، وبلغت نسبة البرامج الأجنبية في القنوات اللبنانية (٦٩٪) من إجمالي البرامج الثقافية، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل أغلبها تعرض دون ترجمة، بما فيها برامج الأطفال.

بالنسبة للدعاية والإعلانات التجارية: تسعون ثانية في إعلان تلفزيوني واحد عابر للمقارن يكلف ما يكلفه في المتوسط فيلم سينمائي أوروبي.

الإعلانات التجارية أصبحت تطاردنا وتلاحقنا في كل وقت ومكان، فنجدها على شاشات التلفزيون، وأثير الإذاعات، وصفحات الجرائد والصحف والمجلات، وقارعة الطرقات، والشوارع العامة، بل اخترقت حرماننا الشخصية من خلال رسائل الجوال القصيرة (SMS)، حتى دور العبادة لم تسلم منها.

الإعلام العربي في زمن العولمة

لا زال الإعلام العربي يمجّد فخامة الرئيس وسيادة المسؤول، ويجري وراء تحركاته وتنقلاته، والحديث عن عبقريته، وقدراته الخارقة في إدارة شؤون الدولة، وإنجازاته العظيمة، التي تعطي أكثر من حجمها .. ويغطي معظم أوقاته في إعادة تلاوة البيانات، والقرارات الرسمية، وتكرارها في وسائل الإعلام المختلفة (المقروءة، والمسموعة، والمرئية).

إن مشكلة الإعلام العربي تتمثل في الاستبداد وإلغاء الحريات، ففي البلاد التي يسود فيها الاستبداد السياسي لا تزال تعتبر شعوبها من القصر، بينما تعتبر

الحكومات من الراشدين والبالغين، لذلك يخافون على شعوبهم من سوء استخدام الحرية والديموقراطية!

إيجابيات عولمة الإعلام

- هناك من يتحدث عن إيجابيات عولمة الإعلام، بأنه استطاع أن يعمل على:
١. إجبار الدول على الاهتمام بقضايا حقوق الإنسان، والدفاع عن حقوق الأقليات، ومحاربة التمييز العنصري.
 ٢. تحويل المجتمعات المحلية إلى مجتمعات عالمية، فلم تعد السياسات والقرارات الداخلية خافية عن عيون الإعلام.
 ٣. تحقيق نظرة أعمق إلى العالم باستقبال ملايين البشر لاستقطاب رسائله المبسطة.
 ٤. بإمكان المشاهد أن ينتقل إلى أي مكان في العالم قبل أن يرتد إليه طرفه.
 ٥. تنمية السلوك الاستهلاكي من خلال الإعلانات الدولية.
 ٦. وفر لوكالات الأنباء الدولية المناخ المباشر لنشر قيم الاستهلاك.

رابعاً/ العولمة الثقافية:

ليس ثمة خلاف على أن ثقافة العولمة، هي ثقافة مادية استهلاكية بالدرجة الأولى، تسعى لإحلال ثقافة التسلية محل ثقافة العقل. فهم لا يروجون قيم نافعة مثل: العدل، والحرية، والمساواة؛ لأننا من وجهة نظرهم شعوب متخلفة، عالم ثالث لا يستطيع التعايش مع تلك القيم المتحضرة، فلم نرق بعد إلى سمو هذه القيم! إن ما نحن جديرون به . من وجهة نظرهم . هو تحويلنا إلى قطعان من الشعوب للتسمين، والتجارة، والربح، والاستهلاك دون

أدنى احترام للثقافة المحلية التي تمتد إلى آلاف السنين، وما تحمله الثقافة العربية من قيم خالصة تخضع للحوار والمسائلة والنقد وتقبل الآخر.

في كتاب (أمّة الوجبات السريعة.. ما تفعله الوجبة الأمريكية للعالم)، الصادر عام ٢٠٠١ يقول مؤلفه "إيرك" عن تأثير الوجبات السريعة على المجتمع الأمريكي ومدن العالم، أن مطاعم الوجبات السريعة اجتاحت مدن العالم. فعلى مدار العقود الثلاثة الماضية اخترقت الوجبات السريعة كل حي وحرارة ومنعطف في المجتمع الأمريكي، وصناعة الغذاء هذه بدأت بحفنة تعد على أصابع اليد الواحدة من عربات النقانق والبرجر في جنوب كاليفورنيا، فيما بعد انتشرت كانتشار النار في الحطب في بقية أنحاء المجتمع الأمريكي. وقد أصبحت الوجبات السريعة اليوم تباع في المطاعم ومواقف السيارات، والساحات الرياضية والمطارات وحدائق الحيوان، والمدارس والجامعات والسفن والقطارات والطائرات والسوبر ماركت والمجمعات التجارية ومحطات الوقود وحتى في مطاعم المستشفيات.

بحسب تتبع الباحث للظاهرة، في سنة ١٩٧٠م أنفق الأمريكيان حوالي ستة مليار دولاراً على الوجبات السريعة، بينما بلغ سنة ٢٠٠١م أكثر من مائة وعشرة مليار دولاراً. فالأمريكان ينفقون على الوجبات السريعة أكثر من إنفاقهم على التعليم العالي، أو شراء الكمبيوتر الشخصي، أو برامج الكمبيوتر، أو السيارات، أو شراء الكتب والمجلات والصحف. ويرى الباحث أن شراء الوجبات السريعة بشكل يومي في المجتمع الأمريكي أصبح عادة روتينية لا يراها المواطن تختلف عن عادة تنظيف الأسنان، أو الوقوف على إشارة المرور الحمراء، بل أصبحت عادة اجتماعية روتينية لا تكاد تلاحظ بأنها غريبة مطلقاً.

ثقافة العولمة هي رديف الثقافة الغربية والأمريكية، التي تهدف إلى جعل الثقافة الغربية والأمريكية ذات طابع عالمي، أي جعلها أمر حتمي وواقع مفروض على العالم. تريد القضاء على الخصوصية الثقافية والتبادل الثقافى والتنوع الحضاري بين الشعوب . سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر ، عن طريق أنماط السلوك، والتفكير، والمنتجات الثقافية (الأفلام، والمسلسلات، والأغاني)، وتسريحات الشعر، وتصميمات الملابس، وتوحيد القيم حول الأسرة والمرأة والطفل وحقوقهم، وتكريس النزعة الأنانية وحب الذات والتنكر للآخرين، ونشر الفاحشة والرذيلة والانحلال الأخلاقي والشذوذ الجنسي وخدش الحياء.

بكلمات عبد الإله بلقزيز العولمة الثقافية هي: "اغتصاب ثقافى وعدوان رمزي على سائر الثقافات. إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف . المسلح تكنولوجيا . فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها العولمة".

إن العولمة الثقافية تتجه نحو تقزيم العادات والتقاليد والقيم والهويات الثقافية الوطنية، مقابل ترويج عادات وتقاليد وقيم الغرب الفردية . الاستهلاكية على اعتبار أنها القاعدة الأساسية في تعاون الدول في ظل العولمة. يدعم هذا القول الوثيقة التي صدرت عن قمة الاتحاد الأوربي سنة ٢٠٠٠م، تحت عنوان: "الإستراتيجية المشتركة للاتحاد الأوربي في المتوسط"، التي تهدف إلى تغيير بعض القيم الدينية في الدول العربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، بحيث تتلاءم مع القيم الأوروبية. ويأتي هذا في سياق استهداف الإسلام والثقافة العربية، على اعتبار أن الإسلام هو العدو (القديم . الجديد) بالنسبة للغرب.

إن ثقافة العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب (ثقافة الصورة). حيث تشير الإحصائيات والتقارير الدولية إلى أن التجارة الدولية في مجال الإنتاج

والخدمة الثقافية تضاعف أربعة أضعاف ما كان عليه خلال فترة ثمانينات وتسعينات القرن العشرين، وأن المعاملات التجارية في ميادين الموسيقى والفنون التشكيلية والسينما والتصوير الشمسي والإذاعة والتلفزيون والألعاب وأدوات الرياضة قد ارتفعت عوائدها من (٩٥.٢٤٠) إلى (٣٨٧.٩٢٧) مليون دولار أمريكي في الفترة بين عامي ١٩٨٠ - ١٩٩٨م.

كل هذا لأنهم يدركون أن ثقافة الصورة تلعب نفس الدور الذي لعبته الكلمة في العصور السابقة. وهجوم ثقافة الصورة على الوعي هو نتيجة التراجع الحاد لمعدلات القراءة في العالم. هذه الصورة ستغرق فيها ثقافة العولمة على الجسد ما سيفيض عن حاجته من الإشباع تماما مثل العولمة الاقتصادية غير أنها ستنقل الروح وتذهب بالمستوى الأخلاقي والإنساني لسلوك الإنسان.

تنتهي العولمة الثقافية لممارسة ما يشبه العدوان الممنهج على ثقافات الشعوب وقيمها وخصوصياتها، وإبداعات تراثها. فيكون على البلدان جميعها أن ترتدي الثوب أو اللون الواحد، وأن تأكل في الصحن الواحد، وأن تقرأ الكتاب الواحد، وأن يصاغ لها طموحات واحدة، وأذواق واحدة، وأفكار واحدة، ونمط حياة واحد.

إن تعميم ثقافة الاستهلاك يعتبر واحدا من آليات الهيمنة الغربية المفروضة على الشعوب والأمم التقليدية. وقد تشكلت مؤسسات خاصة لهذا الغرض حتى تضمن الفئات الرأسمالية، تصريف منتجاتها وتوزيعها عالميا على أوسع نطاق. هذا وقد لعبت الشركات متعددة الجنسيات دورا مؤثرا في ذلك، واهتمت بإنتاج رموز وبنود ثقافة الاستهلاك لتتكامل مع السلع المادية المنتجة.

أما على صعيد ثقافة الاستهلاك: نسترشد ببعض الإحصائيات التي أخذت عن نساء السعوديات. حيث أشارت الإحصائيات سنة ١٩٩٥م إلى الحقائق التالية:

- ❖ استهلكن (٥٣٨) طناً من أحمر الشفاه.
- ❖ استهلكن (٤٣) طناً من طلاء الأظافر.
- ❖ استهلكن (٤١) طناً من مزيلات الطلاء.
- ❖ استهلكن (٢٣٢) طناً من مسحوق تجميل العيون.
- ❖ استهلكن (٤٤٥) طناً من مواد صبغة الشعر.
- ❖ أنفقن (١٢٠٠-١٥٠٠) مليون ريال سعودي على العطور.
- ❖ (٤٤٠٠) امرأة مصاريفهن خلال الصيف فقط (١١٠) ملايين ريال فساتين الحفلات، و(٨) آلاف ريال متوسط كلفة الفستان.
- ❖ ما تنفقه المرأة الواحدة على كل زينتها خلال الحفلة (٢٥) ألف ريال.

وحسب إحصائيات ١٩٩٧م على نساء الخليج، كانت الأرقام الآتية:

- أنفقن (٧٩٩) مليون دولار على العطور.
- أنفقن (٤) مليون دولار على صبغات الشعر.
- استهلكن (٦٠٠) طن من أحمر الشفاه.
- استهلكن (٥٠) طناً من طلاء الأظافر.
- أنفقن (١,٥) مليار دولار على مستحضرات التجميل.
- استهلكن (٢٩٨) ألف كيلو جرام وزن مستحضرات تجميل العيون.
- استهلكن (٩٦) ألف كيلو جرام لتلميع الأظافر.
- استهلكن (٣٣٤) ألف كيلو جرام لطلاء الوجه.
- استهلكن (٥٩٩) ألف كيلو مستحضرات وقاية الجلد من الشمس.

- استهلكن (٤) ألف كيلو جرام مستحضرات تطرية الجلد.
 - استهلكن (٤٠١) ألف كيلو جرام مستحضرات تجعيد الشعر أو تنعيمه.
 - استهلكن (٧٨٤) ألف كيلو جرام مستحضرات صبغ الشعر.
- من صور الاستهلاك الثقيل التي تروج لها الدعاية والإعلان: الوجبات السريعة مثل: (البرجر، والبيتزا، والمأكولات الدز، ودجاج كنتاكي) التي تفتقد إلى النكهة الجيدة، ويترتب على الإفراط في تناولها أمراضا عصرية مثل: (السمنة، وارتفاع الضغط، وارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم).

ومن صور الاستهلاك الثقيل أيضا المشروبات الغازية مثل: (الببسي، والكوكاكولا). قامت شركة كوكاكولا بتقديم منتجاتها في الصين واليابان بمذاقات مختلفة بحسب أذواق الناس المحلية والإقليمية. أو كما قال إيليش ساخرا: "لقد صار العطش يرتبط على نحو مباشر بالحاجة إلى كوكاكولا".

أضف لما سبق، الصرعات الموسيقية التي تفتقد إلى قواعد الفن الأصيل والذوق الرفيع. لا تجد فيها إلا صراخا، وضجيجا، وأضواء خاطفة، وحركات سريعة، وتبرج وسفور وعري، وكلمات هابطة تدعو إلى الفحش والرذيلة والانحلال الأخلاقي. وكذلك ما تنتجه وتعرضه دور السينما من أفلام تنشر الرعب والعنف والإرهاب والجنس.

قال أحد الغربيين: "في ظل العولمة يراد لنا أن نأكل ونلبس ونفكر كما يفكرون هم، لذلك أصبح وجود محلات الماكدونالدز هو رمز انفتاح أي بلد وتقدمه".

خامسا/ العولمة الدينية:

ثقافة العولمة ثقافة مادية بحتة، لا مكان فيها لما هو إيماني، أو للمشاعر الإنسانية النبيلة، تكاد تختفي فيها القيم والأخلاقيات الحسنة. إنها أوجدت ما أسماه روجيه غارودي (عبادة إله الكمبيوتر بدلاً من عبادة الله تعالى).

لقد أنتجت العولمة بديلاً عن الأخلاق التي كانت سائدة حتى أواخر عقد الثمانينات من القرن العشرين، قيم اقتصاد السوق الحر والليبرالية الجديدة، وملخص هذه القيم: من أجل أن يملأ الإنسان رصيد بطاقته الائتمانية، عليه أن يكسب المال من أي جهة مادام في الظاهر لا يخالف القانون. وهذا الكسب يلغي الضمير الذي هو قاعدة القيم الخلقية، وهو كسب لا معنى للحلال والحرام فيه. يمكن للإنسان في مبادئ قوانين العولمة أن يعمل في صناعة الجنس، شرط ألا يجبر أحداً، وألا يدخل الأطفال في عمله!!

خصائص دين العولمة:

١. دين النخبة.
٢. الإله المعبود (المال).
٣. ليس له قيم أخلاقية، شعاره: "الغاية تبرر الوسيلة".
٤. لا يعرف التكافل الاجتماعي أو المساواة.
٥. جعل الناس تحت سيطرة و سطوة أصحاب رأس المال.
٦. أساسه الزراعة والصناعة والتجارة، لا عبادة فيه.
٧. دنيوي لا أخروي.
٨. لا هوية واضحة لمعتنقيه.

٩. لا أرض جامعة لأتباعه.
١٠. لا شعار له.
١١. استهلاكي وليس إنتاجي.
١٢. كتابه المقدس: "كل أدب وأثر جنسي فاحش إباحي سقيم".

إيجابيات العولمة

على الرغم من الصورة القاتمة للعولمة، هناك من يتحدث عن إيجابياتها، وحصر هذه الإيجابيات . التي هي شعارات براقية يرفعها الغرب وأمريكا أكثر منها سياسات وممارسات على الواقع، ولا يسع المقام لتفنيد هذه الشعارات والدعاوى الباطلة . وقد حصرت هذه الإيجابيات في:

- ❖ الاهتمام بمشكلات البيئة.
- ❖ معالجة ظاهرة الفقر.
- ❖ الانفجار السكاني.
- ❖ التنمية المستدامة.
- ❖ نشر قيم الديمقراطية والحوار والحريات (حرية الصحافة والرأي).
- ❖ الدفاع عن حقوق الأقليات.
- ❖ الدفاع عن حقوق المرأة والطفل.
- ❖ احترام حقوق الإنسان.
- ❖ التخلص من النظم السياسية الشمولية.
- ❖ دعم التعددية السياسية.
- ❖ يسرت وسائل الاتصال والانفتاح على الآخر.

مواقف المثقفين من العولمة

مواقف المفكرين والمثقفين من العولمة تنطلق من رؤى أيديولوجية ومواقف سياسية ومذاهب نظرية ومنطلقات فلسفية محددة مسبقا، وأي دارس لظاهرة العولمة لا يخرج عن واحد من هذه الاتجاهات الثلاثة الآتية:

الاتجاه الأول/ المتفائل:

يمثل الغرب ومن والاه من مفكري العالم الثالث، الذين يعتبرون العولمة هي الحل السحري وطوق النجاة "المخلص" للبشرية من كل مشكلاتها. بالتالي تعد نقطة الانطلاق نحو التقدم والتطور . من وجهة نظرهم ، ولا يمكن التراجع عنها أو اختيار بديل لها، فهي واقع حتمي مفروض على البشرية جمعاء، لا يمكن تجاهله أو غض الطرف عنه.

هذا الاتجاه يقبل العولمة على ما هي عليه دون تفحيص، أو تمحيص، أو تحفظات. أي تعرّف على الفرص وغض الطرف عن المخاطر.

عن هذا الاتجاه يقول محمد اسعيد: "لا أفهم بتاتا محاولة بعض الباحثين العرب تلميع العولمة وكأنها المنقذ الأعظم للأمم العربية، فهل يفعلون ذلك لأن أكثرهم يتلقى رواتب شهرية من جهاز المخابرات الأمريكية، أم هم متحمسون للعولمة لأن أسيادهم وأولياء نعمتهم أحوالهم بذلك؟".

الاتجاه الثاني/ المتشائم:

يمثل أغلب دول العالم الثالث التي ترفض العولمة جملة وتفصيلا، على اعتبار أنها فخ منصوب لها من قبل الإمبريالية العالمية، ولا يجب التعامل معها، وهي سلبية تسعى إلى تعميم للنموذج الغربي . الأمريكي الرأسمالي القائم على

الاستغلال وتحقيق المكاسب والأرباح على حساب الشعوب الفقيرة، وقد بالغ هذا الاتجاه في تضخيم مخاطر وسلبيات العولمة وأخذ يحشد الحشود لمواجهةها، وأحيانا الانغلاق والانكفاء على الذات.

عن هذا الاتجاه يقول نفس الباحث: "بالمقابل هناك بعض الباحثين العرب الذين تدربوا على نظرية "خالف تعرف"، تجدهم يلعنون العولمة وكأنها شيطان مهدد وجودنا، مع أن قلوبهم في بكين وموسكو، إلا أن جيوبهم في واشنطن".

بين هذين التيارين المتناقضين يوجد "صراع خفي بين المؤيدين والرافضين، مع اقتناع الطرفين بقاسم مشترك يجمعهما وهو شراكتهما في الانصياع الكامل لمتغيرات العولمة ووسائلها وآلياتها والرضوخ لتداعياتها القوية على مختلف الأصعدة والمجالات.. ويقف بين الطرفين ملايين الناس الذين لا يفقهون ما يدعو إليه المؤيدين، ولا تدرك ما يعلنه غيرهم من الرافضين".

الاتجاه الثالث/ المتشائل⁹:

التوفيقيون لا يعتبرون العولمة قدرا محتوما، ولا يرفضونها بالكلية. بل يأخذون من العولمة حسناتها ويرفضون سيئاتها.

أسباب القلق من العولمة:

1. التطور في الهندسة الوراثية والجينية، التي تستخدم لأغراض عنصرية وعسكرية، الأمر الذي يهدد القيم الإنسانية.

⁹ لفظ المتشائل مستعار من رواية الأديب الفلسطيني "إميل حبيبي" عن روايته الموسومة بـ: "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي نحس المتشائل". ولفظ المتشائل هو إدغام كلمتي (المتقائل والمتشائم)، أي الموقف الوسطي بين بين، لا هو بالمفرط في التفاؤل، ولا المفرط في التشاؤم.

٢. زيادة احتكار الشركات متعددة الجنسيات لقدراتها المالية والتنظيمية من أجل استغلال ثروات الشعوب، وزيادة تغلغلها في اقتصاديات الدول النامية.
٣. اتساع الفجوة الاقتصادية بين الدول الغنية والدول الفقيرة.
٤. هيمنة ثقافة واحدة (الثقافة الغربية) على بقية الثقافات، ولا تحترم هذه الثقافة الخصوصية الثقافية للثقافات المحلية في العالم.
٥. تعتبر العولمة مقلقة إذا كانت تعني صدام وصراع الحضارات، ولا تحترم الحضارات الإنسانية الأخرى.
٦. تعتبر العولمة مقلقة إذا كانت تعني الأمركة واستفراد أمريكا في قيادة العالم، وتعميم نموذجها الاقتصادي والسياسي والثقافي على العالم.

العولمة رؤية نقدية

- (١) لا يمكن اعتبار العولمة أيديولوجية، أو مذهب سياسي، أو تيار فكري. إنما هي ظاهرة متعددة الوجوه (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، إعلامية... إلخ). ولها مناهج متعددة الأوجه، ومخاطر غير محددة.
- (٢) لا يهتم العالم العربي والإسلامي النشأة التاريخية للعولمة؛ لأن حجم ومضمون العولمة أكبر بكثير مما يمكن تصوره.
- (٣) العولمة ليست هي العالمية، بالتالي لا يمكن القول بعالمية الأديان، أو عالمية المذاهب الاقتصادية كالاشتراكية. العالمية ارتبطت بالأرض والإنسان، أما العولمة ارتبطت بالكونية.
- (٤) اتخاذ مواقف سياسية أو مذهبية أو عاطفية أو دينية لا يخدم التفكير العربي ومصير الأمة، إن المطلوب هو قراءة معمقة ومتأنية لظاهرة العولمة.
- (٥) العولمة ظاهرة دينامية لا ترتبط بموقع جغرافي، أو حدود سياسية.

(٦) كعالف عربف وإسلامف لافء من افافء بعض الإفراءاف لموافهة فطر العولمة مثل: (إنشاء كومنولف إسلامف؁ شبكة إعلامفة متنوعة؁ نظام معرفف وترفوف وأكاففمف مشفرك؁ فطوفر برلمان عربف إسلامف).

العولمة.. الفرفمة.. الإرهاب

فوفء فرفف من البافففن ففرقون بفن مصفلفف (الإرهاب والفرفمة)؁ ففف ففرون أن "الإرهاب" فففى إلى ففقفق مكاسب سفاسفة. فء ففكون ففء ءولفة؁ أو جماعفة سفاسفة؁ أو قرار لا ففماشف مع مصالف الإرهابففن. وفنظر الإرهابف إلى عملف أنه لفس إرهابفا إنما هو ففصففة من أجل ففقفق هءف نبفل. وفنظر هءا الفرفق إلى "الفرفمة المنظمة" أنها فسعى للفسول على الربف والفسب المافف بكافة الفرف. المشروعة وففر مشروعة.؁ مثل: (الءعارة؁ فجارة المءءراف؁ الإفءار بأعضاء البشر... إلخ)؁ إلا أن هءا الفرفق فعرض لاففقااء. وفزعم هءا الافءاف الباففة الأمرفكفة "لوفز شفل"؁ الفف اعفبرف (العولمة.. الإرهاب.. الفساف)؁ فالوفاً ففر مقءس؁ وقء انفسرف فف العالم كانفسار النار فف الهشفف. ففمكن إفءافه فف أفقر بلءان العالم؁ وكذلك فف أكفر بلءان العالم ففءما وازءهارا. بففف فعمل مجموعات "الفرفمة والإرهاب" بالفوافق؁ وفسهل عملهما "الفساف" بكافة أشكاله.

^{١٠} الفرفمة المنظمة هف: سلوك لا اففماعف فقوم به أعضاء ففظمف إفرامف فمارس أنسفة فافرة عن القانون؁ وففوء فف هءة الففظماف الإفرامفة فقسفم العمل؁ وفءافء للأءوار؁ وففسلف للمكانة والسلفة وللمعاففر؁ ولواء ففظمف فاضف. وقء ففكون لهءة المنظماف الإفرامفة علاقات مع بعض العاملفن فف السفاة الملفة؁ أو مع قادة المجمع الففن لهم فأففرف كبفر على السفااف العامة.

^{١١} أسفاة فف كلفة الفءاماف ءولفة فف الجامعة الأمرفكة؁ ومءفرة لمركر الفرفمة والفساف عبر ءول فف الجامعة الأمرفكة فف واشفطن؁ العاصمة؁ فببرة رئفسفة فف الفرفمة والإرهاب؁ لها العفء من المؤلفاف فف مالف الفرفمة ءولفة؁ منها: "ضبف المجمع السوفففف"؁ "الفرفمة والفءفف" بالإضافة إلى الكفب المشفركة مع بافففن آفرفن؁ ومقالافها عفءة ءول كافة أوفه الفرفمة الفف ففطفى الفءول القومفة.

إن الجريمة المنظمة والإرهاب المتعدي لحدود الدول ليسا نشاطا جديدا، بل لهما جذورهما التاريخية. إلا أن الجديد هو سرعة وتكرار تفاعلاتهم المتبادلة، وكثافة التعاون بين هذين الشكليين من الجريمة العابرة للحدود القومية.

الوسائل التي يعتمد عليها الإرهابيون والمجرمون في عولمة الجريمة:

١. الليبرالية الجديدة:

تبنى النظام الاقتصادي العالمي الجديد أيديولوجية "الليبرالية الجديدة" حيث حرية التجارة والسوق الحرة. وانحسار تدخل الدولة في الشأن الاقتصادي. الأمر الذي أدى إلى التقليل من القوانين والحوافز الدولية المقيدة لحرية التجارة والاستثمار. في ظل هذه الظروف توسعت ميادين الجريمة، وأصبح لأدواتها حرية التنقل. وقد استغلت عصابات الجريمة والإرهاب التخفيف في وسائل مراقبة تخطي الحدود، والحرية الناجمة عن ذلك، لتوسيع نشاطاتهم عبر الحدود وللوصول إلى مناطق جديدة من العالم.

٢. القدرة على تجنيد الناس دولياً:

حاول الإرهابيون الاستفادة من هذا العامل، والبقاء بالقرب من المهاجرين المشتتين، لاستغلالهم في خدمتهم، وباستطاعتهم ذلك من خلال دعم المهاجرين لوجستياً ومالياً.

٣. انتهاء الحرب الباردة:

ساعد انتهاء الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية على بروز الجريمة العابرة للحدود القومية.

٤. التقدم التكنولوجي:

ساعد التقدم التكنولوجي بدرجة عالية في نمو النشاطات الممنوعة العابرة للحدود القومية. فنشوء حركة السفر الجوي التجاري، والتحسينات في أنظمة الاتصالات (الهاتف، والفاكس، والاتصالات عبر الإنترنت)، ونمو التجارة الدولية سهلت حركة السلع والبشر.

٥. غرف الدردشة عبر الإنترنت:

يستغل المجرمون والإرهابيون سرية غرف الدردشة ومواقع التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت لتخطيط وتنفيذ نشاطاتهم. فقد استخدم منفذو تفجير^{١٢} (٩/١١) أجهزة كمبيوتر عامة لإيصال رسائلهم وشراء تذاكر السفر. وبصورة مماثلة، استخدم مهربي المخدرات في كولومبيا اتصالات لاسلكية مركزة لتخطيط وتنفيذ عملياتهم.

صور عولمة الجريمة:

- ❖ تجارة المخدرات.
- ❖ تجارة الأسلحة.
- ❖ تهريب البشر.
- ❖ التجارة بأعضاء البشر.
- ❖ التجارة غير الشرعية بالحيوانات المعرضة للخطر والانقراض.
- ❖ التجارة بالنفائات الخطيرة.

^{١٢} تفجير برجا التجارة العالميين في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي أودى بحياة المئات ممن كانوا في البرجين. وقد تبنى تنظيم القاعدة التفجير.

❖ التجارة بالأعمال الفنية والآثار المسروقة.

❖ التجارة بالسلع المزيفة.

❖ التجارة ببطاقات الائتمان المزورة.

❖ تبييض الأموال.

العولمة وجريمة المخدرات

عرف الإنسان المخدرات منذ عهد قديم، واستعملها في أغراض نبيلة لتسكين الآلام. وكان استعمالها محدودا، وخطرها مجهولا. فقد عرف نبات "القنب الهندي" منذ عهد سحيق، واستخدم في أغراض عديدة، منها التخدير.

تشير الدراسات إلى أن الصينيين عرفوا "القنب" قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام بثمانين وعشرين قرنا، واستخدمه الهنود والمسيحيون كمادة مخدرة في طقوسهم الدينية.

البلاد العربية عرفت المخدرات منذ فترة طويلة. يقول ابن البيطار أن "الحشيش" كان يزرع في مصر، ويتعاطاه الفقراء. أما "القات" انتقل إلى اليمن عندما تعرضت إلى الغزو الحبشي سنة ٩٢٥م، وانتقل من اليمن إلى بعض مناطق فلسطين مع هجرة يهود اليمن إلى هناك. وعرفت العراق ومصر "الأفيون".

يعد تهريب المخدرات هو النشاط الرئيسي لجماعات الجريمة المنظمة في كثير من مناطق العالم. وبحسب منظمة الشرطة الجنائية (الإنتربول)، فإن المهربين يحصلون على "نصيب الأسد" من دخل المخدرات، أي ما يقارب (٩٠٪)، ويحصل الزرّاع على (٦٪)، فيما يحصل مصنعو وتجار المواد الخام على (٤٪) فقط.

أصبحت جريمة تجارة المخدرات تتجه نحو الاحتراف. فالمخدرات تمثل خطرا حقيقيا تخطى الحدود القومية منذ سنة ١٩٩٠م. وسجلت زيادات كبيرة في أعداد متعاطيها من سكان العالم الثالث.

تمثل المخدرات تهديدا حقيقيا وخطيرا على المجتمع، فهناك ملايين الشباب المدمنين. حيث تشير بعض التقارير أن العالم سنة ١٩٩٦م أنتج حوالي خمسة آلاف طن من "الأفيون"، وسنة ١٩٩٧م أنتج ما يزيد عن ثلاثمائة ألف طن من "الكوكا"، وقرابة خمسمائة ألف طن من "الماريجوانا والحشيش". أما إنتاج "القنب" غير محدد؛ لأنه ينمو عشوائيا على مساحة تقدر بـ (٦٧,٠٠٠-١,٨٠٠,٠٠٠) هكتار، كما تتم زراعته على مساحة تصل إلى أربعمائة وتسعين ألف هكتار. الإنتاج الإجمالي "للقنب" يصل إلى ما يقارب من خمسمائة ألف طن. من المناطق الرئيسية التي ينمو فيها "القنب" عشوائيا: (روسيا، كازخستان، أرمينيا، جورجيا، رومانيا). أما الزراع الرئيسيون "للقنب" متواجدون في: (المغرب، أفغانستان، باكستان، تركيا). ومن منتجي "القنب" الآسيويين (تايلاند، الفلبين، الهند، نيبال، سيرلانكا، فيجي، سامو الغربية) ويجري تصدير "القنب" إلى (أمريكا، الهند، دول أوروبا الغربية).

أما "الحشيش" يزرع في (لبنان وإسرائيل)، وتقوم عصابات إسرائيلية، بتهريبه إلى مصر عبر صحراء سناء، أو البحر الأحمر، أو البحر الأبيض المتوسط. ويقوم بعمليات التهريب بدو النقب، وبدو سيناء الذين يملكون وسائل بدائية في التهريب، إلا أنها خبيثة.

أما إنتاج "الماريجوانا" يتركز بشكل رئيسي في: (المكسيك، كولومبيا، البرازيل، جماعيا، جنوب أفريقيا، ملاي، نيجيريا، غانا).

حسب إحصائيات "مكتب مكافحة المخدرات التابع للأمم المتحدة" في تقريره الصادر سنة ١٩٩٩م، (٨٠٪) من عمليات ضبط المخدرات على المستوى العالم كانت في إيران. وهذا راجع إلى وقوع حدود إيران مع أكبر دولة منتجة للمخدرات ومشتقاته وهي (أفغانستان). وتشير الإحصائيات إلى أن قرابة مليون إيراني أدمنوا على تعاطي المخدرات، منهم حوالي سبعمائة ألف لم يصلوا مرحلة الإدمان بعد. واكتشف منهم حوالي سبعمائة وثمانين ألفا يتعاطونها في المدارس والجامعات. وفي المغرب تشير الإحصائيات إلى أن (٢٠٪) من الطلاب الجامعات سبق لهم تعاطي المخدرات ولو لمرة واحدة فقط، منهم (٣-٥٪) تعاطوها بشكل مستمر، و(١٠٪) ممن تعاطوها في مرحلتها الإعدادية والثانوية، منهم (٢٪) استعملها بصفة دائمة. في مصر أكد المؤتمر العاشر لرؤساء أقسام مكافحة المخدرات في سنة ١٩٩٨م بلغت الكميات المضبوطة من "البانجو" واحد وثلاثين طناً، في عشرين ألف قضية، كما بلغت المساحة التي كانت مزروعة بالبانجو ودمرت مائتان وتسعة وثلاثين فدانا.

أما سنة ١٩٩٩م بلغت الكمية المضبوطة من البانجو اثنان وعشرون طناً، بانخفاض قدره (٩٪) عما كان عليه في العام المنصرم. بينما كان عدد القضايا التي تم ضبطها (٢٨.٧٠٠) قضية، أي بزيادة حوالي (٣٠٪) عن عدد قضايا العام المنصرم. وبلغت مساحة الأراضي المزروعة بالبانجو وتم تدميرها (٧٥٦) فدانا، أي بزيادة (٢١.٦٪) عن العام المنصرم.

نشرت (مجلة الأسرة، رجب ١٤٢٠هـ) أرقاماً من الولايات المتحدة الأمريكية توضح أن ثلاثة عشر مليون شخص أمريكي يتعاطون "الماري جوانا" يوميا، وثمانية مليون شخص يتعاطون "أقراص مخدرة"، وأربعة مليون شخص يستخدمون "أقراص الكوكايين". ونشرت (مجلة المجتمع، في عدد ١٦/٩/١٤٢٢هـ)

أن (٣٥٪) من الأمريكيين يتعاطون "الماريجوانا"، و(١٥٪) يتعاطون "الكوكايين"، و(٢٤٪) يتعاطون أنواعا أخرى من المخدرات، و(٧٥٪) من الجرائم التي ارتكبت بسبب المخدرات. الأرقام لازالت عن أمريكا، حيث نشرت (الجريدة الاقتصادية في عدد ٣٠/٤/٢٠٠٠م) حسب نتائج المسح القومي الأمريكي الصادر سنة ١٩٩٩م، أن (١٦٪) من الفتيات في الفئة العمرية (١٢-١٧) سنة يعانين من مشاكل ذات علاقة بالمخدرات، و(١٦,٧٪) من الفتيان في نفس المرحلة العمرية يعانون من مشاكل ذات علاقة بالمخدرات.

العولمة وجريمة القتل

معدلات جرائم القتل في العالم في ازدياد، وتعتبر من أكثر الجرائم انتشارا، فإنه لا يمر يوما، أو نشرة إخبارية إلا ويذكر فيها العشرات من القتلى في مختلف دول العالم. وتعتبر جرائم القتل من السهل قياسها. إلى حد ما؛ لأنه يصعب تجاهل الجثث، وإن اختفت لفترة من الزمن في مقابر جماعية.

وصل معدل جرائم القتل عالميا حوالي ستة جرائم قتل لكل مائة ألف نسمة في الفترة بين (١٩٨٠-١٩٨٤م). إلا أن هذا المعدل ارتفع، فقد وصل أكثر من (٥٠٪) في البلدان الصناعية، وفي أمريكا اللاتينية أكثر من (٨٠٪)، وفي الوطن العربي (١٢٪). وفي الأعوام (١٩٩٠-١٩٩٤م) قفزت معدلات جريمة القتل إلى (٨,٨٦) جريمة قتل لكل مائة ألف نسمة، مع انخفاض المعدلات في آسيا والمحيط الهادي. وأشارت الأرقام التي نشرت في أواخر تسعينات القرن العشرين أن أكثر من أربعين عملية قتل لكل مائة ألف نسمة وقعت في أفريقيا الصحراوية، يليها أمريكا اللاتينية بمعدل ثلاثة وعشرون عملية قتل لكل مائة ألف نسمة. أما "جوها نسبيرغ" التي وصفت بمدينة الإجرام يقتل مائة وخمسة عشر لكل مائة ألف نسمة.

ترتفع معدلات الجريمة عند الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين (١٨-٢٤) سنة، ولا تختلف هذه النتيجة باختلاف الثقافات.

أظهرت نتائج دراسة أجريت على مائة وثمانية وستين مدينة أمريكية أن (الطلاق والفقر) كانا من أهم العوامل التي تفسر ازدياد جرائم القتل بين الغرباء في مطلع ثمانينات القرن العشرين. ونشرت (مجلة البيان، جماد الأول ١٤٢٣هـ) أرقاماً حسب تقديرات الشرطة البريطانية في لندن أن: أحد عشر جريمة ترتكب في كل دقيقة، و(٤٤٧,٥) شخصاً يتم القبض عليهم يومياً.

في لندن وحدها خلال أربعة وعشرين ساعة يحدث: ثلاثمائة واثنان وثلاثين حادثة اعتداء، ثلاثمائة وأربعة عشر حادث سطو منزلي، خمسمائة وثلاثين حادث مرور، مائة وستة عشر سرقة سيارات، مائتان وثلاثة وسبعون حادث سرقة، أربعة وثلاثون حالة اعتداء جنسي.

ولازلنا في بريطانيا حيث نشرت (مجلة الأسرة، في عدد شوال ١٤١٩هـ) نتائج دراسة أجريت على المرأة البريطانية، بينت: المرأة أصبحت أكثر ميلاً للعنف واستخداماً للقوة. (٢٥%) من النساء لم يظهرن أي نوع من الندم على ارتكابهن أفعالاً عنيفة، و(١٥%) أشرن إلى السرور والنشوة بعد اشتراكهن في أعمال عنف، و(١٠%) اعترفن أنهن استخدمن السلاح.

ونشرت (مجلة المجتمع، في عدد ١٦/٩/١٤٢٢هـ) أرقاماً عن الجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية: عملية سطو كل عشر ثواني، (٢١٠,٧٠٣) عدد جرائم السرقة في نيويورك وحدها سنة ١٩٨٠م. (١٥٦٠) حالة سرقة لكل مائة ألف نسمة في مدينة ديترويت في ولاية ميشغن، (١١٢٠) حالة سرقة في نيويورك لكل مائة ألف نسمة، ألف حالة سرقة في بوسطن، (٣٧٧٠) عدد حالات السطو على البيوت لكل مائة

ألف نسمة في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، (٢٨٢٠) حالة سطو في لكل مائة ألف نسمة، ستة آلاف وثلاثمائة جريمة سطو في دالاس في ولاية تكساس، (٥٣٧٠) جريمة في أتلانتا. واحد وخمسون ألف مسدس تم بيعهم في ميامي وحدها في سنة ١٩٨٠م للدفاع عن النفس من حالات التعرض للسرقة.

العولمة والجرائم الجنسية

ذكرت وزارة العدل الأمريكية في تقرير النائب العام لفرقة العمل المعنية بالعنف العائلي، أن تجارة "الدعارة والإباحية" رائجة بشكل كبير جدا في أمريكا، حيث بلغ رأس مالها ثمانية مليار دولاراً. هذه التجارة لها علاقات وثيقة بالجريمة المنظمة. ومن وسائلها: (الكتب، والمجلات، وأشرطة الفيديو، والفضائيات الإباحية، وشبكة الإنترنت). وتفيد إحصائيات وكالة الاستخبارات الأمريكية (FBI) أن تجارة الدعارة هي ثالث أكبر مصدر دخل للجريمة المنظمة بعد (المخدرات والقمار)، حيث بينت رابطة الأسرة الأمريكية . قسم التوعية بأيديهم (٨٥٪) من أرباح المجلات والأفلام الإباحية. ويوجد في أمريكا أكثر من تسعمائة دارا للسينما متخصصة في عرض الأفلام الإباحية، وأكثر من خمسة عشر ألف مكتبة ومحل تباع الأفلام والمجلات الإباحية. وأشارت اللجنة القضائية في مجلس الشيوخ الأمريكي في دورتها الثانية سنة ١٩٨٤م أن هذا العدد يفوق عدد مطاعم "ماكدونالد" ثلاثة أضعاف!

تعتبر أمريكا هي في طليعة الدول المنتجة للمواد الإباحية، فهي تصدر سنويا مائة وخمسون مجلة إباحية، وتجارة تأجير الأفلام الإباحية زادت من خمسة وسبعين مليون سنة ١٩٨٥م إلى ستمائة وخمسة وستين مليون سنة ١٩٩٦م.

الإنترنت وجرائم الإباحية الجنسية:

الإقبال على شبكة الإنترنت يتضاعف يوميا، بحسب تصريحات وزارة التجارة الأمريكية وصل عدد الصفحات على شبكة الإنترنت مائتي مليون صفحة في أواخر سنة ١٩٩٧م، وارتفع هذا العدد إلى الضعف في سنة واحد فقط، فقد وصل إلى أربعمئة وأربعين مليون صفحة في أواخر سنة ١٩٩٨م. هناك من يرى أن العدد الحقيقي أكبر من ذلك بكثير، إذ بلغ ستمئة وخمسون مليون صفحة. وبلغ عدد زوار الشبكة العنكبوتية مئة وأربعون مليون زائراً من السنة ذاتها (١٩٩٨م)، وارتفع هذا الرقم لأضعاف مضاعفة، ونحن في مطلع سنة ٢٠١٠م.

قدر عدد الصفحات الإباحية (٢.٣٪) من إجمالي الصفحات على شبكة الإنترنت. وأشارت (مجلة نيوزويك في عدد ١٩٩٥/٧/٣م) أن عدد زوار تلك المواقع بلغ (٤.٧) مليون زائراً. وقامت بعض الشركات بإحصاء عدد زوار صفحات الدعارة والإباحية فوجدت شركة (WebSide Story) أن بعض الصفحات يزورها (٢٨٠,٠٣٤) زائراً في اليوم الواحد، وأكثر من مئة صفحة مشابهة تستقبل أكثر من عشرين ألف زائراً يوميا. وهناك أكثر من ألفي صفحة مشابهة تستقبل أكثر من ألف وأربعمئة زائراً يوميا. و صفحة إباحية واحدة فقط استقبلت خلال سنتين (٤٣٦,١٣٥,٠٨) زائراً. وأحد المواقع الإباحية يزعم أن لديه أكثر من ثلاثمئة ألف صورة خليعة تم توزيعها أكثر من مليار مرة.

في إحصائية أجرتها مؤسسة زوجبي (Zogby) في مارس ٢٠٠٠م، وجدت أن أكثر من (٢٠٪) من سكان أمريكا يزورون الصفحات الإباحية. وتفيد الإحصائيات أن (٦٣٪) من المراهقين الأمريكيين يزورون المواقع الإباحية ويشاهدون صور الدعارة، ولا يعلم أولياء بذلك. كما تفيد الدراسات أن أكثر مستخدمي المواد الإباحية تتراوح أعمارهم ما بين (١٢-١٧) سنة.

الجدير بالذكر، تجارة المواد الإباحية حققت أرباحاً طائلة لأصحابها. في سنة ١٩٩٩م بلغت مجموعة مشتريات مواد الدعارة على شبكة الإنترنت (٨٪) من إجمالي التجارة الإلكترونية، وبلغ دخلها ثمانية عشر مليار دولار. يؤكد هذه الحقيقة الدراسة التي أجريت في كندا سنة ٢٠٠٠م، بعنوان: "آثار المواد الإباحية على المواقف وأنماط السلوك الجنسي والعلاقات الحميمة"، برعاية "المؤسسة الوطنية لأبحاث الأسرة والتربية والتعليم". شملت الدراسة أربعة وسبعين بحثاً تناولت الجرائم الجنسية، وشملت عدداً من الدول الصناعية مثل: (أمريكا، وكندا، ودول أوروبا) في الفترة الممتدة بين (١٩٥٣-١٩٩٧م). بلغ مجموع العينة (١٢٩،١٢) شخصاً، شاهد جميعهم مواداً إباحية. كان من نتائج البحث أن نسبة الانحطاط الأخلاقي في الغرب بلغت (٢٨٪) وتشمل: (التعري، والتجسس على أعراض الآخرين بالكاميرات الخفية، والاحتكاك الجسماني بالآخرين في الأماكن المزدحمة... إلخ). كما وجدوا ارتفاع جرائم العنف والاغتصاب بين متداولي المواد الإباحية بنسبة (٣٠٪). ونسبة الانحطاط في العلاقات الزوجية (٣٢٪)، أما جرائم الاغتصاب بلغت (٣١٪).

قام "دارل بوب" - الضابط في شرطة ميشيغان بأمريكا - بدراسة على ثمانية وثلاثين ألف حالة اغتصاب في الفترة بين (١٩٥٦-١٩٧٩م). وجد أن (٤١٪) من مرتكبي جريمة الاغتصاب شاهدوا قبل أو خلال العملية مواداً إباحية. ويؤكد هذه النتيجة الباحث "ديفد سكات" الذي وجد أن (٥٠٪) من المغتصبين شاهدوا مواداً خليعة لتهيئة وتنشيط أنفسهم للعملية الجنسية قبل المباشرة بجريمة الزنا. ووجدت الاستخبارات الأمريكية (FBI) أنه (٨٠٪) من جرائم الاغتصاب يتم العثور على مواد إباحية إما في موطن الجريمة أو في منزل الجاني. وفي دراسة

"وليام مارشال" اعترف (٨٦٪) من المعتصبين أنهم يكثرون من استخدام المواد الإباحية، واعترف (٥٧٪) أنهم كانوا يقلدون مشاهد رآوها أثناء تنفيذ الجريمة.

جريمة اغتصاب الأطفال

جريمة اغتصاب الأطفال هي حلقة في سلسلة الجرائم الجنسية التي انتشرت في المجتمعات انتشار النار في الهشيم، وهي امتداد لما أوردناه في الفقرات السابقة. بينت نتائج دراسة أجريت في مدينة "لويسفيل" على ألف وأربعمائة حالة في الفترة بين (١٩٨٠-١٩٨٤م)، وجدوا عندهم صورا عارية. وصرح "مايكل مهتا" من كندا بعد دراسة استغرقت سنة ونصف، هناك اتجاه ملحوظ في الصور الخليعة نحو تصوير الأطفال، وزادت نسبتها من (١٥٪) سنة ١٩٩٤م إلى (٢٠٪) سنة ١٩٩٦م. كما قام عدد من ضباط الشرطة بدراسة ظواهر الاغتصاب والقتل فوجدوا أن للمواد الإباحية تأثيرا مباشرا في جميع تلك الجرائم حتى أصبحت سمة معروفة لدى الكثيرين من الاغتصاب أو القتل.

من يدقق النظر في تلك الأرقام الكبيرة، يجد أنها تثير الفزع والخوف والقلق في النفس، وأنها تنذر بكارثة أخلاقية، واجتماعية، ونفسية، وصحية تهدد المجتمعات، ما لم تتخذ الإجراءات والتدابير الوقائية اللازمة للحد من عدد الصفحات الإباحية، وتفعيل برامج الحجب، أو حتى اختراقها وتدميرها لتنظيف وتخليص شبكة الإنترنت منها هذا من جهة، ومن أجل حماية أبنائنا من مخاطرها لما لها من آثار سلبية على أخلاق وسلوكيات الأبناء من جهة ثانية.

إن ما يحصل في المجتمعات الغربية من تحلل أخلاقي وتفكك اجتماعي هو نتيجة طبيعية لزيارة المواقع الإباحية، ومشاهدة الأفلام الداعرة، ومتابعة المجالات الخليعة التي تشجع على الجنس والمجون.

الآثار المترتبة على انتشار الإباحية والدعارة في المجتمع:

بدون شك أن النتائج المترتبة على الجرائم الجنسية وخيمة على الفرد والأسرة والمجتمع. في هذا المقام نستعرض بعدد من الإحصائيات الواردة من الغرب والتي تبين المخاطر المترتبة على الجرائم الجنسية في المجتمع. بحيث تفيد الإحصائيات الصادرة عن وزارة العدل الأمريكية بأن تفشي وسائل الدعارة يعتبر من الأسباب المباشرة في انتشار الأمراض والمشكلات الاجتماعية. وفي بحث أجرته الوزارة سنة ١٩٧٩م في "فينكس ارازونا" وجدت أن الأحياء التي يتاجر فيها بوسائل الدعارة تزداد فيها جرائم الممتلكات بنسبة (٤٠٪)، وتزداد جرائم الاغتصاب بنسبة (٥٠٪) مقارنة بالأحياء الأخرى التي لا تتاجر بوسائل الدعارة. ويشير "المركز الوطني للضحايا" سنة ١٩٩٢م، أن (١٢٪) من نساء أمريكا يتعرضن لنوع من الاعتداءات الجنسية، و(٨٠٪) من ضحايا الاعتداء الجنسي من الذكور يصبحون بعد ذلك مدمنين للمخدرات والمسكرات، و(٥٠٪) يفكرون بالانتحار، و(٢٣٪) يقدمون على الانتحار، و(٧٠٪) تبقى معهم عقد نفسية.

وقام "دايفد ويت" في جامعة "آكرون أوهايو" الأمريكية بدراسة ظاهرة "تفشي الفاحشة والإباحية بين الشباب والشابات" الذين تتراوح أعمارهم بين (١٦-٢٠) سنة. وجد أن (٥٠٪) من الرجال، و(٢٥٪) من النساء اعترفوا بممارسة الزنا بعد زواجهم. وفي سنة ١٩٨١م صرح متحدث باسم مركز مكافحة الأوبئة هناك قرابة (٣٢٥) ألف مواطناً مصابون بمرض "الزهري" في أمريكا. كما تم رصد (٢.٥) مليون حالة جديدة سنوياً لشباب في الثانوية العامة مصابين بأمراض جنسية مثل: (الزهري، والسيلان، والحرشفية، والالتهاب الكبدي الوبائي). أما بالنسبة لمرض (الإيدز). يقدر عدد المصابين به من ستمائة وخمسين ألف إلى تسعمائة ألف حالة، وأكثر من مائتي ألف حالة منهم لا يعلمون أنهم يحملون

المرض، حتى تاريخ ٣١/١٢/١٩٩٩م رصد المركز (٤٣٠،٤٤١) حالة وفاة جراء هذا المرض. وأصبح مرض الإيدز يحتل المركز الخامس في قائمة أسباب الوفيات في أمريكا للفئة العمرية (٢٥-٤٤) سنة. هذا الرقم يفوق عدد قتلى أمريكا في حربي فيتنام وكوريا معاً.

المعهد الوطني لدراسة الحساسيات والأمراض المعدية بأمريكا رصد في أول ستة أشهر من سنة ١٩٩٦م تزايداً في تفشي مرض الإيدز، وتبين أن أغلب المصابين به هم من المراهقين تتراوح أعمارهم ما بين (١٣-١٩) سنة. وتقدر منظمة الصحة العالمية عدد المصابين بفيروس الإيدز حول العالم بثلاثة عشر مليون حالة.

نماذج من مكافحة الجريمة الدولية

أولاً/ مواجهة نبتة الأفيون وإنتاج الهيروين في أفغانستان

تعتبر أفغانستان هي المنتج الرئيس في العالم للأفيون غير المشروع، إذ تصل نسبتها (٩٢٪) من إجمالي الإنتاج العالمي، وبحسب تقديرات سنة ٢٠٠٦م بلغت حوالي (٣.١) مليار دولاراً، أي ما يعادل (٥٠٪) من إجمالي الناتج المحلي الأفغاني. ونشرت (مجلة المجتمع بتاريخ ٢١/١٠/١٤٢٢هـ) تصريحات لمسؤولين في الأمم المتحدة أنه بعدما حظرت حكومة طالبان زراعة الأفيون في أفغانستان أصبحت دول تحالف الشمال هي أكبر ثامن منتج للأفيون في العالم، حيث كان إجمالي إنتاج الأفيون في أفغانستان قبل حظر زراعته ثلاثة آلاف وثلاثمائة طناً. لكن بعد الحرب الأمريكية على أفغانستان التي أنهت حكم طالبان، عاد من جديد ارتفاع زراعة الأفيون والاتجار به، الأمر الذي دفع الحكومة الأفغانية لبذل محاولات لكبح جماح زراعة وتجارة المخدرات، ففي ديسمبر ٢٠٠٥م، ووضعت الحكومة الأفغانية أساساً قانونياً لمحاربة المخدرات غير المشروعة بإصدار قانون

شامل ضد المخدرات، ويجرم كافة أشكال تهريب المخدرات، بالإضافة إلى العديد من الجرائم المتعلقة بالمخدرات، مثل: (تبييض الأموال، والفساد، والعنف). ويوفر القانون إطار عمل لاتباع إجراءات حديثة في التحقيق والمقاضاة اللازمة لمكافحة تهريب المخدرات. ويتطلب تطبيق هذا القانون خمس دعائم لمحاربة المخدرات، هي:

- (١) نشر المعلومات الفعالة لدى عامة الناس.
- (٢) توفير سبل عيش كريم بديلة لخلق بدائل اقتصادية عن زراعة الأفيون.
- (٣) تطبيق القانون، وإصلاح النظام القضائي لدعم جهود إلقاء القبض على المهربين، ومقاضاة المسؤولين الذين تثبت عليهم تهمة الفساد.
- (٤) الحظر والمصادرة.
- (٥) استئصال زراعة نبتة الأفيون، بدءاً من عدم تشجيع زراعتها، وصولاً إلى الهدف الأكبر "تخليص أفغانستان من هذه النبتة الخبيثة".

ثانياً/ تجربة الأنديز

جميع كميات "الكوكايين والهيروين" التي تدخل بصورة غير قانونية إلى أمريكا، تأتي من جبال الأنديز.

مبادرة الأنديز لمكافحة المخدرات على مستوى أمريكا اللاتينية تهدف إلى خفض إنتاج وتهريب المخدرات، ويتركز اهتمامها في: (كولومبيا، البيرو، بوليفيا، الإكوادور، البرازيل، باناما، وفنزويلا).

الذي يُعقد عملية محاربة المخدرات هو "العلاقة التكافلية" بين مهربي المخدرات والمنظمات الإرهابية الدولية التي نجحت في السيطرة على مناطق

داخل أراضي دول ذات سيادة تكافح من أجل سيادة القانون على أراضيها. وقد ظهر تقدم بارز في هذا السياق رغم المشاكل الخطيرة.

تشير التجربة إلى أن برامج تطوير نمط الحياة وأسلوب العيش نجح بشكل أفضل من جهود الاستئصال القاسية في تحقيق نتائج إيجابية للحد من تهريب المخدرات والاتجار بها. فقد زودت أمريكا، في السنوات الماضية، حوالي مائتان وثمانون مليون دولاراً كمساعدات إنمائية بديلة إلى "كولومبيا"، التي تنتج (٩٠٪) من "الكوكايين" المهرب إلى أمريكا. على الرغم من تقديرات الأمم المتحدة التي تشير إلى أن (كولومبيا، والبيرو، وبوليفيا) قلصت من زراعة نبتة "الكوكا" على مدار السنوات الخمس الماضية، يبقى على دول منطقة الأنديز أن تعمل بجهد أكبر لتحقيق تخفيضات دائمة في إنتاج المحاصيل غير المشروعة.

تذكر الباحثة الأمريكية "لويز شيلي" أن الجهود المشتركة في مكافحة المخدرات حققت إجماعاً دولياً قوياً، وأكدت على أن تجارة المخدرات تهدد كافة الدول، وأن محاربة زراعة النباتات المخدرة، وتهريب المخدرات، وإساءة استعمالها تقع ضمن مسؤوليتنا المشتركة. وهذا ما دعا إليه تقرير الأمم المتحدة الصادر سنة ٢٠٠٦م حول المخدرات، لذلك يجب أن تتواصل جهود التعاون الدولي لخفض التهديد الذي يطرحه الإنتاج الدولي للمخدرات، وتهريبها، وإساءة استعمالها.

جرائم الانترنت

يحاول المجرمون الاستفادة من كل إفرات التقدم التكنولوجي، لذلك من الطبيعي أن تظهر صوراً جديدة من الجرائم لم تكن معروفة من قبل، وهذا ليس بسبب التقدم التكنولوجي فحسب، بل لأن المجرمين والجريمة في تغير مستمر، فمجرم الأمس ليس كمجرم اليوم، وبالتالي جريمة الأمس ليست كجريمة

اليوم. على الرغم من أن خدمة الإنترنت ليست حديثة فهي تعود إلى سنة ١٩٦٩م، إلا أن استخدامه - وقتئذ - كان مقتصرًا على الأغراض العسكرية، ومحصور في أمريكا. في السنوات الأخيرة انتشر استخدام الإنترنت على مستوى العالم، وأصبح يستخدم في شتى المجالات (الاقتصادية، الإعلامية، التعليم، الطيران... إلخ).

قبل الخوض في تفصيل جرائم الإنترنت لابد أن نتعرف على مفهوم الإنترنت والبدايات الأولى لظهور واكتشافه وأهم الخدمات التي يقدمها.

تعريف الإنترنت:

"عبارة عن شبكة واسعة من الكمبيوترات الموصولة ببعضها من خلال خطوط الهواتف، فعندما يتصل كمبيوتر الشخص بخط الشبكة، فإن الشخص عملياً يكون قد أوصل هذا الكمبيوتر بملايين الكمبيوترات في العالم".

البدايات الأولى لظهور الإنترنت

كانت البدايات الأولى لظهور الإنترنت أثناء الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي . سابقا ، وقد اكتشف في تاريخ ١/٢/١٩٦٩م، واستخدمته أمريكا لأغراض عسكرية، عندما شكلت وزارة الدفاع، فريقاً من الباحثين للقيام بمشروع بحثي عن "تشبيك الكمبيوترات"، لتربط بين أربع أجهزة كمبيوتر في جامعة كاليفورنيا بهدف تبادل المعلومات السرية. وركزت التجارب على تجزئة الرسالة المراد إرسالها إلى موقع معين في الشبكة، ثم نقل هذه الأجزاء بطرق مستقلة، حتى تصل مجتمعة إلى هدفها.

سنة ١٩٧٣م امتدت خدمات الإنترنت لتشمل بعض الجامعات البريطانية، واستمر ربط الدول الحليفة بهذه الشبكة ليتحول اسمها من (Arpanet) إلى

(Cunningham & Andersson, International Network). ثم تطّور المشروع وتحوّل إلى الاستعمال السلمي حيث انقسمت شبكة الإنترنت سنة ١٩٨٣م إلى شبكتين. الأولى احتفظت باسمها الأساسي (Arpanet) وبغرضها الأصلي (الاستخدامات العسكرية)، وسُمّيت الشبكة الثانية (Milnet)، وخصصت (لتبادل المعلومات، وتوصيل البريد الإلكتروني). ثم ظهر مصطلح (الإنترنت) حيث أمكن تبادل المعلومات بين هاتين الشبكتين.

في سنة ١٩٨٦م تم ربط شبكات خمسة مراكز للكمبيوترات العملاقة وأطلق عليها اسم (Nsfnet) وأصبحت فيما بعد العمود الفقري، لنمو الإنترنت في أمريكا والعالم، والتي وتعرف بـ (World Wide Web) تم اختصارها إلى (www).

الجدير بالذكر، في بداية اكتشاف الإنترنت كانت الإمكانيّة المتاحة هو تبادل النصوص المكتوبة فقط، وسنة ١٩٩٣م طورت برنامج (Mosaic) الذي مكّن من عرض الصور، وزاد من أهميّة استخدام الإنترنت في مجالات متعددة.

تمدد شبكة الإنترنت:

سنة ١٩٨٥م كان أقلّ من ألفي جهاز كمبيوتر مرتبط بشبكة الإنترنت، ووصل العدد إلى خمسة مليون جهاز في سنة ١٩٩٥م، وفي سنة ١٩٩٧م تجاوز العدد ستة مليون جهاز، ويستخدم ما يزيد على ثلاثمائة ألف خادما شبكات (Server)، أي شبكة فرعية متناثرة في العالم. أما في سنة ٢٠٠١م وصل عدد الكمبيوترات الموصولة بشبكة الإنترنت خمسمائة وثلاثة وثلاثون مليون جهازا، ليرتفع العدد

سنة ٢٠٠٢م إلى سبعمائة مليون جهاز. بلغ عدد مستخدمي الإنترنت اثني مليون شهرياً، أي انضمام ستة وأربعين مستخدماً جديداً للشبكة في كل دقيقة.

في استطلاع أجرته شبكة (NUA) الأمريكية سنة ١٩٩٨م قدر عدد مستخدمي الإنترنت في تلك السنة حوالي مائة وأربعة وثلاثين مليون مستخدم، وتصدرت أمريكا وكندا مكانة الصدارة، حيث بلغ عدد المستخدمين في البلدين المذكورين سبعين مليون مستخدم. وقدّرت دراسة أجراها موقع عجيب، أنه وصل عدد المستخدمين العرب لشبكة الإنترنت سنة ٢٠٠٠م ثلاثة مليون ونصف مستخدم، ليرتفع العدد في سنة ٢٠٠١م إلى خمسة مليون مستخدم، ووصل العدد إلى اثنتي عشر مليون مستخدم مع نهاية سنة ٢٠٠٢م.

الجدول الآتي الذي هو من إعداد (مجلة أديوتيك: ٢٠٠١م) يوضح عدد المستخدمين للإنترنت في بعض الدول العربية:

الترتيب	البلد	عدد المشتركين	عدد المستخدمين لكل حساب	عدد المستخدمين	النسبة
١	الإمارات	٢٢٠,٠٠٠	٣	٦٦٠,٠٠٠	٢٤.٤٤
٢	البحرين	٣٥,٠٠٠	٣	١٠٥,٠٠٠	١٦.٦٧
٣	قطر	٢٥,٠٠٠	٣	٧٥,٠٠٠	١٠.٢٧
٤	الكويت	٥٥,٠٠٠	٨	١٦٥,٠٠٠	٨.٢٥
٥	لبنان	٧٥,٠٠٠	٣.٥	٢٦٢,٥٠٠	٦.٥٦
٦	الأردن	٣٥,٠٠٠	٦	٢١٠,٠٠٠	٤.٥٧
٧	فلسطين	١٢,٠٠٠	٥	٦٠,٠٠٠	٣.٥٣
٨	عمان	٢٨,٠٠٠	٣	٨٤,٠٠٠	٣.٣٦
٩	تونس	٧٠,٠٠٠	٤	٢٨٠,٠٠٠	٢.٨٩
١٠	السعودية	١٩٠,٠٠٠	٣	٥٧٠,٠٠٠	٢.٥٩
١١	مصر	٧٠,٠٠٠	٨	٥٦٠,٠٠٠	٠.٨٢
١٢	المغرب	٥٥,٠٠٠	٤	٢٢٠,٠٠٠	٠.٧٨
١٣	الجزائر	٤٥,٠٠٠	٤	١٨٠,٠٠٠	٠.٦٠
١٤	ليبيا	٤٠٠٠	٥	١٢٠,٠٠٠	٠.٤٠

١٥	سوريا	٨٠٠٠	٤	٣٢,٠٠٠	٠,١٨
١٦	اليمن	٣٥٠٠	٤	١٤,٠٠٠	٠,٠٨
١٧	السودان	٧٠٠٠	٤	٢٨,٠٠٠	٠,٠٨
١٨	العراق	٥٠٠	٢٥	١٢,٥٠٠	٠,٠٦
	المجموع	٩٣٨,٠٠٠	—	٣,٥٣٨,٠٠٠	١,٢٩

خدمات الإنترنت

١. البريد الإلكتروني: من أول الخدمات التي وفرت على شبكة الإنترنت؛ لإرسال واستقبال الرسائل، ونقل الملفات مع أي شخص آخر له بريد إلكتروني بصورة سريعة لا تتعدى ثواني.
٢. القوائم البريدية: تشمل إنشاء وتحديث قوائم العناوين البريدية لمجموعات من الأشخاص لهم اهتمامات مشتركة.
٣. خدمة المجموعات الإخبارية: تشبه خدمة القوائم البريدية، إلا أنها تختلف عنها قليلاً، بحيث يمكن لكل عضو التحكم في نوع المقالات التي يريد استلامها.
٤. خدمة الاستعلام الشخصي: يمكن الاستعلام عن العنوان البريدي لأي شخص أو الجهة التي تستخدم الإنترنت والمسجلين لديها.
٥. خدمة المحادثات الشخصية: يمكن التحدث مع أي شخص صوتاً، وصورة، وكتابة.
٦. خدمة الدردشة الجماعية: تشبه الخدمة السابقة إلا أنه يمكن لأي شخص أن يدخل في المحادثة، أو يستمع إليها، دون اختيار الآخرين.
٧. خدمة تحويل أو نقل الملفات: لنقل الملفات من حاسب إلى آخر وهي اختصار كلمة (FILE TRANSFER PROTOCOL).

٨. خدمة الأرشيف الإلكتروني: تُمكن البحث عن ملفات معينة قد تكون مفقودة في البرامج المستخدمة في حاسب المستخدم.

٩. خدمة شبكة الاستعلامات الشاملة: تفيد في خدمات كثيرة كنقل الملفات والمشاركة في القوائم البريدية حيث يفهرس المعلومات الموجودة على الشبكة.

١٠. خدمة الاستعلامات واسعة النطاق: تسمى باسم حاسباتها الخادمة وهي أكثر دقة وفاعلية من الأنظمة الأخرى، حيث تبحث داخل الوثائق أو المستندات ذاتها عن الكلمات الدالة التي يحددها المستخدم ثم تقدم النتائج في شكل قائمة بالمواقع التي تحتوي المعلومات المطلوبة.

١١. خدمة الدخول عن بعد: تسمح باستخدام برامج وتطبيقات في كمبيوتر آخر.

١٢. الصفحة الإعلامية العالمية (WORLD WIDE WEB) أو الويب

(WEB): تجمع كافة الموارد المتعددة التي تحتوي عليها الإنترنت للبحث عن كل ما في الشبكات المختلفة وإحضارها بالنص والصوت والصورة، وتعد الويب نظاماً فرعياً من الإنترنت، لكنها النظام الأعظم من الأنظمة الأخرى فهي النظام الشامل باستخدام الوسائط المتعددة.

كيف يمكن الاشتراك في شبكة الإنترنت؟

- توفير جهاز كمبيوتر، تكون وحدة المعالجة (٤٨٦) على الأقل، ومزود بذاكرة اتصال عشوائي مقدارها (٤) ميجابايت على الأقل.
- قرص صلب سعة (١٥) ميجابايت على الأقل.

- قرص مدمج لإدخال البرامج.
- مودم داخلي أو خارجي متصل بخط هاتف.
- برنامج ويندوز.
- الاشتراك مع شركة مزودة بخدمة إنترنت.

تعريف جرائم الإنترنت:

"نوع من الجرائم التي تتطلب إماماً بتقنيات الكمبيوتر ونظم المعلومات لارتكابها أو التحقيق فيها ومقاضاة فاعليها". أو "هي أي عمل غير قانوني يستخدم فيه الكمبيوتر كأداة، أو موضوع للجريمة".

فئات الجناة في جرائم الإنترنت:

١. المستخدمون للكمبيوتر في منازلهم: نظرا لسهولة اتصالاتهم بأجهزة الكمبيوتر دون التقيد بوقت أو نظام محدد يقيد استخدامهم للكمبيوتر.
٢. الموظفون الساخطون على منظماتهم التي يعملون بها: يعودون إلى مقار عملهم بعد انتهاء الدوام ويعمدون إلى تخريب الجهاز أو إتلافه أو سرقة.
٣. المتسللون (Hackers): منهم الهواة أو العابثون بقصد التسلية، والمحترفين اللذين يتسللون إلى أجهزة مختارة ويعبثون أو يتلفون أو يسرقون محتوياتها. وتقع أغلب جرائم الإنترنت تحت هذه الفئة.
٤. العاملون في الجريمة المنظمة: مثل عصابات سرقة السيارات حيث يحددون بواسطة الإنترنت أسعار قطع الغيار، ومن ثم يبيعونها في الولايات المتحدة بسعر أعلى.

نماذج لجرائم الإنترنت

(١) الجرائم الجنسية:

تكون زيارة المواقع الإباحية، أو الشراء منها، أو الاشتراك فيها، أو إنشائها، أو إنشاء القوائم الإباحية أو الاشتراك فيها، أو إنشاء المواقع والصفحات الخاصة بالقذف والتشهير، استخدام البروكسي لتجاوز المواقع المحجوبة.

وصل عدد الصفحات الإباحية على الإنترنت حوالي (٢.٣٪) من حجم الصفحات الكلية. وبينت شركة (Playboy) الإباحية أن (٤.٧) مليون زائر يزور صفحاتهم في الأسبوع الواحد.

قامت بعض الشركات بدراسة عدد الزوار لصفحات الدعارة والإباحية في الإنترنت فوجدت شركة (WebSide Story) أن بعض هذه الصفحات الإباحية يزورها (٢٨٠٠٣٤) زائراً في اليوم الواحد، وهناك أكثر من مائة صفحة مشابهة تستقبل أكثر من عشرين ألف زائراً يومياً، وأكثر من ألفي صفحة مشابهة تستقبل أكثر من ألف وأربعمئة زائراً يومياً. وإن صفحة واحدة فقط من هذه الصفحات قد استقبلت خلال سنتين (٤٣٦١٣٥٠٨) زائراً!!.

(٢) جرائم الاختراقات:

هو قدرة شخص يسمى (هاكر) على الدخول عبر شبكة الإنترنت إلى جهاز كمبيوتر شخص آخر أو مؤسسة ما، بهدف تعطيل وحذف ملفات في جهاز الشخص المخترق. يمكن اختراق الأجهزة بسهولة طالما هي موصولة بشبكة الإنترنت، بهدف الوصول على معلومات سرية، والبعض يمارسها كهواية لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين. وعمليات الاختراقات تتم من خلال برامج

متوفرة على الإنترنت، يمكن لمن له خبرات تقنية متواضعة أن يستخدمها لشن هجماته على أجهزة الغير، وهنا تكمن الخطورة.

من صور الاختراق: (تدمير المواقع الإلكترونية، اختراق المواقع الرسمية أو الشخصية، اختراق الكمبيوترات الشخصية، اختراق أو الاستيلاء على البريد الإلكتروني للآخرين، إغراق البريد الإلكتروني للآخرين، الاستيلاء على اشتراكات الآخرين وأرقامهم السرية).

٣ جرائم الأموال:

من صورها: السطو على أرقام البطاقات الائتمانية، لعب القمار، التزوير، الجريمة المنظمة، جرائم المخدرات، وغسيل الأموال.

٤ جرائم إنشاء أو ارتياد المواقع المعارضة أو المعادية: قد تكون هذه المواقع سياسية أو دينية أو شخصية معادية.

٥ جرائم القرصنة: إنشاء مواقع للبرامج المقرصنة، استخدام البرامج المقرصنة، وسرقة المواقع.

٦ صناعة ونشر الفيروسات:

هي برامج كمبيوتر خاصة تنتشر بنسخ نفسها في برامج كمبيوتر آخر، ويمكن أن ينتقل الفيروس إلى الكمبيوترات الأخرى عن طريق الأقراص المتحركة، أو تحميل برامج وملفات عن طريق الإنترنت، أو مشاركة الملفات مع الآخرين في المؤسسة. يتم بناء الفيروسات عن طريق مبرمجين محترفين، بهدف إلحاق الضرر بجهاز الطرف الآخر. وتعتبر صناعة ونشر الفيروسات من

أكثر جرائم الإنترنت انتشاراً. لم يكن الإنترنت بيئة لنشر وتوزيع الفيروسات إلا في السنوات الأخيرة، وهدف الفيروسات المعلومات المخزنة على الأجهزة المقتحمة حيث تقوم بتغييرها أو حذفها أو سرقتها ونقلها إلى أجهزة أخرى.

(٧) تعطيل الكمبيوترات:

كثيراً ما ارتكاب مثل هذه العمليات، حيث يقوم مرتكبوها بتعطيل الأجهزة أو الشبكات عن تأدية عملها بدون أن تتم عملية اختراق فعلية لتلك الأجهزة. وتتم عملية التعطيل بإرسال عدد ضخم من الرسائل بطرق فنية معينة إلى الأجهزة أو الشبكات المراد تعطيلها الأمر الذي يعيقها عن تأدية عملها.

(٨) انتحال الشخصية:

تتمثل في استخدام هوية شخص أخرى بطريقة غير شرعية، وتهدف للاستفادة من مكانة هوية الضحية، أو لإخفاء هوية المجرم. إن ارتكاب هذه الجريمة على شبكة الإنترنت أمر سهل، وللتغلب على هذه المشكلة، بدأت كثير من المعاملات الحساسة على شبكة الإنترنت كالتجارية في الاعتماد على وسائل متينة لتوثيق الهوية كالتوقيع الرقمي والتي تجعل من الصعب ارتكاب مثل هذه الجريمة.

(٩) المضايقة والملاحقة:

يتم هذا الصنف من الجرائم باستخدام البريد الإلكتروني أو وسائل الحوارات الآنية المختلفة على الشبكة. تشمل الملاحقة (رسائل تهديد وتخويف

ومضايقة). تتميز جرائم المضايقة والملاحقة على الإنترنت بسهولة إمكانية المجرم في إخفاء هويته، علاوة على تعدد وسهولة وسائل الاتصال عبر الشبكة، الأمر الذي ساعد في تفضي هذه الجريمة.

(١٠) التغرير والاستدراج:

أغلب ضحايا هذا النوع من جرائم الإنترنت هم من صغار السن من مستخدمي الإنترنت. حيث يوهم المجرمون ضحاياهم برغبتهم في تكوين علاقة صداقة على الإنترنت والتي قد تتطور إلى التقاء مادي بين الطرفين.

إن مجرمي التغرير والاستدراج على شبكة الإنترنت يمكن أن يتجاوزوا الحدود السياسية، فقد يكون المجرم في بلد والضحية في بلد آخر. وكون معظم الضحايا هم من صغار السن، فإن الكثير من الحوادث لا يتم الإبلاغ عنها، حيث لا يدرك الضحايا أنهم قد عُرر بهم.

(١١) التشهير وتشويه السمعة:

يقوم المجرم بنشر معلومات قد تكون سرية أو مضللة أو مغلوطة عن ضحيته، والذي قد يكون فرداً أو مجتمعا أو دينا أو مؤسسة تجارية أو سياسية. وتتعدد الوسائل المستخدمة في هذا النوع من الجرائم، يأتي في مقدمتها إنشاء موقع إلكتروني يحتوي على المعلومات المطلوب نشرها أو إرسالها عبر القوائم البريدية إلى أعداد كبيرة من المستخدمين.

(١٢) النصب والاحتيال:

أصبح الإنترنت مجالاً واسعاً لمن له سلع أو خدمات تجارية يريد أن يقدمها، وبوسائل غير مسبقة كاستخدام البريد الإلكتروني أو عرضها على موقع على الشبكة أو عن طريق ساحات الحوار، ومن الطبيعي أن يُساء استخدام هذه الوسائل في عمليات نصب واحتيال. إن كثيراً من صور النصب والاحتيال التي يتعرض لها الناس في حياتهم اليومية لها مثيل على شبكة الإنترنت مثل بيع سلع أو خدمات وهمية، أو المساهمة في مشاريع استثمارية وهمية أو سرقة معلومات البطاقات الائتمانية واستخدامها.

مميزات جرائم الإنترنت:

- ◆ عدم وضوح الجريمة، وصعوبة إثباتها والتوصل إلى الجناة.
- ◆ إمكانية حدوث الجريمة في زمن قصير جداً.
- ◆ صعوبة الكشف عن الأساليب الإجرامية المستخدمة.
- ◆ الصعوبة في تحديد وقت ارتكاب الجريمة، وبالتالي صعوبة الحصول على دليل مادي في مثل هذه الجرائم التي يغلب عليها الطابع الإلكتروني.
- ◆ سهولة اقتناص الفرصة لارتكاب جرائم الإنترنت أو يكون ضحية لهذه الجرائم، فأني فرد يملك جهاز حاسوب متصلاً بشبكة الإنترنت.

دراسات حول جرائم الإنترنت

على الرغم من حداثة جرائم الإنترنت، إلا أنها حظيت باهتمام بالغ من قبل الباحثين، حيث أُجريت العديد من الدراسات في محاولة لفهم الظاهرة، للتحكم فيها. وسنعرض في هذا المقام لعدد من هذه الدراسات.

❖ دراسة أجرتها منظمة (Business Software Alliance) في منطقة الشرق الأوسط، حيث أظهرت أن هناك تبايناً بين دول المنطقة من حيث حجم خسائر جرائم الكمبيوتر، فقد تراوحت ما بين ثلاثين مليون دولار أمريكي في السعودية والإمارات، ومليون وأربعمائة ألف دولار أمريكي في لبنان.

❖ أظهرت دراسة قامت بها الأمم المتحدة حول جرائم الكمبيوتر والإنترنت بأن (٤٢.٢٤٪) من منظمات القطاع الخاص العام، كانت ضحية لجرائم متعلقة بالكمبيوتر والإنترنت.

❖ قدّرت الولايات المتحدة خسائرها من جرائم الكمبيوتر، ما بين (٣-٥) بليون دولار سنوياً.

❖ قدّرت المباحث الفيدرالية (FBI)، في نهاية الثمانينات، أن متوسط تكلفة جريمة الكمبيوتر الواحدة، حوالي ستمائة ألف دولار سنوياً.

❖ بينت دراسة أجراها أحد مكاتب المحاسبة الأمريكية أن مائتان وأربعين شركة أمريكية، تضررت من جرائم الغش باستخدام الكمبيوتر (Computer Fraud).

❖ بينت دراسة أُجريت في بريطانيا، أنه حتى أواخر الثمانينات، ارتكب ما يقارب من (٢٦٢) جريمة كمبيوترية، وقد كلفت هذه الجرائم حوالي (٩٢) مليون جنيه إسترليني سنوياً.

- ❖ أظهر مسح أُجري من قبل (the computer security institute) في عام ١٩٩٩م، أنّ خسائر مائة وثلاثة وستون شركة أمريكية، من الجرائم الكمبيوترية، بلغت أكثر من مائة وثلاثة وعشرين مليون دولار أمريكي.
- ❖ أظهر المسح الذي أُجري عام ٢٠٠٠م ارتفاع عدد الشركات الأمريكية المتضررة من تلك الجرائم، حيث وصل إلى مائتين وثلاثة وسبعين شركة، وبلغ مجموع خسائرها أكثر من مائتي وستة وخمسين مليون دولار.

الفصل الخامس

الجهود الأممية في

مكافحة الجريمة

الجهود الأممية في مكافحة الجريمة

أولا/ الجهود الدولية في مكافحة الجريمة:

انشغل الفكر الإنساني على مستوى العالم بنتائج دراسات الأمم المتحدة التي توصلت إلى أنه: "من سنة ١٩٧٠م حتى سنة ٢٠٢٥م سيتضاعف نسبة سكان المدن الكبرى نظراً للنمو الذي سوف تحققه هذه المدن في البلاد النامية. وفي سنة ٢٠٢٥م سيعيش قرابة (٣٠٪) من سكان الحضر في البلاد النامية في مدن يقرب عدد سكانها على الأربعة مليون نسمة". ويترب على النمو السكاني السريع في المناطق الحضرية إقامة تجمعات سكنية عشوائية على أطراف المدن، التي يطلق عليها مدن الصفيح أو حزام الفقر. وعادة تكون هذه الأحياء أقل حظاً في الخدمات الصحية، ووسائل المواصلات، والبنية التحتية، وتفتقر إلى الخدمات الأساسية، وتفتقر إلى الشعور بالأمن والاستقرار. بالتالي تكون هذه التجمعات أرضاً خصبة ومرتعا لكافة أساليب الجريمة.

بلغت أزمة المساكن في المدن الكبرى حداً مخيفاً. فحسب تقدير البنك الدولي سنة ١٩٧٥م، لا يجد ربع السكان الأشد فقراً بمعظم المدن الأفريقية والآسيوية مسكناً يأوون إليه. وثبت لدى الأمم المتحدة أن ما يزيد على (مليار) نسمة بدون مأوى بمعنى الكلمة، فهم ينامون في الشوارع وتحت الجسور وفي الأراضي الخراب والأزقة ومداخل المباني، أو يعيشون في مساكن غاية في السوء، وفي بيئات غير صحية. وأعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٨٧م؛ سنة دولية للإيواء المشردين. لذلك بذلت الأمم المتحدة خلال الربع الأخير من القرن العشرين استعداداً لمواجهة المشاكل المتوقعة الناجمة عن النمو الحضري المذهل، وتضافرت جهود العديد من المنظمات التابعة للأمم المتحدة ومنظمات أخرى حكومية وغير حكومية متعاونة مع "المجلس الاقتصادي والاجتماعي" في الأمم المتحدة لمعالجة

عددا من مشكلات المدن في العالم، من نواحي: (التنمية البشرية، وتحسين البيئة، والارتقاء بوسائل التربية والتعليم، ونشر الثقافة، وتشجيع السياحة، والتقدم العلمي والتكنولوجي، والارتقاء بضمانات حقوق الشعوب في حريتها باختيار نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والاستثمار الحر لثرواتها الوطنية).

نالت الجريمة عناية متقدمة على غيرها من المشكلات الاجتماعية العالمية؛ لأن فقدان الأمن يعرقل المساعي التقدمية لتحسين الأحوال العامة، سواء كانت متصلة بالجوانب السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو الثقافية. لذلك اعتنت "عصبة الأمم" بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، و"الأمم المتحدة" بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) بوضع دعائم قوية للتعاون الدولي في مكافحة الجريمة، تأطرت بمعاهدات دولية، جري تعديلها وفق تطور الجريمة في العالم.

الاتفاقيات الدولية المتعلقة بمكافحة الجريمة:

١. اتفاقية "برن" الخاصة بحماية حقوق المؤلف، المعقودة سنة ١٨٨٦م.
٢. اتفاقية "بروكسل" الخاصة بتوزيع الإشارات الحاملة للبرامج المرسلّة عبر التوايح الصناعية المعقودة سنة ١٩٧٤م.
٣. الاتفاقية الدولية لمراقبة المتاجرة بالأسلحة والعتاد والأدوات الحربية المعقودة في ١٧/٧/١٩٢٥م.
٤. الاتفاقية الدولية لمنع تزييف العملات، المعقودة في ٢٠/٤/١٩٢٩م.
٥. اتفاقية الأمم المتحدة لحظر التجارة بالأشخاص واستغلال دعارة الغير، المعقودة في ٢/كانون الأول/١٩٤٩م.

٦. اتفاقية منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو" المتعلقة بوسائل تحريم ومنع استيراد الممتلكات الثقافية وتصديرها ونقلها بطرق غير مشروعة ٢٤/٧/١٩٩٥م.
٧. اتفاقية الحماية المادية للمواد النووية لمنع استعمالها للإضرار بالجمهور ٣/٣/١٩٨٠م.
٨. اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الإتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية المؤرخة في ١٩/كانون الأول/١٩٨٨م.
٩. اتفاقية الأمم المتحدة لإبطال الرق وتجارة الرقيق والممارسات الشبيهة بالرق المعقودة في ٦/٩/١٩٥٦م.
١٠. اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري ٢١/١١/١٩٦٥م.
١١. الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها ٣٠/١٠/١٩٧٣م.
١٢. اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ١٨/١٢/١٩٧٩م.
١٣. الاتفاقية الدولية الخاصة بالمعاقبة على التجارة الدولية بالمطبوعات المفسدة المعقودة سنة ١٩٢٣م.
١٤. اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة المعقودة سنة ١٩٨٤م.

إنجازات الأمم المتحدة في مكافحة الإرهاب

في تاريخ ٩/١٢/١٩٩٤م صدر عن الأمم المتحدة الإعلان المتعلق بالتدابير الرامية إلى القضاء على الإرهاب الدولي. جرى التأكيد على هذا الإعلان سنة

١٩٩٥م في احتفالات الذكرى الخمسين على تأسيس الأمم المتحدة، كما تم التأكيد على هذا الإعلان في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٩٦م، وتم التأكيد على هذا الإعلان بشكل أكبر بعد هجمات ١١/٩/٢٠٠١م على برجى التجارة.

فيما يلي عرض أهم الاتفاقيات الدولية في مجال مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة التي أودعت في المنظمة الأمم المتحدة، وبلغ عددها أحد عشر اتفاقية، منها اتفاقيات دخلت حيز التنفيذ، ومنها لم تدخل حيز التنفيذ بعد؛ لأنها لم تبلغ النصاب المطلوب من عدد الدول الأعضاء الموقعة على الاتفاقية:

(١) اتفاقية القضاء على الإرهاب الموجه ضد السفارات، وضد الدبلوماسيين، وضد الأشخاص الدوليين المشمولين بالحماية.

(٢) اتفاقية مناهضة أخذ الرهائن.

(٣) الاتفاقية المتعلقة بسلامة موظفي الأمم المتحدة والأفراد المرتبطين بها.

(٤) الاتفاقية الخاصة بالجرائم المرتكبة على متن الطائرات.

(٥) الاتفاقية الخاصة بمكافحة الاستيلاء غير المشروع على الطائرات.

(٦) اتفاقية قمع الأعمال غير المشروعة الموجهة ضد سلامة الطيران المدني.

(٧) الاتفاقية المتعلقة بقمع أعمال العنف غير المشروع في المطارات التي تخدم الطيران المدني الدولي.

(٨) اتفاقية الحماية المادية للمواد النووية.

(٩) اتفاقية قمع أعمال العنف الغير مشروع ضد سلامة الملاحة البحرية.

(١٠) الاتفاقية المتعلقة بحماية منصات الحفر والبحث البحرية.

(١١) الاتفاقية المتعلقة بالكشف عن المتفجرات البلاستيكية.

ثانيا/ الجهود العربية في مكافحة الجريمة:

جاء الاهتمام العربي في معالجة "الجريمة" متأخرا مقارنة مع الجهود الدولية، لكن بنسب متفاوتة من دولة عربية لأخرى، حيث أقيمت العديد من المراكز البحثية الملحقّة بوزارات الشؤون الاجتماعية، أو وزارات العمل، أو وزارات الداخلية أو المؤسسات الحكومية الأخرى، أو مؤسسات المجتمع المدني، أو المراكز البحثية في الجامعات. ودرست هذه المؤسسات العديد من الظواهر والسلوكيات والأساليب الإجرامية، مثل: (جرائم المخدرات، والبغاء، وجنوح الأحداث، وإصلاح السجون، ورعاية السجناء، والسلوك المنحرف، والأمن الاجتماعي... إلخ).

في خطوة متقدمة عندما شعرت الدول العربية بخطورة الجريمة في المجتمع، وأثارها السلبية على السلم والأمن الاجتماعيين، حاولت جاهدة للبحث عن آليات لمواجهة الجريمة والحد منها، واتخاذ التدابير الوقائية اللازمة لمنع تفشيها وانتشارها، فكانت فكرة إنشاء العديد من المؤسسات العربية التي تهتم بالجريمة بشكل مباشر أو غير مباشر. فيما يلي عرض لأهم هذه المؤسسات:

(أ) المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي:

أسست "المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي" كواحدة من المؤسسات التابعة لجامعة الدول العربية سنة ١٩٦٦م لمواجهة مخاطر الجريمة، وبادرت المنظمة بعقد مؤتمرات سنوية لبحث موضوعات الدفاع الاجتماعي ضد الجريمة على مستوى الوطن العربي. كما اهتمت بعقد مؤتمرات سنوية لقادة الشرطة والأمن العرب منذ أواخر سنة ١٩٧٢م، ومؤتمرات أخرى لوزراء الداخلية العرب منذ سنة ١٩٧٧م.

من الموضوعات التي كان يتم مناقشتها: (الجرائم الاقتصادية، جرائم المخدرات، جرائم العنف، التهريب عبر الحدود، الاعتداء ضد المؤسسات المالية، جرائم الأسلحة، جرائم تزوير جوازات السفر، الجرائم الأخلاقية، جرائم الشباب، جرائم التخريب، جرائم سرقة وتهريب الآثار، جرائم الإرهاب، جرائم الاعتداء على أمن البيئة، جرائم الاغتصاب، جرائم الحاسب الآلي، العنف الأسري... إلخ).

(٢) منظمة المدن العربية:

أسست منظمة المدن العربية سنة ١٩٦٧م واتخذت من الكويت مقراً لها. هدفها: "رعاية التعاون بين إدارات المدن العربية، ورفع مستوى الخدمات البلدية فيها دون التدخل بالأمور السياسية". ولكي تعمل المنظمة للسيطرة على المشكلات الاجتماعية التي تواجه المدن العربية ودرء الأخطار النفسية والاقتصادية والاجتماعية التي قد تنشأ عنها، تقرر إقامة الاحتفال السنوي في جميع الدول العربية باسم "يوم المدينة العربية" في ٣/١٥ من كل سنة، وقد طرحت الفكرة لأول مرة سنة ١٩٧٨م.

(٣) المعهد العربي لإنماء المدن:

يتبع المعهد منظمة المدن العربية، وقد اتخذ من الرياض مقراً له. وهو متخصص في تحمل أعباء الجوانب الفنية والعلمية في مجالات خدمات المدن، وتحديث طرق العمل وأساليب الأداء والتنظيم وإجراء البحوث والدراسات وتقديم الاستشارات فيما تطلبه المدن في البلاد العربية.

تصدر عن الأمانة العامة لمنظمة المدن العربية "مجلة المدينة العربية"، وهي مجلة دورية متخصصة تصدر كل شهرين منذ سنة ١٩٨٧م، وتهتم بدراسة الموضوعات ذات الصلة بشؤون المدن والبيئة العربية.

خلال الفترة الممتدة (من ٥-٩ / ديسمبر حتى كانون أول / ١٩٨١م) قامت المنظمة بتنظيم ندوة علمية في الكويت بعنوان: "دور البلديات في حماية البيئة بالمدن العربية"، حيث شارك فيها ممثلو (١٨٤) مدينة عربية، واتفق المؤتمر على أن المدن العربية تعاني من مشكلات بلدية تقلق راحة ساكنيها. ومن أهم تلك المشكلات:

- ◆ نقص المساحات الطبيعية المكشوفة.
- ◆ اختناق حركة النقل والمرور.
- ◆ تلوث الماء والهواء.
- ◆ عدم كفاية الخدمات الصحية والوقائية والعلاجية.
- ◆ تدهور الأوضاع الاجتماعية في الكثير من الأحياء الشعبية.
- ◆ نمو مناطق سكنية عشوائية خلافا لضوابط التصميم الرسمية للمدن.

(٤) مجلس وزراء الداخلية العرب:

من باب الاهتمام والعناية أكثر بدراسة ظاهرة الجريمة في الوطن العربي أسس "مجلس وزراء الداخلية العرب" سنة ١٩٨٣م، وقد فتح باب التعاون والتنسيق للأمانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب مع جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في الرياض بصفتها المرجع العلمي للمجلس المذكور.

الفصل السادس

رؤفة إسلامفة فف معالفة

الجرمة والانحراف

أسباب نجاح "النظرىة الإسلامىة" فى دراسة الجرىمة:

- (١) العدالة الاجتماعىة والاقتصادىة التى جاء بها الإسلام؛ ومحاولة تطبىقها على المجتمع الإنسانى عموماً والمجتمع الإسلامى خصوصاً، على اعتبار أنها من الأسس الرئىسىة التى يعتمد عليها فى بناء مجتمع خال من الجرىمة.
- (٢) المساواة بين جميع أفراد المجتمع الإسلامى أمام القضاء والشرىعة فى قضايا العقوبة والتأديب والتعوىض.

- (٣) العقوبة المشددة ضد المجرمين والمنحرفىن، مثل: (القصاص، الدىة، التعىزىر). وقسمت العقوبات فى الشرىعة الإسلامىة إلى قسمىن:

♦ **العقوبات الأدبىة:** تشمل جانبىن: (الحدود والتعىزىر). الحدود: "هى عقوبات منصوص عليها فى الكتاب والسنة". أى لم يسمح لأحد بالاجتهاد فى تقديرها، كالقصاص فى جرىمة القتل. أما التعىزىر: "هو العقوبة التى فوض أمر تقديرها إلى الحاكم الشرعى". فىفرض العقوبة التى يراها مناسبة لحجم الجرىمة. مثل العقوبة فى حالات التزوىر.

♦ **العقوبات المادىة:** هى الدىات، أو المال الواجب دفعه بسبب جنابة على النفس أو ما دونها. تشمل جانبىن. الأول: الدىة المقدره فى القرآن الكرىم، كدىة النفس والأعضاء. الثانى: الدىة التى فوض تقديرها لجهات الاختصاص فى الدولة.

- (٤) المشاركة الجماعىة فى دفع ثمن الجرىمة، كإلزام عائلة المجرم بدفع دىة القتل خطأً. ومن صور المشاركة الجماعىة:

أ- **ولى الأمر مسؤؤل "شرعاً"** عن دفع الدىة إذا ارتكب من يتولاه انحرافاً يستوجب دفع تلك الغرامة.

- ب- العلاقة الأسرية تساهم من خلال التآزر على إصلاح الفرد المنحرف.
- ت- العائلة تتحمل دية القتل الخطأ، ودية الجناية على الأطراف وما شابههما ضمن شروط معينة.

نماذج للجرائم الاجتماعية ومعالجتها برؤية إسلامية:

صور الجرائم التي تناولتها الشريعة الإسلامية بالتفصيل، وأوجبت فيها العقوبات (الأدبية والمادية)، تسير في اتجاهين:

الاتجاه الأول: سلوكيات يكون مرتكبها متعديا على حقوق الله تعالى، مثل: (الزنا، واللواط، وشرب المسكرات)؛ لأن في ارتكابها مخالفة لأوامر الله تعالى، ولا يجوز فيها العفو بعد قيام البينة وثبوت الحد.

الاتجاه الثاني: سلوكيات يكون مرتكبها متعديا على حقوق الله تعالى من جهة، وحقوق العباد من جهة أخرى، مثل: (القذف، والسرقه، والقتل)؛ لأن فيها جهة شخصية متضررة، فيتوقف إقامة الحد على مطالبة المتضرر أو من يرثه. ويجوز للحاكم الشرعي إقامة الحد فيما يتعلق بحقوق الله بمجرد علمه، ولكنه لا يستطيع القيام بذلك فيما يتعلق بحقوق الناس كالسرقة والقذف.

بعد توضيح اتجاهات العقوبة، نعرض أهم صور الجريمة ومعالجتها برؤية إسلامية:

(١) الاعتداء على النفس الإنسانية:

لقد كرم الله تعالى الإنسان فخلقه وأحسن خلقه. {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين:٤]. وأسجد الله لأدم الملائكة المكرمين، . ليس سجود عبادة

إنما سجود تكريم ، { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [البقرة: ٣٤]. { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ } [الكهف: ٥٠]. { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى } [طه: ١١٦].

وسخر وطوع الله تعالى السماوات والأرض لخدمة الإنسان. { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ } [إبراهيم: ٣٢-٣٣]. { وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ } [النحل: ١٢]. { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً } [لقمان: ٢٠].

وكرم الله تعالى الإنسان على بقية المخلوقات. { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } [الإسراء: ٧٠].

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع حقوق الإنسان فقال: "أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا.. ألا هل بلغت فاشهد. كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه".

وبين الإسلام حقوق الإنسان، المتمثلة في: (حق الحياة، حق التملك، حق صيانة العرض، حق الحرية، حق المساواة، حق التعلم). فكان "حق الحياة" في طبيعة هذه الحقوق، قال الله تعالى تقديساً وصيانة للنفس البشرية وحمايتها من عبث القتل: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَتَصُورًا} [الإسراء: ٣٣]. {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٣١]. {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [النساء: ٢٩]. {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٨-٩]. وقد توعد الله كل من يسرف في إزهاق النفس البشرية بغير حق (القتل العمد). {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٣].

في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني"^{١٣}، والنفس بالنفس"^{١٤}، التارك لدينه المفارق للجماعة" [البخاري: ٦٨٧٨]. وقال: "لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها؛ لأنه كان أول من سنَّ القتل". [مسلم: ١٦٧٧]. وقال: "لزوال الدنيا أهونُ على الله من قتل رجلٍ مسلمٍ" [الألباني: صحيح الجامع، ٥٠٧٧].

إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن تكريم النفس البشرية يصعب حصرها في هذا المقام، ونكتفي بهذا القدر من النصوص لتوضيح

^{١٣} المتزوج.

^{١٤} أي يقتل القاتل الذي أزهق نفساً بغير حق.

مدى تكريم الإسلام للنفس البشرية، ودعوته وتأكيد على حمايتها وصيانتها من العبث والإزهاق بدون وجه حق.

القصاص

يشمل الاعتداء على النفس: (جرائم القتل بأنواعه العمد^{١٥}، وشبه العمد^{١٦}، والخطأ^{١٧}، الجراح، الشج^{١٨}، إسقاط الجنين). وقد وجب في هذه الحالات (القصاص، أو دفع الدية)، وأوجب كفارة القتل في مواضع معينة، وأباح للمعتدى عليه الدفاع عن نفسه في كل الأحوال.

إن أحكام الشريعة الإسلامية ليست انتقامية، إنما هي رادعة وزاجرة.

عقوبة (القصاص) قد تبدو في ظاهرها انتقامية إلا أنها تؤدي دورا رادعا لأفراد المجتمع عن ممارسة الجريمة التي نهى عنها الشرع. والقصاص يؤدي دورا أبلغ وأشد من عقوبة السجن؛ لأن المجرم بعد انتهاء فترة السجن ويخلى سبيله قد يعود لممارسة الجريمة الذي عوقب عليها، أو يأتي بجريمة أخرى. بالتالي لم تحقق عقوبة السجن الهدف المرجو منها وهو: (ردع المجرم عن ارتكاب الجريمة).

قال تعالى في مسألة القصاص: {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤]. {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ

^{١٥} القتل العمد: هو أن يقصد المكلف قتل إنسان معصوم من الدم.

^{١٦} القتل شبه العمد: هو أن يقصد المكلف قتل إنسان معصوم من الدم بما لا يقتل عادة، كأن يضربه بحجر صغير أو عصا خفيفة.

^{١٧} القتل الخطأ: هو أن يفعل المكلف ما يباح له فعله، كأن يقصد غرضا ما فيصيب به إنسانا معصوما من الدم فيقتله.

^{١٨} الشج: هو الإصابات التي تقع في الرأس والوجه.

تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {
[المائدة: ٤٥].

مع تأكيد القرآن على القصاص، إلا أنه . في ذات الوقت، وضمن إطاره
الأخلاقي . يرغب أولياء المقتول في العفو والصفح عن القاتل قدر الإمكان. {فَمَنْ
تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} [المائدة: ٤٥]. {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى: ٤٠].

الدية

الأصل في الدية وجوبها. {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ
قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ
كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ٩١].

الدية المقدرة شرعاً في قتل المسلم الذكر عمداً ألف دينار ذهباً، وهو ما يعادل
أكثر من (٣,٥) كيلو جرام ذهباً، أو ما قدر من الشياه، والإبل، والأبقار، والحلي،
والفضة. أما دية المرأة الحرة المسلمة النصف. وهذه المبلغ من المال كافياً لإغناء
العائلة المضجوعة بفقد معيها، حتى لا تمتد يدها وتستجدي العطف والمعونة من
الناس. لم يتوقف دفع الدية على القتل فحسب، بل تعدى إلى تلف الأعضاء، مثل:
(العين، والأنف، والشفة، واللسان، والأسنان... إلخ)، أو تلف الحواس، مثل:
(السمع، البصر، الشم... إلخ)، والجراح المختصة بالرأس والوجه.

الأهداف المرجو تحقيقها من الدية والقصاص:

- تعويض المجني عليه وأسرته ماديا بسبب الضرر الذي لحق بهم.
- ردع المجرمين عن ارتكاب الجريمة؛ لأن ارتكابها ستكون نتائجه كبيرة ووخيمة على الفرد، والأسرة، والمجتمع سواء على (المستوى الإنتاجي أو المعنوي). على المستوى الإنتاجي تتعطل إحدى أعضائه، بالتالي لا يستطيع القيام بالدور المطلوب منه على الوجه الأكمل. وعلى الصعيد المعنوي يُنظر إليه نظرة ازدراء واحتقار وتبقى العقوبة لصيقة به أينما حل وارتحل، وأن هذه الإعاقة التي حلت به هي بسبب ارتكابه جرماً ما!

(٢) جرائم ضد الملكية:

تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الجرائم التي تؤدي إلى سلب الملكية من مالكها قهراً وظلماً كالغصب. شدد الإسلام على حرمة غصب أموال الناس، وحرم التصرف بالمال مطلقاً إلا مع العلم بالإذن الشرعي. {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْنُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٨٨]. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ} [النساء: ٢٩]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من غصب شبراً من الأرض طوقه الله من سبع أرضين" [البدر المنير: ٢٣٨/٨].

الغاصب ىتحمل مسؤولىة كاملة بارجاع الماة المغصوبة سلمةً من كل عىب؁ بل ىتعىن عله ووب الرء فوراً ءون تأخىر أو تأجىل؁ بىنما لا ىتحقق هذا الضمان ولا الفورىة فى القوانىن الوضعىة.

القسم الثانى: (السرقة): تعد أشء من الغصب؁ على عابار أنها انفهاك لحرمة الشىء المسروق الذى اطمأن صاحبه على سلامته بالسرق. أوجب الإسلام تطبىق الءء على السارق ءون الغاصب. {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ} [المائءة: ٣٨].

نستلهم من سىرة المصطفى صلى الله عله وسلم معالجته لظاهرة السرقة. فقد روى أن امرأة من طبقة الأشراف سرقء؁ فشفع لها أءء الصحابء (أسامة بن زىء) عءء رسول الله صلى الله عله وسلم؁ فقام صلى الله عله وسلم وخطب فى الناس خطبة قوىة . قصىرة؁ معلناً فىها مباء المساواة بىن أفراء المجتمع أمام الشرىعة والقانون: "أىها الناس: إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فىهم الشرىف تركوه؁ وإذا سرق فىهم الضعىف أقاموا عله الءء؁ وأىم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقء لقطع محمدٌ ىءها" [صحىح البخارى؁ ٦٧٨٨].

لابء للسارق من إعاءة الماة المسروقة حىث لا ىسقط عنه بحال من الأحوال حىى مع إقامة الءء.

٣) الجرائم الأخلاقىة:

من أبرز الجرائم الأخلاقىة التى ىواجهها النظام الاجفماعى؁ وانتشرت بشكل كبىر وملحوظ فى مجفمعائنا المعاصرة (الزنا؁ واللواط؁ والسحاق)؁ والانحرافات السلوكىة مثل: (القذف؁ وشرب الخمر)؁ والانحرافات العقائدىة مثل: (الرءة).

مثل هذه الانحرافات لها عقوبات محددة في التشريع الإسلامي. وفي هذه المقام سنتحدث عن قضيتي (الزنا، اللواط).

أولا/الزنا:

إن الزنا ممارسة لأخلاق بهيمية، لا تعرف للمروءة ولا للشهامة طريقا، ولا تعرف للكرامة ولا للعزة سبيلا. الزنا هو إطلاق للشهوات واستباحة للأعراض، وضياع للحياء، له أضرار على الصعيد الفرد، والأسرة، والمجتمع.

إن الإحصائيات التي تتحدث عن ضحايا جريمة الزنا في العالم عموما وفي بلاد الغرب خصوصا، تثير القلق والفرع من المستقبل السيئ الذي تنتظره البشرية. هذه عينة من تلك الأرقام. في الفترة من (١٩٨١-٢٠٠١م) كان عدد ضحايا مرض الإيدز في العالم مليون فردا. في سنة ٢٠٠١م أصيب بمرض الإيدز (٥,٣) مليون شخصا، بمعدل (١٤٥٠) شخص يوميا. يوجد في أمريكا وحدها (٨٠٠-٩٠٠) مليون شخصا مصابون بالإيدز، وفي الهند (٣,٧) مليون، وفي الصين ستة مليون شخصا، وفي أفريقيا خمسة وعشرين مليون.

نشرت (مجلة البيان في عدد رجب ١٤٢٢هـ) إحصائيات صادرة عن منظمة الصحة العالمية سنة ٢٠٠٠م، تبين أن أربعين مليون فردا مصابون بالإيدز في العالم، واثنان وعشرون مليون حالة وفاة نتيجة الإصابة بالإيدز، منهم أربعة مليون طفلا. وفي إحصائية أخرى نشرتها (صحيفة البلاد ١٢/٥/١٤٢٢هـ) بينت أن أربعة عشر مليون امرأة في العالم مصابة بالإيدز. ونفس الصحيفة أشارت أنه في تقرير صدر عن هيئة الإحصاء الحكومية في روسيا إلى أن ربع الأطفال في روسيا يولدون غير شرعيين. كما أشارت الإحصائيات - في مجلة البيان العدد المذكور آنفا - إلى أن (٦٥٪) من النساء العاملات في بعض الدول الأوروبية تعرضن

للتحرش الجنسي في أماكن عملهن، و(١٨٪) من نساء أمريكا اغتصبن أو تعرضن لمحاولة اغتصاب في مرحلة من مراحل عمرهن.

تأكيداً لما سبق، أشارت (مجلة الأسرة، ذو القعدة ١٤٢٠ هـ) أن (٤٢٪) من النساء الأمريكيات تعرضن للتحرش الجنسي في أماكن (العمل، والدراسة، والمنشآت، والشوارع)، في حين كانت النسبة (٤٧٪) في بريطانيا، أما في ألمانيا فإن (٦٪) من النساء العاملات هجرن وظائفهن سنة ١٩٩٠م بسبب التحرش الجنسي بهن. وذكرت نفس المجلة في عدد (رجب ١٤٢٠ هـ) أن مليون طفل في أمريكا يولدون سنوياً من السفاح. وذكرت (مجلة المعرفة، صفر ١٤٢١ هـ) أرقاماً من بريطانيا تبين أن واحداً من كل ثلاثة أطفال يولد بصورة غير شرعية، في حين كانت النسبة في أيسلندا (٥٧.٣٪).

لذلك نجد الله تعالى مدح المؤمنين والمؤمنات المحافظين على فروجهم والحافظات، واعتبره من علامات الفوز والنجاح. {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ❖ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ❖ إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ❖ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [المؤمنون: ١-٧].

قال رسول الله ﷺ: "من يضمن لي ما بين رجله وما بين لحييه أضمن له الجنة" [البخاري: ٦٤٧٤]. وقال: "إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها. قيل لها: ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت" [السيوطي، البدور المسافرة، ٣٩٦].

إن نهى الإسلام عن الزنا والعقوبة المفروضة عليها لم يأت جملة واحدة وبشكل مفاجئ، إنما جاءت بشكل متدرج. فقد كانت عقوبة الزنا في أول الأمر الزجر والتوبيخ. {وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: ١٦].

فريق من المفسرين يرى أن هذه الآية تتحدث عن حكم "السحاق". أي النساء اللاتي يأتين فاحشة "السحاق" أشهدوا عليهن أربعة رجال، فإن شهدوا فاحبسوهن في البيوت، بأن توضع المرأة في مكان بعيد عمن كانت تساحقها، حتى تموت أو تكتب لها التوبة، أو الزواج. ثم تطورت العقوبة إلى الحبس في البيت. {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء: ١٥]. فريق آخر من المفسرين يرى الآية تتحدث عن حكم اللواط. أخيرا استقر الحد على رجم الزاني البكر مائة جلدة، ورجم الزاني الشيب حتى الموت.

النهي عن الزنا جاء بشكل واضح ولا مجال فيه للاجتهاد. {وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: ٣٢]. {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢-٣].

قال الله تعالى في وصف المؤمنين: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} [الفرقان: ٦٨].

عقوبة الزنا:

اتفق الفقهاء على أن البكر الحر . ذكرا أو أنثى . إذا وقع في الزنا يجلد مائة جلدة. {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢].

لكن اختلف الفقهاء في الجمع بين عقوبتي الجلد والتغريب:

- ◆ الإمام الشافعي: يجمع بين الجلد والتغريب لمدة عام.
 - ◆ مالك والأوزاعي: يجب تغريب البكر الحر الزاني دون المرأة الحرة البكرة الزانية، فالمرأة لا تغرب لأنها عورة.
 - ◆ أبو حنيفة: لا يضم الجلد إلى التغريب إلا أن يرى الحاكم في ذلك مصلحة.
- أما المحسن الثيب الزاني فقد اتفق الفقهاء على وجوب رجمه حتى الموت سواء كان رجلا أو امرأة.

ثانيا/ اللواط:

اختلف الفقهاء في تحديد عقوبة (اللواط). من بين هذه الآراء: القتل ضرباً بالسيف، أو حرقاً بالنار، أو الإلقاء من فوق شاهق، أو هدم الجدار عليه. ويعد هذا اللون من الانحراف من أخطر مراتب الانحرافات الجنسية. {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ

لَوْطُ أَلَا تَتَّقُونَ ❖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ❖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ❖ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ❖ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ { الشعراء: ١٦١-١٦٦}. { إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ { الأعراف: ٨١}. { أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ { النمل: ٥٥}. { أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ { العنكبوت: ٢٩}.

لاشك أن التشديد في التعامل مع المنحرفين أخلاقيا ينسجم مع النظرية الأخلاقية الإسلامية. من أجل بناء مجتمع إسلامي متكامل ونظيف. لابد من إنزال أشد العقوبات بالذين يحاولون تمزيق نسيج النظام الاجتماعي عن طريق الانزلاق في الشهوات المحرمة وخلق الأنساب. والإسلام لم يغفل حاجة الفرد الجنسية، بل أشبعها عن طريق الزواج، وجعل العقاب صارماً فيما دون ذلك.

بدلا من خاتمة:

الوقاية من الجريمة

تعريف الوقاية من الجريمة:

يعرفها "أرفن ولر": "كل عمل يؤدي إلى التقليل أو التخفيف من معدلات الجريمة".

شروط العمل للوقاية من الجريمة:

- ❖ أن يتم التعامل مع الظروف التي تفرز الفعل الإجرامي، أو تساهم في إبرازه.
- ❖ أن تكون الجهود الوقائية موجهة للتعامل مع الأفراد والجماعات الذين وقعوا في وحل الجريمة.
- ❖ أن يغلب على العمل الوقائي الجهد الجماعي والمجتمعي، ولا بد من إشراك كافة الهيئات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية.

نماذج وجهود دولية للوقاية من الوقوع في الجريمة:

لقد بذلت العديد من دول العالم جهوداً لاتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة للوقاية من الجريمة، فهناك جهود بذلت في: (فنلندا، كندا، استراليا، أمريكا... إلخ). وقد قمنا باستخلاص النقاط المتفق عليها، ووضعها في النقاط الآتية:

- (١) نشر الوعي بين تلاميذ المدارس وطلبة المعاهد والجامعات وتعريفهم بمسؤولياتهم تجاه مجتمعهم.
- (٢) الزيارات المتكررة من قبل الشرطة إلى المدارس والجامعات؛ للقيام بحملات توعية وتثقيف، وفتح حوارات مباشرة مع الطلبة.

- (٣) توزيع ملصقات تحمل شعارات ومضامين معبرة للوقاية من الجريمة.
- (٤) فتح جمعيات ومؤسسات تشغل وقت الفراغ عند الشباب، حتى لا يقضوا هذا الوقت في العمل الانحرافي.
- (٥) الرقابة الوالدية للتعرف على رفاق الأبناء، ومتابعتهم في المدارس وخارج البيت. وتحذير وتنبيه الأبناء من مرافقة السيئين وأصحاب الأسبقيات في السلوك الجانح، ومنعهم من زيارة الأماكن المشبوهة.

رؤية "سيزار بكاريا" للوقاية من الجريمة:

- سن قوانين واضحة، بشرط أن تطبقها بشكل عادل على كل أفراد المجتمع دون تمييز لاعتبارات اجتماعية.
- أن تخدم التشريعات القانونية المصلحة العامة، وليس شريحة محددة في المجتمع.
- تأكيد القانون على حتمية العقوبة، وأن تكون القوانين رادعة.
- على القضاة أن يوجهوا اهتمامهم إلى الوقاية من الجريمة أكثر من الاهتمام بالعقوبة فقط.
- تشجيع الفضيلة، ووضع المكافآت، وتعزيز السلوك السوي.
- تعميم المعارف والعلوم؛ لأن هناك علاقة بين الجريمة والثقافة.
- نشر القوانين من أجل أن يكون الناس على علم بها.
- يجب التخلص من العقوبات التعسفية ضد المتهمين.
- تحسين وإصلاح السجون.
- تقديم الرعاية الصحية للمجرمين حسب (الجنس، العمر، درجة الجريمة).

هناك طرق أخرى للوقاية من الجريمة، منها:

- (١) توفير الأجواء الأسرية السليمة حتى تتحقق التنشئة الاجتماعية الصحيحة البعيدة عن الاضطرابات النفسية، والاجتماعية، والسلوكية.
- (٢) الاكتشاف المبكر لاستعدادات وميول الفرد نحو الانحراف الاجتماعي وارتكاب الجريمة؛ لأنه في المرحلة "المبكرة" يمكن تعديل السلوك والمعتقدات، ومعالجة القضية من البداية ومن جذورها. أما لو اكتشف الأمر في وقت متأخر فإن العلاج يستغرق وقتاً أكبر إن لم تمن بالفضل في أحيان كثيرة.
- (٣) إزالة الأسباب المؤدية للجريمة. قد يكون من هذه الأسباب الرفاق، الأفلام والمسلسلات والمجلات التي تشجع على الجريمة، الحي السكني، التسرب الدراسي، تدني الوضع الاقتصادي، الصراعات والخلافات الأسرية، التفكك الأسري... إلخ.
- (٤) بيان الضرر العام والخاص الذي يصيب الأفراد والمجتمع نتيجة الجريمة، من خلال حملات التوعية الهادفة من خلال المؤسسات التربوية والتعليمية، والمؤسسات الإعلامية، وقيام الخطباء والوعاظ بدورهم من خلال المساجد ببيان موقف ورأي الدين من الانحراف الاجتماعي والجريمة، وجهود مؤسسات المجتمع المدني.
- (٥) تطبيق مبدأ حسن التعامل والحكمة في التعامل مع الآخرين، فبه يسلم المجتمع من الانهيار والتفكك.
- (٦) إشغال الفراغ الفكري للشباب وتوجيههم وتوعيتهم توعية دينية وإعلامية كافية، ويكون ذلك عن طريق افتتاح مراكز وجمعيات شبابية تهتم وتبني مهارات وإبداعات الشباب والعمل على تنميتها وتطويرها، بدلا من أن يكونوا فريسة سهلة للمنحرفين والجماعات الضالة.
- (٧) معالجة أسباب الجريمة الاقتصادية والاجتماعية والأسرية.

- (٨) إقباع أساليب التنشئة الإيجابية والابتعاد عن الأساليب السلبية.
- (٩) إشباع احتياجات الأبناء النفسية والاجتماعية والسلوكية، والمادية.
- (١٠) التقليل من مشاهدة مشاهد العنف على وسائل الإعلام.
- (١١) متابعة الأبناء وتوجيه سلوكهم داخل البيت وخارجه.
- (١٢) محاربة السلوكيات الدخيلة على المجتمع.
- (١٣) تحديث المناطق والأحياء السكنية القديمة في المدينة وتشديد الرقابة عليها.
- (١٤) التوعية بأحكام القوانين المتعلقة بمرتكبي الجرائم.

المراجع:

١. إياس الهاجري، جرائم الإنترنت، يناير ٢٠٠٢م، نقلا عن: موقع المنشاوي للدراسات والبحوث: <http://www.minshawwi.com/other/eyas1.htm>
٢. إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابر ماس، ترجمة: محمد غلوم، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٤٤، الكويت، تصدر عن: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أبريل ١٩٩٩م.
٣. أحسن طالب، الوقاية من الجريمة، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠١م.
٤. أحمد شهاب، إعلام ما بعد العولمة، مجلة الكلمة، العدد ٣٩، السنة ١٠، ربيع ٢٠٠٣م، تصدر عن: منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، <http://www.kalema.net>
٥. أحمد العموش وحمود العميات، المشكلات الاجتماعية، من إصدارات: جامعة القدس المفتوحة، عمان، ١٩٩٨م.
٦. أحمد محمد مبارك الكندي، علم النفس الأسري، ط ٢، مكتبة الفرح، الكويت، ١٩٩٢م.
٧. أدوين هـ. سزر لاند ودونالد ر. كريسي، مبادئ علم الإجرام، ترجمة: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.
٨. بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة.. رؤية نقدية، سلسلة كتاب الأمة، العدد ٨٦، السنة ٢١، تصدر عن: وزارة الأوقاف والشئون الدينية، قطر، ١٤٢٢هـ.
٩. بسام محمد أبو عليان، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، بحث غير منشور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر، غزة، ٢٠٠١م.

١٠. بسام محمد أبو عليان، أساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة اليمنية وأثرها على التحصيل الدراسي عند الأبناء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، كلية الآداب . قسم علم الاجتماع، ٢٠٠٧م.
١١. بسام محمد أبو عليان، العولمة وانعكاسها على الأسرة، بحث غير منشور، ٢٠٠٨م.
١٢. بطرس بطرس غالي، الأمم المتحدة ومواجهة الإرهاب، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٧، تصدر عن: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، يناير ١٩٩٧م.
١٣. بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، ط١، دار الأهالي، دمشق، ٢٠٠٤م.
١٤. جرائم الإنترنت، نقلا عن: موقع المنشاوي للدراسات والبحوث، <http://www.minshawi.com/ginternet/index.htm>
١٥. جريدة القدس العربي، ٢٨/٣/٢٠١١م، <http://www.alquds.co.uk/index.asp?fname=today\28z416.htm&arc=data\2011\03\03-28\28z416.htm>
١٦. حميد الهاشمي، تعاظم المخدرات.. لمحة عامة ومنظور اجتماعي، مجلة علوم إنسانية، العدد ١١، يوليو ٢٠٠٤، <http://www.ulum.nl/i11.html>
١٧. حيدر حميد الدهوي، العولمة والقيم.. رسالة في الطريق إلى ما بعد العولمة، ط١، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٤م.
١٨. زهير الأعرجي، النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم، بحوث في علم الاجتماع الإسلامي، نقلا عن:

<http://www.rafed.net/books/olom-quran/nazaria/index.html>

١٩. زكي الميلاء؁ كيف يظهر العنف في سلوك الجماعة؟؁ مفلة الفسامح؁ العدد ١٠؁ فففر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الففنية؁ سلطنة عمان؁ ربفع ٢٠٠٥؁ نقلًا عن موقع المفلة:

<http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=221>

٢٠. زهير الأعرفي؁ الانحراف الاجفماعي وأساليب العلاج؁ ففوف في علم الاجفماع الإسلامي (٢)؁ نقلًا عن:

<http://www.rafed.net/books/aam/al-inheraf/index.html>

٢١. سعد بن عبء الله البريك؁ الزنا: أضراره.. أسبابه.. علاجه؁ مفلة الففء العلمي الإسلامي؁ السنة ٢؁ العدد ٦؁ فففر عن: مركز الففء العلمف الإسلامي؁ لبنان؁ شباط ٢٠٠٦م.

٢٢. سمفر نفعم أحمد؁ علم الاجفماع القانونف؁ مففبة سعفء رأفت؁ القاهرة؁ ١٩٧٩م.

٢٣. السفء سابق؁ فقه السنة؁ الفزان ٢ و٣؁ الففء للإعلام العربف؁ القاهرة؁ ١٩٩٦م.

٢٤. السفء فاسفن؁ في مفهوم العولمة؁ في كتاب: العرب والعولمة.. ففوف ومناقشات الندوة الفكرفة الفف نظمها مركز دراسات الوحدة العربفة؁ بفرف؁ فونفو ١٩٩٨م.

٢٥. شبكة النبأ المعلوماتفة؁ مصطلحات اجفماعفة؁ مصطلح (الفرفمة):

<http://www.annabaa.org/nbanews/65/178.htm>

٢٦. صالح الرقب؁ العولمة؁ ص ٣٥؁ نقلًا عن: موقع مففبة المشكاة الإسلامية:

<http://www.almeshkat.net/books/open.php?cat=21&book=1679>

٢٧. طلعت مصطفى السروجي ونبيل محمد صادق، ميادين ممارسة الخدمة الاجتماعية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ٢٠٠٩م.
٢٨. عادل عامر، محاربة الجريمة الدولية، جامعة المنصورة، القاهرة، د.ت.
٢٩. عادل الدمرداش، الإدمان ومظاهره وعلاجه، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٥٦، تصدر عن: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس ١٩٨٢م.
٣٠. عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٤م.
٣١. عبد الله مرقس رابي، العوامل الأسرية للجريمة - دراسة ميدانية، مكتبة مشكاة الإسلامية،
<http://www.almeshkat.net/books/open.php?cat=19&book=2152>
٣٢. عبد الباسط محمد عبد المعطي وشكري عبد المجيد صابر، النظرية الاجتماعية، ط١، مكتبة دار المنار، غزة، ٢٠٠٠م.
٣٣. عبد الرحمن بن عبد الله الفاضل، التربية الإسلامية وتحديات العصر، يناير، ٢٠٠٧م. نقلا عن: مكتبة صيد الفوائد:
<http://saaid.net/book/open.php?cat=6&book=3153>
٣٤. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تصحيح وفهرسة: أبو عبد الله السعيد المندوه، ط١، مكتبة المعلا، الإمارات، ٢٠٠٣م.
٣٥. عبد الرحمن العيسوي، اتجاهات جديدة في علم النفس الجنائي، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٣٦. عبد الله أحمد عبد الله المصري، في اجتماعيات الجريمة والانحراف.. قراءة اجتماعية معاصرة في النظريات المفسرة للجريمة والانحراف، موقع

المنشأوي للدراسات والبحوث، www.minshaw.com

٣٧. عبد الله بن أحمد العلاف، العنف الأسري وآثاره على الأسرة والمجتمع، نقلا عن: مكتبة صيد الفوائد،

<http://saaaid.net/book/open.php?cat=6&book=3991>

٣٨. عبد الله مرقص، العوامل الأسري للجريمة.. دراسة ميدانية، مكتبة المشكاة الإسلامية،

<http://www.almeshkat.net/books/open.php?cat=19&book=2152>

٣٩. عبد الله بن ناصر السدحان، الترويح وعوامل الانحراف.. رؤية شرعية، سلسلة كتاب الأمة، العدد ٧٤، يصدر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، د.ت.

٤٠. عبد المحيي محمود حسن صالح، الخدمة الاجتماعية ومجالات الممارسة المهنية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.

٤١. عبد الوهاب عبد الرزاق التحايف، الجهود الأممية لمنع الجرائم في المدن الكبرى، جريدة الزمان، دن، د.ت.

٤٢. فؤاد علي العاجز، العوامل المؤدية إلى تفشي العنف لدى طلبة المرحلة الثانوية في مدارس محافظات غزة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد ١٠، العدد ٢، تصدر عن الجامعة الإسلامية، غزة، حزيران ٢٠٠٢م.

٤٣. فؤاد مرسى، الرأسمالية تجدد نفسها، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٤٧، تصدر عن: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م.

٤٤. مشعل بن عبد الله القدهي، المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت وأثرها على الفرد والمجتمع، مكتبة صيد الفوائد،

<http://saaaid.net/book/open.php?cat=82&book=4744>

٤٥. محمد بن مسفر القرني، مدى تأثير العنف الأسري على السلوك الانحرافي لطالبات المرحلة المتوسطة بمكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، عدد خاص بمناسبة اختيار مكة عاصمة للثقافة الإسلامية، سنة ٢٠٠٥م.

٤٦. محمد سليمان بني خالد وآخرون، واقع العنف المدرسي في مرحلة التعليم الثانوي في الأردن، مجلة علوم إنسانية، السنة ٧، العدد ٤٤، شتاء ٢٠١٠م، نقلا عن موقع المجلة: www.ulum.nl

٤٧. محمد عبد الله المنشاوي، جرائم الإنترنت من منظور شرعي وقانوني، مكة المكرمة، ١١/١/١٤٢٣هـ، نقلا عن موقع المنشاوي للدراسات والبحوث:

<http://www.minshawi.com/old/internetcrim-in%20the%20law.htm>

٤٨. محمد توهيل عبد اسعيد، هذه هي العولمة: المنطلقات.. المعطيات.. الآفاق، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ٢٠٠٢م.

٤٩. محمد عوض الترتوري وغادة عرفات جويحان، علم الإرهاب.. الأسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب، ط١، دار الحامد، عمان، ٢٠٠٦م.

٥٠. محمود بن عبد الرزاق، الفضائيات والغزو الفكري، مكتبة صيد الفوائد،

<http://saaaid.net/book/open.php?cat=83&book=1664>

٥١. محمد قطب، المسلمون والعولمة، مكتبة صيد الفوائد،

<http://saaaid.net/book/open.php?cat=83&book=2619>

٥٢. محمود كفاوين، أساليب الممارسة المهنية في مجال الخدمة الاجتماعية (٢)،

ط١، من إصدارات: جامعة القدس المفتوحة، عمان، ٢٠٠٦م.

٥٣. مريم آية أحمد، الإعلام والمؤسسات الثقافية، مجلة الكلمة، العدد ٤٢، السنة

الحادية عشرة، شتاء ٢٠٠٤م. ١٤٢٥هـ ، تصدر عن: منتدى الكلمة للدراسات

والأبحاث، بيروت، <http://www.kalema.net>

٥٤. مشعل بن عبد الله القدهي، المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت وأثرها على

الفرد والمجتمع، مكتبة المشكاة الإسلامية الإلكترونية،

<http://www.almeshkat.net/index.php?pg=stud&ref=168>

٥٥. نادر عطا الله وهبة، الإنترنت في التعليم والتعلم، ط٢، سلسلة نشرات تربوية

للمعلمين، عدد٤، مركز قطان للبحث والتطوير التربوي، رام الله، ٢٠٠٣م.

٥٦. نهى القرطاجي، عولمة قضايا المرأة في وسائل الإعلام المرئية، بحث مقدم

لمؤتمر: "قضايا المرأة المسلمة بين التشريع الإسلامي وبريق الثقافة الوافدة"،

١٤-١٦/٣/٢٠٠٦م، جامعة الأزهر، القاهرة. نقلا عن: مكتبة صيد الفوائد،

<http://saaaid.net/book/list.php?cat=6>

٥٧. هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، فخ العولمة.. الاعتداء على الديمقراطية

والرفاهية، ترجمة: عدنان عباس علي، عالم المعرفة (٢٣٨)، تصدر عن:

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر ١٩٩٨م.

٥٨. وليد أحمد السيد، مدن الوجبات السريعة.. ثمرة سامة لطور العولمة، جريد

القدس العربي، ١٤/١١/٢٠٠٩م. نقلا عن موقع الصحافة:

<http://www.alquds.co.uk>

فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٥	تمهيد
١١	الفصل الأول: الجريمة.. المفهوم والدلالات
٣١	الفصل الثاني: النظريات المفسرة للانحراف الاجتماعي والجريمة
٨٣	الفصل الثالث: دور مؤسسات التنشئة في تنمية الانحراف والجريمة
١٢٩	الفصل الرابع: العولمة والجريمة
١٨٣	الفصل الخامس: الجهود الأممية في مكافحة الجريمة
١٩٣	الفصل السادس: رؤية إسلامية في معالجة الجريمة والانحراف
٢٠٨	بدلاً من خاتمة
٢١٢	المراجع
٢١٩	الفهرس